الذاكرة النسيان

رواية

هبه الفايد

ذاكـرة النسـيان

الكتاب : ذاكرة النسيان

المؤلف : هبه الفايد

تصميم الغلاف : إسلام علام

تدقيق لغوي : محسن عباس

رقم الإيداع : 2014/16538

الترقيم الدولي : 4- 978-977-6436-79

الطبعة الأولى : 2015



20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت-02-35860372 011-27772007

Noon_publishing@yahoo.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

ذاكرة النسيان

رواية لـ

هبه الفايد



إهداء إلى

أمي ...

زوجي ...

وابنتي ...

حفظكم الله ورعاكم لي ...

ذاكرة البداية

"بدايـات ... لكل شيء بـداية كما له نهاية..!!"

ثورة 25 يناير

اركض

صرخ نادر بصرامة بينما كانت الأنفاس تتعالى بلهاث حاد قال بقسوة حين وجد مروان يتوقف ليلتقط بضعة أنفاس : اركض لا تتوقف

إلا أن مروان تجاهله بإرهاق فقد أصيب منذ قليل بخرطوش في قدمه بالإضافة إلى أنه لم يكن لديه القوة الجسدية التي يتمتع بها نادر ولا آسـر، يحتاج بضعة أنفاس .. يحتاج فقط لقليل من الهواء النظيف .. كانت قنابل الدخان في كل مكان .. الجو يدعو للاختناق ... للموت لم يكن يستطيع التنفس إلا أن آسـر جذبه من ذراعه ، وهو يقول بلهجه خشنة :- هيا مروان أنت تعلم أننا لا نستطيع التوقف هنا

اعتدل مروان وهو يشير لهما بالمواصلة .. كان الجميع يهرولون في كل مكان .. وقد بدأت غارة أخرى من غارات رجال الداخلية والقناصة .. المنتشرين بكل مكان ... أشار نادر لهم بصرامة ، وقد كمم فمه بمنديل أبيض ليتبعاه بصمت لمدخل عمارة ما .. كان المدخل مظلم .. ومتهدم قليلا ..لكنه كان كافيا ليختبئ به بعض الوقت .. المحزن أنهم لا يدرون ممن يختبئون تحديداً ..! من رجال الداخلية .. من البلطجية الذين انتشروا بشكل كثيف ومنظم .. من الحانقين والغاضبين والمتشككين أم من أنفسـهم ..!

ارتمى آسر بجوار نادر أرضاً بعد أن ساعد مروان على الجلوس بقدمه المصابة، خيم الصمت على ثلاثتهم ،وكل منهم مشغول بأفكاره الخاصة .. حين بدأ صوت الهرج والمرج يسود مرة أخرى حولهم .. كان هناك من يقتربون .. ربما كانو من رجال الداخلية .. ربما كانوا من البلطجية لكن الشيء الوحيد الذي مر ببال آسر

لم يكن نادر ليتحمل أن يحدث له هذا ليس الآن .. ! هكذا فكر آسر ليهمس بصرامة

" اتركنا نادر .. اتركنا واذهب فمستقبلك على المحك هنا .."

ظهر الرفض بعيني نادر اللتين التمعتا بالتصميم .. إلا أن آسر أكمل بحزم وإصرار ولهجة قاطعة :-

" اتركنا .. أنت تعلم أنه لن يحدث لنا شيء ... نحن لا صلة لنا بأي مما يحدث .. سنخبرهم هذا وسيتركوننا "

كان من السذاجة أن يصدق ذلك فعلا وقتها .. كان من السذاجة أن يبتسم لنادر مطمئناً ،وهو يتركهم مبتعداً

وكان من السذاجة أيضاً حين اقتيد للحبس .. أن يظن أن كل شيء سيكون على مايرام .. بينما لم يعد شيء كما كان منذ ذلك اليوم أبداً

وما الذكريات إلا تراكم الحاضر (رينيه شار)

****

الفصل الأول

عش دبابير الذكريات

" لا أحد يتخلّى عن عش دبابير الذكريات في صدره رغم كل...

شيء..."

(غادة السمان)

هل وصلنا ..؟!!

تثاءبت شادن وهي تنطق بتلك الكلمات بنعس جعل آسر يطلق ضحكة رنانة ،وهو ينظر إليها بينما اكتفت هدى بابتسامة هادئة ماجعلها تنظر لهم باستغراب ،وهي تنزع سماعات الأذن وتغلق اللاب متسائلة إن كانت نطقت شيئا خاطئا !! نزل آسرمن السيارة ليتمطى بحرية ماداً ذراعيه براحة يتنشق هواء البحر المالح المشبع برائحة اليود الرائعة .. يزيل شيئا من تشنج الطريق قائلاً لها بابتسامة راحة :- " نعم وصلنا "

ترجلت شادن من السيارة بسرور ،وهي تتمطى .. بينما اشتنشقت هواء البحر المشبع باليود بلذة تبعتها هدى بصمت وشرود ،وهي تعدل من وضع حجابها.. سألها آسر فجأة بهدوء بعد ابتعاد شادن عن السيارة قليلا لتنظر إلى المياه اللازوردية وقد لاحظ شرودها كما العادة قائلا :- " بم تفكرين ؟!! "

ابتسمت بهدوء مازحة :- " أفكر في البخار..."

رفع حاجبه باستغراب :- " البخار.. ؟!! "

ضحكت هدى بنفس الهدوء تلك الضحكة التي يشوبها الحزن الخفي ،وقالت بحكمة غريبة لم تدركها هي نفسها :- " الماء مثل الأحلام .. يتبخر حتى ينتهي ..!! "

نظرلها باستغراب إلا أنها ابتسمت بوجهه وكأنها تدعوه ألا يتعمق بمقولتها كثيراً.. فلم يجد بد من القول :- " انتظرا هنا حتى أذهب لأوقظ البواب لآخذ منه مفتاح الفيلا"

أومأت له هدى بصمت بينما قالت شادن باستعطاف ،وعيناها تلمعان ببراءة :- " أنا لا أطيق صبراً سأذهب لأرى البحر من قريب وأعود سريعاً.."

حين رأت أمارات الرفض بعيني آسر قالت برجاء خالص :- " أرجوك أخي ..أرجوك .. لن أبتعد "

تنهد آسربقليل من ضيق الا انه أومأ موافقا :- " لكن لا تبتعدي ولا تغيبي كثيراً نصف ساعة وتعودي إلي الشاليه ..أفهمت ؟!!"

قالت بلهفة وسعادة :- " نعم .. نـعم أخي .."

أسرعت إليه تقبل كتفه ،وهو أقصى ما تستطيع بلوغه بطولها البالغ 158 بينما هو يبلغ الـ 190 سم ،ابتسم وهو يربت علي شعرها بحنان فشادن طفلته الصغيرة التي لا يستطيع رفض طلب لها ،وصلت إلي الشاطئ بوقت قياسي نظراً للهفتها .. تهادى إليها صوت الأمواج الهادئة تلامس الرمال الذهبية ما جعلها تتنهد بسعادة، وصلت إلى البحر حيث خلعت صندالها ..لتدع تلك الرمال الرائعة التي لازالت تحمل برودة الليل بين ثناياها تداعب أصابع قدميها المتعبتين من الجلوس بالسيارة طيلة خمس ساعات انحنت لتلتقط صدفة صغيرة تأمل أن تكون مشقوقة من المنتصف لتعلقها فيما بعد بإحدى سلاسلها ... ابتسمت للذكريات .. كم مر من السنوات حين كانت هي وهدي طوال النهار يجمعان الأصداف ويبنيان القلاع من الرمال ..عاودها الحنين لتلك الأيام الهانئة ..لامست

قدميها موجة أخرى باردة كأنها تدعوها إلي نزول المياه ..كأنها تقول لها :-
"كفاك مماطلة ..هيا فقد حان وقت المرح "

تلفتت حولها وحين لم تجد أحدا علي الشاطئ بدأت بخلع ملابسها ليظهر تحتها لباس البحر ,أخذت نفسا عميقا ثم أسرعت بالركض إلى المياه كانت باردة بل شديدة البروده، لكن هذا لم يمنعها من القفز بها بكل حماس اختفت تحت المياه لثواني سرعان ما خرجت منها ،وهي تشهق بفرح طفولي وجسدها يرتعش من صدمة المياه الباردة أخذت تسبح وقد تناست الوقت فالشمس للآن هادئة ،أغمضت عينيها لتنام علي ظهرها سابحة ببطء ،مر الوقت بهدوء وبدأت المياه تدفأ تنهدت وهي تدرك أن ميعاد عودتها حان التفتت تبغي السباحة عائدة إلى الشاطئ .. حين لاحظته من بعيد .. كان يبعد عنها أكثر من ثلاثمائة متر بموازاتها عند اللسان البحري ..غلبها فضولها لتستمر بمراقبته حين رفع يديه كسباحي الأولمب، ثم قفز في المياه العميقة تسمرت بانبهار وهي تنتظر صعوده لأعلى لكنه لم يصعد, انتابها القلق أرادت الخروج من المياه خاصة أنها تأخرت بالفعل، وخشيت أن ينتاب أهلها القلق لكن فضولها كان أقوى منها ,فضولها وقلقها ربما أصابه شيء ما ..؟!!

ربما اصطدم بإحدى الصخور الناتئة ..شهقت وخيالها يجمح بعيداً متناسية قفزة سباحي الألمب .. ربما كان بحاجة إلى المساعدة ..؟!!

عاودت السباحة بقوة لتقطع تلك المسافه ،وعيناها تبحثان عنه في كل مكان ..لم تكن ضعيفة بالسباحة لكنها أيضا ليست قوية .. كانت تستطيع إنقاذ نفسها إن استدعى الأمر ..تستطيع سحبه للشط معها ..هكذا أخبرت نفسها :. إلا أنها لم تكن تتصور أن المياه بتلك المنطقة بهذا العمق
.

..بدأت الأمواج ترتفع خاصة أن الشمس أصبحت في كبد السماء تلقي بحرارتها على المياه ..تلفتت يميناً ويساراً لكن لا أثر له أين ذهب ..؟!!

لمحت شعره الأسود وكتفيه العريضتين يسبح بعيداً تنهدت بينما همست لنفسها " إذن هنا اختفى ..بالجهة الأخرى من اللسان البحري"

لعنت غباءها وفضولها ..ابتسمت لنفسها بنفس الشقاوة، وهي تضحك من حالها " أرادت أن تنقذه وهو بتلك الهيئة الأولمبية لم تكن ترى وجهه ،أسرتها هيئته بالمياه كان معطياً إياها ظهره لكنها استطاعت تأمل بنيته العضلية وبشرته البرونزية التي أخذت تلمع تحت أشعة الشمس وكتفيه العريضتين شعره الأسود اللامع ..كانت تشعر بالخجل لتأملها هذا الغريب بهذا الشكل خجلت من نفسها .. فالتفتت تعاود السباحة إلى الشاطئ حين فاجأتها موجة قوية ضربتها على غفلة ..شرقت بالمياه حاولت الصعود إلى سطح المياه حين داهمتها موجة أخرى ..بدأت تشعر بالدوار خاصة أن التيار كان قوياً أخذت تجاهد ،وهي تسبح دون وعي بالاتجاهات ... حتى وجدت نفسها تصطدم بالصخور ..صرخت بشدة، وهي تحاول أن تتمسك بالصخور حتى تسترد أنفاسها .. لكن الصخور كانت زلقة الملمس مليئة بالأعشاب البحرية الخضراء والطحالب .. كانت الأمواج تدفعها بقسوة باتجاه الصخور، وهي لا تملك أن تقاومها من شدة تعبها الذي ظهر فجأه الآن ودوارها وافتقارها إلى الأنفاس الصحيحة في حين تجاهد للبقاء فوق سطح المياه .. بدأت الرؤيه تصبح مشوشة بينما بدت المياه حولها حمراء بعض الشيء حين أدركت بتشوش أنها أصيبت بمكان ما ... لم تدر ما تفعل ..؟!!

حين رأت طيفه قادما باتجاهها .. لم تر ملامحه لكنها تنهدت وهي تغمض عينيها إزاء الشمس المواجهة لوجهها ،وهي تدرك أنه أتى لإنقاذها ..

شعرت بيدين قويتين تجذبانها بعيداً عن الصخور وصوت قوي ذي لكنة جذابة لم تستطع تميزها يصرخ فوق الأمواج طالباً منها أن تسبح معه حتى يبتعدا عن التيار ... حاولت جاهدة أن تسبح لكن ذراعيها كانتا ضعيفتين وشعرت بهما رخوتين ،قالت له بصوت أجش بفعل المياه المالحه التي ابتلعتها :- " لا أستطيع السباحه ذراعي يؤلمني "

سمعت همهمة غاضبة أجبرتها علي فتح عينيها رغم الشمس لترى عينين بلون الفحم ..عينين بلون الليل ..عينين كأغوار غابة سوداء مخيفة...يظللها حاجبان كالقوس مشذبة بعناية إلهية كانت نظرتهما غاضبة، لكن يشوبها الكثير من الغموض ,شعرت به غاضب بشدة ما دعاها لتقول برثاء للذات ،وهي تشعر بنفسها تتهاوى إلى بحر من الظلام " أنا آسفة "

قال الصوت الأجش والعينان الفحميتان :- " لا تقلقي ...ستكونين بخير ..لن أدع شيئا يحدث لك !"

*****

تهاوت شادن على أول مقعد واجهها ،وهي تضع يدها برفق فوق رأسها حيث كانت تشعر بصداع رهيب ,توقفت هدى وهي تعي منظر شادن الغريب والثياب التي ترتديها لتسألها بتعجب :- " ماذا حدث لك ؟! أين ثيابك .. ولمن تلك الثياب التي ترتدينها ..؟! "

تنهدت شادن بألم وهي تقول :-" أنا بخير .. آسفة لقد ..آه ..حدثت معي أشياء كثيرة ..دعيني ارتاح قليلا ومن ثم أحكي لك

تنهدت هدى بصبر إلا أنها قالت لها بعتاب :-" فلنطمئن آسر أولاً .. ألم تفكري حتى بالاتصال أيتها المستهترة ..؟!! "

رفعت هاتفها المحمول وهي تتصل بآسر:-" آسر.. لقد عادت .. نعم .. لا تقلق .. بخير.. إنها بخير.. نعم حسنا بانتظارك .."

أغلقت الهاتف وهي تقول لشادن بنبرة لا تبشر بخير:-" آسر قادم "

إلا أنها شهقت حين لاحظت بقعة الدم التي تلوث كم قميصها هاتفة بجزع :- " شادن أنت مصابة .. ماذا حدث ..؟!! "

همت شادن بإخبارها حين فتح الباب بطريقة عاصفة وآسر يهتف بغضب والشرر ينطلق من عينيه الرماديتين وقد تحولتا إلي اللون الجليدي وهو لون تعرفه شادن جيداً

" أيتها الحمقاء ..أيتها الغبية الحمقاء أين كنت ؟!! ماذا حدث لك .. ألم أقل لك نصف ساعة فقط.. تحدثي أين ذهبت ..؟!! "

قفزت شادن بفزع ،وهي تحاول أن تعتذر له.. أن تشرح ما حدث بألطف كلمات ممكنة علها تهدئ غضبه، قالت بتردد وخشية :- " أنا آسفه آسر لم يكن بيدي.."

إلا أنه لم يكن بحالة تسمح له بملاحظة ما ترتدي أو الدم القليل الذي جف بقمة ذراعها تحت القميص فاقترب منها والشرر يتقافز من عينيه الرماديتين قائلاً بخشونة أرعبتها وجعلت الدمع يتقافز لعينيها العسليتين برعب :- " أيتها الـ .. العديمة المسئولية.. أين كنت أين ذهبت ..؟!"

أخذت دموعها تتساقط بخوف إلا أنه بدا وكأنه يتمالك نفسه بصعوبة إلى أن لاحظ شعرها المشعث وثيابها المبللة جزئيا لتثور ثائرته ، وهو يجذبها بقسوة من ذراعها قائلا بزمجرة جعلت هدى تقترب منه ببطء :-

" نحن نبحث كالمجانين عنك .. نخشى أن يكون أصابك مكروه ما .. وأنت تسبحين " قالت بتوتر متصاعد وهي تحاول تهدئته :-" أنا ..أنا اسفه ..لو فقط تدعني أشرح "

رفع يده يهوي بها علي وجهها حين أمسكت هدى يده المرفوعة بقوة وهي تقف بينهما قائلة له بهدوء :- " كلا آسرهذا يكفي .."

نظر آسر لهدى للحظة، ثم غشيت عينيه نظرة متألمة أنزل بعدها يده ، وهو يلتفت معطياً إياهن ظهره مسيطراً بقوة جبارة على توتره وغضبه مصعوق مما أوشك على فعله ،أخذت شادن تبكي بصوت مرتفع ،وقد هالها أن شقيقها أوشك على صفعها .. فقالت لها هدى بنفس الهدوء وإن كان يشوب صوتها نبرة متوترة :- " شادن اصمتي .. واذهبي إلي غرفتك الآن "

أومأت بصمت وهي تنظر له بطرف عينيها برجاء قائلة بصوت مبحوح تستعطفه به :- " أخي أرجوك لا تغضب مني .. دعني أشرح لك .."

إلا أنه تجاهلها ،وهو يشيح بوجهه بعيداً عنها مبتعداً إلى الشرفة التي تطل على البحر مباشرة بصمت متوتر ما دعاها إلي البكاء بصوت أعلي قليلاً ،وهي تتجه إلى غرفتها بأسي ,وقفت هدى حائرة هل تذهب خلف شادن لتعرف منها ما حدث لها..؟!! أم تذهب خلف آسر لتهدئ من انفعاله وهي تدرك مبلغ الألم والضيق الذي يشعر به في تلك اللحظة ..! إلا أنها قررت الذهاب خلف شادن لتترك له مجالا حتي يهدأ .. فهو حين يغضب يبدو كالوحش الكاسر, دخلت الغرفة لتجد شادن تبكي بحرقه ووجهها مدفون بالوسادة ,جلست جوارها ببطء وهي تدرك أنها رغم خطأها إلا أن آسر قسا عليها بشدة هزت رأسها فقلبها لايطاوعها على تركها تبكي ..وهما ما أتيا إلا للتفريج عن أنفسهم ولابد من أن هناك سببا

وجها لتأخرها خاصة مع بقعة الدماء التي غطت ذراعها..ربتت علي شعرها الذي بدا بغاية الجفاف بفعل ملوحة المياه وهي تقول لها :- " لا بأس حبيبتي لا تبكي .."

رفعت شادن رأسها عن الوسادة لتنظر بعيني هدى العطوفتين ..فقالت لها بنبرة حانية :- " والآن هلا أخبرتني بما حدث لك بالضبط ..؟!! "

ارتمت شادن بحجرها وهي تحكي لها ما حدث بكلمات متقطعه مكتومه لتنهي قولها بـ :- " وكما ترين لم يكن بقصد مني التأخر .. لقد أوشكت علي الغرق .. أدرك أنني مخطئة لأنني تسرعت بالنزول إلي المياه .. لكنني أقسم أنني لن أفعلها مرة ثانية .. "

أكملت وعيناها تلمعان بالدموع :- " لكن من فضلك لا تدعيه يبقي غاضباً مني .. فأنا لا أطيق أن يغضب مني..أنت تعلمين كم أحبه "

ابتسمت هدى بهدوء ،وهي تمنع نفسها عن لومها فشادن كعادتها متهورة طائشة .. حمقاء قليلا ..لكنها مستحيل أن تخطئ بقصد، ربتت علي شعرها قائلة :- " حسنا انهضي اغتسلي وغيري ثيابك .. ريثما أذهب لأري آسر .. وبعدها تعالي اعتذري له "

هزت شادن رأسها بلهفة والدموع لازالت تلمع بالأحداق العسليه قائلة بأمل :- " سيسامحني .. أليس كذلك..؟!! "

اتسعت ابتسامة هدى وهي تقول :- " أنت تعلمين أنه سيسامحك .. لطالما فعل شادن .. وأنت تعلمين هذا "

ارتعشت شفتا شادن بحزن وهي تقول :- " أنا أكره حين يغضب مني .. ولا أستطيع منع نفسي من أخطائي الحمقاء "

قالت لها هدى بحكمة :- " لا بأس لازلت صغيرة .. يوما ما ستكبرين وتكفين عن أخطائك تلك والآن هيا إلي الحمام "

تنهدت وهي تخرج عائدة إلى آسر فوجدته واجماً ،وهو يستند بيده علي سور الشرفه ينظر إلى البحر الذي يماثل عينيه زرقة استندت بيديها الاثنتين إلى السور تنظر هي الأخرى إلي البحر قائلة :-" ما بك آسر..؟!!"

ارتعشت نظرته لكنه لم يبعدها عن البحر .. صمت بضع ثوان، ثم قال بصوت أجش دون أن يجيب سؤالها :- " هل أخبرتك ما حدث معها .. وكيف أصيبت بذراعها ؟!! "

دهشت فقد اعتقدت أنه لم ير جرحها ..أشفقت عليه وقلقه .. فهو يعاملها كما لو كانت ابنته .. تدرك أنه يحاول حمايتها بشتي الطرق ..يحاول تلافي أخطاء الماضي بها ... يحاول ألا يحدث لشادن ما حدث لها..!! أومأت وهي تقترب منه واضعة يدها على ذراعه ببطء .. فتوتر قليلاً وهو ينظر إليها بألم جعلها تغص وهي تحاول إزالة حزنه بقليل من المرح الذي لم تكن تملكه .. قائلة بابتسامة مترددة :- " أنت تعرف شادن .. كعادتها أوقعت نفسها بمأزق ما ... نزلت تسبح وكادت تغرق لولا أن أنقذها شاب ما هو وأخته .. هذا ما حكت لي "

هز رأسه وكأن ما قالته لم يدهشه فقد توقع شيئا مثل هذا.. إلا أنه قال لها بغصة :-" و جرحها "

ردت بسرعه تطمئنه :-" ليس خطيرا .. مجرد جرح سطحي "

قال بهدوء :- " حسناً .."

والتفت ينظر مرة أخرى إلي البحر ..فقررت التزام الصمت هي الأخرى متأملة هواء البحر ،وهي تشعر بالتعب والإرهاق ..حين خرجت شادن من غرفتها بتردد ،وقد استحمت وبدلت ثيابها ببيجامة طفولية الهيئة اقتربت منه بصمت متردد .. وما إن أصبحت بجواره حتى شبت على أطراف أصابعها لتقبل كتفه كما اعتادت أن تفعل .. انتفض علي إثر حركتها تلك فهو يعتبرها ابنته الصغيرة نظر إليها بحنان ..فهمست قائلة:- " أنا آسفة"

ارتعش قلبه وعاد حنانه إلي الظهور رفع يده يطوقها بين ذراعيه القويتين مقبلا قمة رأسها لتهمس ببكاء :-

" أخي أرجوك لا تغضب مني .. أنت تعرف كم أنا متهورة .. لكنني أعدك أن أتمالك زمام نفسي ولا أقع بأي مأزق آخر طالما حييت"

ابتسم وهو يدرك أن وعدها هذا لن يستمر أكثر من يومين علي أكثر تقدير فرفع وجهها له يتنهد وقد انزاحت غيوم الضيق من عينيه وعادتا دافئتين من جديد قائلا بمزاح :- " أتعدين..! "

هزت رأسها بتأكيد شديد قائلة بقوة :-" أعدك "

ابتسم ابتسامة ضعيفة وهو يقول :- " حسنا وأنا سألزمك بوعدك هذا لمدة أسبوع وليس ما حييت"

أكمل بمكر جعلها تتنفس الصعداء :- " فلن تكوني شادن إن لم تقعي بمأذق ما .."

ابتسم وهو يقول لها :- والآن عقاباً لك اذهبي لتفريغ حقيبتي وإعداد حجرتي وتحضير الإفطار"

تغضن جبينها بشقاوة إلا أنها أسرعت إلى المطبخ تفعل ما طلبه بسعاده بعدما أعطته قبلة كبيرة للغاية بأعلى كتفه وهي تهمس له :- أحبك أخي

تنهد بحزن وهو يعاود النظر للبحر بعدما غادرت شادن.. صدم من نفسه .. لم يتصور أبدا أن يكون كالرجل الذي أقسم ألا يكون مثله يوما .. والده !!

اقتربت منه هدى ببطء وقد أدركت ما يدور بعقله قائلة :- " ما بك آسر ولا تقل لي ليس هناك شيء .. فأنا أعرفك جيداً ..! "

رفع إليها عينين متوترتين وهو يقول بضيق وألم يحز بقلبه :- لقد قسوت عليها لقد أصبحت مثـ "

وضعت يدها علي فمه وعيناها ترتعشان بدموع ترفض أن تنسكب قائلة بصوت أجش :-

" لا تنطقها أخي لا تنطقها حتى أنت لست مثله، ولن تكون أبداً "

أومأ بصمت وهما يتشاركان ألماً عميقاً .. وحزناً دفيناً جعله يزفر بحزن وهو يقول :- " أنا آسف .. هل لك أن تبلغيها بأسفي ..لا أطيق البقاء هنا .. سأذهب لأتمشى على البحر قليلا "

أومأت والغصة تخنقها فتركها وكأن الشياطين تطارده صافعاً الباب خلفه بعنف لتطرق هدى برأسها واجمة.

*****

رفس المياه بحذائه دون أن يبالي بالبلل كان بعالم آخر ..عالم من الذكريات المريرة التي كان يفضل نسيانها أو تناسيها .. لكنها لا تنفك تعاوده بقسوة .. كان يعلم أن هدى لا تحب (مروان) ابن عمه ... لطالما صرحت بهذا حتي أنها أحيانا كانت تشتكي له من جرأته عليها وتحرشه بها ، ولطالما تعارك معه بسببها لكن الأخير كان يبكي كالأطفال معلنا حبه لها ، وهو ما كان يدفعه للصمت ..إلا ذاك اليوم الذي أقسم لهدى ألا يتحدثا عنه أبدا .. ذاك اليوم الذي دخل على أثره مروان المستشفى ... لكنه ليس بنادم على ذلك كان يستحق أكثر من إصابته ببضعة ضلوع محطمة .. لم يعرف ابداً السبب الذي دفعها لتغير رأيها بين يوم وليله لتوافق على الزواج منه .. لم يعرف .. ورفضت هي إخباره بشيء سوى أنها غيرت رأيها .

والزواج - كما أخبرته .. لحظتها بذلك التعبير الذي لن ينساه أبدا طالما به نفس يتنفسه - تعبير شخص ميت سلبت منه الروح ولن تعود أبداً .. نفس التعبير الذي انطبع بملامحها لتختفي للأبد أخته المرحة المبتسمة علي الدوام المحبة للحياة ..أخبرته بذلك التعبير: إن الزواج قسمة ونصيب ..!الم يعلم السبب ..لكنه يوم خرجت هدى من البيت لبيت مروان كزوجة ..رحل هو عن بيت والده للأبد . رفع بصره ينظر إلي البحر الذي علت أمواجه .. بدا البحر هائجاً ثائراً .. كما يشعر هو من الداخل ..تنهد ووقف متأملاً إياه سامحاً لهوائه المنعش أن يهدئ من توتره النادر الظهور ..استنشق بعمق وهو يغمض عينيه يجبر نفسه علي الاسترخاء ..أصغى إلى صوت الهواء وهدير الأمواج وهو يبتسم ببطء ..كم يعشق البحر.

*****

حين حل المساء أصر آسر أن يذهب مع شادن ليشكرا الشخص المسئول عن إنقاذ حياتها ..فهذا أقل ما يجب أن يقوما به .. فرحت شادن كثيرا لهذا .. حيث أدركت أن أخيها سامحها بالفعل علي حماقتها سألها آسر :-
" هل هذا هو بيتهم .."

قالت بتردد :- " أعتقد ذلك..!"

نظر إليها بصبر وهو يقول :- " يستحسن أن تتأكدي شادن .. فنحن لن نطرق الأبواب دون أن نتأكد .. "

رفعت نظرها تنظر يمنة ويسرة تأمل أن ترى ريم هنا أو هناك لتتأكد لكنها لم ترها .. كان الليل قد أسدل ستاره، وبدا البحر من بعيد أسود اللون فضي الحواف .. وامتلأ الشاطئ والكورنيش نسبياً بالمصطافين ..التفتت مرة ثانية تنظر إلي الشاليهات بوجل .. حين اصطدمت عيناها بتلك العينين الفحميتين .. خفق قلبها لثانية ظنته وهي تحدق بتلكما العينين كانتا تشتعلان بطاقة وقوة ونظرة نارية تلتمع بالأحداق السوداء .. التفت إلى الخلف مناديا شخصا ما بهدوء ..لتظهر ريم مقترية من الشرفة ملوحة بسعادة لشادن .. عادوت أنفاسها المحتبسة بصدرها الخروج، وهي تضحك بتوتر ضاغطة على ذراع آسر :- " انظر تلك هي ريم .. تلوح لي .. هذا منزلهم "

ابتسم :- " حسنا دعينا ننتهي من تلك الزيارة لنبدأ مصيفنا "

توجها إلي الشاليه الواقع علي الشاطئ مباشرة ..كان جميل المنظر مكون من طابقين بحديقة صغيرة رائعة تفوح منها رائحة الريحان ولها سور خشبي صغير يبدو قديماً بعض الشيء لكنه جميل ويوحي بالحميمة . " تفضلا ..تفضلا .."

اقتربت ريم وهي تلقي التحية بأدب وهدوء عليهما .. محتضنة شادن كأنها تعرفها منذ الأزل..تراجعت مبتعدة عنها وهي تصافح هدى ونفس الابتسامة البشوشة على وجهها كانت ريم من الأشخاص الذين يدخلون القلب بكل سهولة بوجهها البريء ..كأن هالة من نقاء وبراءة تشع منها ..إلا أن عيني شادن كانت تبحث عن شخص آخر بتهور خفيف .

أتى صوت مبتسم من خلفها يلقي التحية علي آسر قائلا بصوت لطيف :- " أهلا .. تفضلوا للداخل .. "

إلا أن آسر قال بهدوء وابتسامة امتنان تلمع علي شفتيه :- "عذرا لكننا أتينا لنشكركم على الاعتناء بأختي المتهورة .."

مد يده يعبث بشعرها وهو يتكلم كأنه يعاقب طفلة صغيرة ما دعا وجهها للاحمرار خجلا بضيق، وهي تبعد يده عن شعرها .. ابتسم نائل وهو يقول بدماثة :-

" لا شكر على واجب نحن لم نفعل شيء .. هيا تفضلوا للداخل لا يصح الحديث ونحن بالباب .. هيا فأمي تعد الشاي "

نظرت شادن إلى آسر برجاء ،وهي تبغي البقاء أكثر قليلاً .. فأوما بالقبول ولازالت ذكرى الصباح تمر بخاطره .. لم يشأ أن يضايقها مرة أخرى، توجها للداخل ليجدا بضعة أشخاص جالسين .. أتمت ريم تعريفهم بسلاسة:- " أمي ..خالتي ..وابنة خالتي "

جلس الجميع بعد التعارف ليبدأ آسر بالحديث موجها شكره مرة ثانية للوالدة ،حين شعرت شادن بشيء ما يتغير في الهواء .. شيء ما أنبأها أن أحدهم يحدق بها .. ربما هي حاستها السادسة ..ربما هي تلك القشعريرة التي مرت على طول عمودها الفقري، أو هي نسمة الهواء الباردة المحملة

بعبق الرياحين التي مرت بوجهها .. رفعت رأسها لتلتقي عينيه .. ضاقت عيناها ببطء .. وهي تفكر بتشوش لم تكن تلك أول مرة تراه .. لكن تلك المرة اتضحت لها صورته أكثر ..واتقنت ملامحه حفظتها أكثر .. كان فارع الطول ذا شعر أسود وعينين فحميتين .. ببشره برونزية وجاذبية شرسة .. ملامحه لا تعبر عن شيء أبداً إلا أنها تحرك فيها أشياء تجهلها ..! هو من أنقذها وليس نائل ..!

انقطع اتصال نظراتهما حين تقدم للداخل يلقي التحية على الموجودين بابتسامة مرحبة ..

" محمود "

قال نائل وهو يبتسم لهم بفخر :- " أخي الكبير محمود "

إذن هذا هو اسمه ..كان هناك شيء ما به يوترها ألقى آسر عليه التحية ، وهو يقول بصوته الرخيم وبسمة عرفان بالجميل تلوح على شفتيه :- " أهلا أستاذ محمود .. نحن شاكرين لكم إنقاذكم لتلك الشقية .."

قالها وهو ينظر لشادن التي خفضت رأسها بضيق وخجل .. إلا أن شيئا ما مر بطول عمودها الفقري حين أتى صوت محمود ببحة هادئة، وهو يقول :- " لا شكر علي واجب ..نحن لم نفعل شيئا .."

قال آسر :- " علمت من شادن أن نائل هو من أنقذها .. هنيئا لك بأخ مثله ونعم الشباب "

اتسعت ابتسامة شادن بانبهار وهي تنظر لنائل بنظرة هائمة .. في حين قالت ريم بصوت مندهش :- " نائل ..!! لكن .."

هتف بها محمود بنبرة قوية قاطعة تحمل شيء من التحذير بداخلها :- " ريم ..هل لك أن تجلبي لي ماءً من فضلك "

وقفت ريم حائرة تنظر إليه لكنها قالت بهدوء ، وهي تهز كتفها :- " حسناً"

قال محمود وهو يلتفت لآسر بابتسام :- " تفضل اجلس ..أهلاً بك .."

جلست وهي تشعر بالحيرة لم ينكر سبب إنقاذه لها ..!! رفعت بصرها مرة أخرى تأخذ الشاي من يد ريم ..في حين أتى صوت محمود الأبح الخفيض، وهو يتحادث مع آسر أخيها .. في حين كان نائل يشاركهم الحوار بحماس منقطع النظير دفعها للابتسام ..تطايرت بضع كلمات إليها ... كان يتحدثان حول أوضاع البلاد العربية ..والمنطقة من توترات وصراع خفي ونظريات مؤامرة تخيب مرة وتصدق مرات..!! تأملت المكان بفضول متزايد .. منزلهم يتميز بذوق رائع حديث وليس على طراز بدو سيناء كما اعتقدته سيكون حيث لم تجد من البسط السيناوية سوى واحدة او اثنتين معلقتين على الجدار كديكور.. لفت نظرها والدتهم هادئة تبدو على ملامحها بعض ملامح من حزن مستتر لم تكن كبيرة بالسن ترتدي السواد ولاتتحدث كثيراً ..جلست هدى بجوارها بهدوء كعادتها وابتسامة لطيفة تلوح علي شفتيها ..لا تدري لماذا بتلك اللحظة شعرت أن هدى تشبه أم نائل ..استغربت من هذا التشبيه..كيف تشبه أختها الشابة بامرأة عجوز.

مالت عليها ريم تقول لها وقد لاحظت شرودها :- " ما بك شادن هل هناك ما يضايقك..؟! "

انتبهت شادن وهي تبتسم بهمس قائلة :- " كلا .. لا شيء ..لكنني فقط مللت من كل هذا الحوار عن السياسة .."

أكملت ساخرة بصوت أعلى قليلا كأنها تنبه آسر الذي اندمج بنقاش حامٍ مع نائل :-

" فأوضاعنا هي ...هي ..لا فائدة من الحديث عنها ؛ لأنها لا ولن تتغير يوما ..!! ..فلنكف عن الحديث عنها إذن .."

التفت إليها آسر بذهن شارد كأنها قاطعت تفكير عميق أو جملة كان علي وشك التفوه بها , بينما نظر إليها نائل بابتسامة مذهولة كأنه لا يصدق أن هناك أحدا ما لا يهتم بما يحدث بالوطن العربي ..أما محمود فقد ظهرت علي شفتيه ابتسامة ساخرة ..كأنه يشاركها سخريتها المريرة التي لم يفهمها من حولها اضطربت .. إلا أنها رفعت له حاجبها بتحدٍ صامت ..اكتفى هو بتجاهله بترفع ..بينما قال لها نائل بهدوء لم يستطع أن يخفي بطياته ضيقه من رأيها :-

" ما يدفعك لقول هذا ..؟! ألا تستطيعين رؤية ما يحدث حولك ..الثورة بمصر .. تونس .. ليبيا .. وسوريا .. ؟!!"

أكمل بحماس :- التغيير قادم صدقيني .. الربيع العربي بدأ

ضحك آسر بسخرية، ولم يستطع أن يمنع نفسه من القول :- أي تغيير يا صديقي العزيز بعد ثلاث سنوات من الربيع .. وصلنا لمرحلة الخريف.. "

ثم استطرد بلامبالاة تخفي مرارة خلفها :- " والآن هلا تركتنا من حديث السياسة الملل "

تدخلت ريم ، وهي تقول :- " عذرا سأحرمكم متعتكم بالمناقشات السياسية الرائعة .."

أشارت إلى آسر بضحكة مرحة " فكما ترى ضيوفنا لم يأتوا المصيف للمناقشة في سياسات لن تتبدل أو تختفي أو تنتهي بمجرد مناقشتنا لها "

جذبت ريم شادن من يدها بمرح وهي تقول لها :- " ما رأيك أن نذهب لغرفتي أريك إياها ..هل تأتي..؟!!"

ذاك اليوم كان بداية صداقة قوية بين شادن و ريم و نائل هذا الفتي الوسيم.. بغمازتيه اللتين كانتا تظهران كلما ابتسم .. بعكس أخيه محمود دائم العبوس بخطوط جبينه العميقة دائمة التفكير كأنه يحمل هموم الكون علي كتفيه لم يكن يبتسم بوجهها أبدا ،وإن صادف ووجدها تتسامر مع نائل لاحت بعينيه نظرة غريبة غامضة لطالما وترتها .. أصبح هو و آسر أصدقاء سريعاً .. اهتماماتهم مشتركة ..هذا ما اعتقدته فبينما أمضت هي الوقت تتسكع مع ريم ونائل أمضى آسر الوقت مع محمود .. علمت من ريم أنهم فلسطينيون من أم مصرية وأب فلسطيني مقيمون بين العريش وفلسطين حيث لهم أقارب هناك وهم دائبو الذهاب والعودة كلما أتاحت لهم الظروف ذلك لكنهم استقروا هنا من بضع سنوات لتردي الأوضاع هناك بعد وفاة والدهم أصرت أمهم على البقاء بمصر لأنها

" أأمـن "

كما قالت لها ريم بنبرة حزينة من فراقهم لفلسطين . إلا أنهم لم يملكوا إلا الانصياع لرغبتها خاصة أن محمود وهو أخوهم الأكبر وصاحب القرار من بعد والدهم المتوفي وافق والدته بقرارها ..معللاً أسبابه في ذلك برغبته أن ينهيا دراستهما بمصر.

" فلا فائدة من البكاء على اللبن المسكوب "

هذا تعبيره كما قالته لها ريم ..كانت سعيدة أن ريم ستأتي إلي القاهره هي ونائل بعد أسبوعيين فريم تدرس آداب لغة إنجليزية بإحدى الجامعات الخاصة ...بينما نائل يدرس هندسة الطاقة .. أسعدها هذا الخبر حيث أدركت أن صداقتهم لن تنقطع وما زاد سعادتها أيضاً أن محمود لن يأتي معهما إذ يبدو أنه سيبقى هنا مع والدته انتابتها قشعريرة، وهي تتذكر نظرته الغامضة لها ..كان يبدو أن شعورا بالكره متبادل بينهما، لم يكن يوجه لها الكلام أبداً وهي ارتاحت لهذا ..!!

اتجهت لليهو وهي تقول لهدى :- " أنا ذاهبة إلى الشاطئ سأجلس مع ريم ونائل قليلاً ..هل ستأتين ؟!! "

اعتدلت هدى وتركت كتابها جانباً ، وهي تقول بضيق حيث أن اليوم آخر أيام حريتها المؤقتة لتعود بعده لشهور من العذاب الذي لا ينتهي:- " كلا حبيبتي لن آتي ..فأنا سأنهي الكتاب الذي أقرأه ثم أبدأ بتجهيز حقيبتي ..لاتنس أن آسر نبه ضرورة تجهيزنا كل شيء فنحن سنرحل باكر"

قالت لها شادن بلامبالاة وهي متلهفة للقاء ريم :- " حسنا علي راحتك.."

اتجهت إلي الباب إلا أنها توقفت تسألها بفضول :- " حقا أين هو آسر ..؟! لم أره اليوم طوال النهار حتى أنه لم ينزل معنا المياه..؟!!"

هزت هدى كتفيها وهي تقول :-" لا أعلم ربما توجه إلي رفح مع محمود ..لقد ذكر شيئا مثل هذا أمس "

كمثل كل مرة وترها مجرد ذكر اسمه بدون سبب معروف فأشارت لهدى ،وانطلقت خارجة دون أن تفكر بالتوقف لتحليل مشاعرها الغريبة انطلقت متجهة للشاطئ حيث كانت تجلس يومياً مع ريم ونائل وأحياناً ريماس

وقفت تتأمل البحر .. كان وقتها المفضل لتأمله هو وقت الغروب .. حين تلقي الشمس بأشعتها البرتقالية بسطحه، وتبدأ بالنزول حتى يلامس قرص الشمس المياه ليلتحما معاً تنهدت باستمتاع، وهي تنتظر ريم ونائل اللذين تأخرا

كان فستانها الصيفي الطويل يهفهف بينما أخذ الهواء يتلاعب بأطرافه الواسعة ونقوش زهر الكرز الأحمر المطبوع على حوافه أما شعرها فبعدما يئست من تجميعه بأي شكل تركته ثائراً علي هواه ..لم تكن خصلته ناعمة لكن طوله كان يعطيه ميزة لطالما أحبتها ، حل الظلام .. لم تكن شادن ذات جمال مميز بل كان جمالها هادئ .. ذات بشرة خمرية وعيون بندقية تحوطها رموش طويلة كثيفة وقامة قصيرة ونحيلة لكنها كانت تحب هيأتها .. نظرت في ساعة يدها فقد قاربت الساعة علي السابعة والنصف التفتت تنوي الذهاب للشالية للبحث عنهما .. كيف يتأخران وهما يعلمان أن اليوم هو الأخير ،وأنها لن تراهما إلا بعد شهر حين يأتيان للقاهرة للدراسة..!!"

إلا أنها تسمرت مكانها بتوتر وارتباك وهي ترى الطيف الأسود الصامت الذي يبعد عنها ببضعة أمتارعرفته حتى بالظلام اقترب منها ببطء، وهو يقول بصوت أجش وعيناه تبرقان بالظلام :-

"كيف حالك شادن ..؟!! "

ارتبكت فهو نادراً ما وجه لها أي كلام :- " بخير .. وأنت ؟! "

لم تجرؤ على نطق اسمه تشعر بالرهبة حتى من مجرد التفكير بهذا ...ابتسم لاويا فمه بسخرية قائلاً :- " بخير "

أخذت تنظر خلفه على أمل ..بوجل .. بقلق عل ريم ونائل يأتيان الآن لينقذاها من هذا الموقف المربك .. قال بغموض حين استشف نظراتها:-" نائل لن يأتي "

قالت بسخط يناقض خجلها :- " لم أكن أنتظر نائل ما يدعوك لقول هذا .. أنا بانتظار ريم "

قاطعها بهدوء كإقرار بأمر واقع :- " ونائل "

همت بالاعتراض إلا أنه لم يمهلها إذ اقترب منها عدة خطوات وترتها ، وحبست الأنفاس بحلقها أرادت التراجع للخلف ،لكنها عاتبت نفسها فهو مستحيل أن يؤذيها ..ولم يؤذيها ..؟!

عبست يا لتفكيرها الغريب لكنها لا تستطيع أن تنكر أنها تخاف منه لسبب مجهول..! تسائل بصوت غريب ولكنته تبدو واضحة للغاية :- " لم تخافين مني ..؟!! "

قالت بشجاعه زائفة :- " أنا لا أخافك ولم أخافك ..؟!!"

ابتسم بسخرية ..أمال رأسه يشعل سيجارة أخذ نفسا عميقا منها ،ثم نظر إليها ببطء قائلاً :- " لا أعلم أنا من يسأل هنا إذ يبدو أنك قررت أن تضعيني بمصاف الأعداء ،وأنا أريد أن أعلم لماذا..؟! "

احتارت بما تجيب ؛ فظنه صحيح والمفروض أن تعطيه إجابة منطقية؛ لكنها لا تملك واحدة فما تشعر به لا يمكن تفسيره ،إلا أنها قالت وقد حاولت إسباغ نبرة الثقه علي صوتها الذي خرج مبحوحا متوتراً :- " أنا لا أخاف منك كن متاكدا من هذا "

صمت وهو يدقق النظر بعينيها كأنه يستشف روحها رفع رأسه إلي السماء تنهد بصمت ،ثم فاجأها حين مد يده بكتاب مغلف بطريقة جيدة .. قائلاً لها بغموض بدأ يصبح سمة من سماته لديها :- " أردت

إعطائك هذا الكتاب ذكر آسر أنك كنت تبحثين عنه بالمكتبات منذ فترة"

دهشت.. صعقت.. نظرت للكتاب ورفعت بصرها تنظر إليه لتفاجأ بشيء يأسرها بتلك الغابة المظلمة المسماه عينيه مدت يدها تأخذ الكتاب بصمت ؛ فابتسم بطريقة بهرتها وغيرت ملامح وجهه كلياً حتى أن خطوط جبينه العميقه اختفت لوهلة قال لها ببساطة :- " اعتني بنفسك "

افترقا دون وداع كما التقيا دون سلام لم يحاول أحدهم أن يستبقي الآخر بكلمة إضافية،فلقاؤه كما جاء مدهشاً مباغتًا موجزاً لقاء في عمر سيجارة، أشعلها وهما يتحدثان .. وأطفأها، وهو يسحقها أرضا بحركة من قدمه .. ليتركها ذاهلة..!!

" الحب يجلس دائما على غير الكرسي الذي نتوقعه، تمامًا بمحاذاة ما نتوقعه حباً "

(أحلام مستغانمي)

*****

انطلقت ضحكته الأجشه الرائعة لتلفت انتباهها إليه رغم ارتفاع الأصوات حولها بكل لهجة ولغة ممكنة بصالة الانتظار بمطار القاهرة الدولي الجديد حيث كانت تجلس بالمقهى تنتظر مجيء شذى لاصطحابها رأتـه..!

آسـر بدر الدين .

كان يقف مع إحدى المضيفات التي تميل عليه بدلال واضح ، وهي تهمس بأذنه بشيء ما ..لا يهمها رأى المشاهدين الذين كانو يتابعون بفضول كانت تهمس له بشيء جعله ينطلق ضاحكاً بثقة وغرور ،وهو يرفع يده ملامسا شفتيها وبعينيه نظرة واثقة مغوية خطيرة ..هازاً رأسه برفض تابعت المشهد بضيق بالغ واحتقار لهذا التافه المغرور ؛ فهو مثلما كان دوماً لم يتغير ويبدو أنه لن يتغير ، لا تنكر أنه يبدو رائعاً .. كما لو كان أحد نجوم السينما .. بهيئته العضلية الرائعة وطوله المميز وعيناه الرماديتين علي شعره الأسود ,شفتيه الشهوانيتين و بشرته البرونزية .. ليكتمل مظهره البالغ الروعة بتلك البذة الرائعة المخصصة للطيارين .. بدا وسيماً حد الكمال ..وسيماً حد الألم ..كان الجاكت مفتوح وزري قميصه الأمامي مفتوح بينما تتدلى رابطة عنقه بإهمال محبب مستندا بيد على الطاولة خلفه ، بينما يده الثانيه ملقاه بإهمال على وجنة تلك المضيفة المسكينة التي تبدو شديدة الهيام به وبكل ما يبدر عنه

آسر بدر الدين

أصاب قاهرة الحنق وهي تراه يتلاعب بالفتيات أينما حل ..بلا ضميرولا وازع أخلاقي رفعت كوب قهوتها إلي شفتيها الكرزيتين ،وهي تتابع الموقف أمامها بمزيد من الفضول والضيق لا تنكر أنها يوماً منذ قديم الأزل ظنت نفسها واقعة بغرامه حتى اكتشفته على حقيقته ،

فاجأتها نغمة جوالها التي ارتفعت فجأه موقظة إياها من شرودها أجابت على شذى ..ثم أغلقت اللاب توب ،وهي تنهض وضعته بحقيبته ..أشارت للحمال الذي أتى مسرعاً ليحمل حقيبتها طامعاً بإكرامية ضخمة وارتدت نظارتها السوداء الكبيرة التي أخفت نصف وجهها ، وهي تتجه لخارج صالة الانتظار بمطار القاهرة بكبرياء وأنفه وشمم ،وقد تركت خلفها

السخافات مرت من أمامه لتنجذب عيناه إليها كالمغناطيس تلك الحورية الأفريقية بخصلات شعرها المجدولة بألف ضفيرة صغيرة ثائرة هنا وهناك ووشم يديها المميز الغريب الهيئة , ظلت عيناه تلاحقان هذا الطيف المبهر الجمال لتلك الحورية الرائعة بجدائل شعرها السوداء الطويلة ووجهها المرمري ..وجسدها الرائع التقاسيم بفستان طويل يصل إلي الأرض أسود اللون واسع ذى حمالتين متقاطعتين من الخلف لا يزينها سوى إكسسوار من البشت الأورنج بيديها وعنقها وضفائرها الأفريقية الثائرة , كانت تمشي بشموخ كما لو أنها ملكة متوجة ..شموخ وعزة وكبرياء ..اختطف قبعته من على الطاولة تابعاً إياها، وعيناه تلوح بهما نظرة صياد شرسة .. وهو يترك خلفه ساندي محبطة مصدومة من تركه لها بتلك اللامبالاة .

ارتعشت ما إن خطت خارج صالة المطار المكيفه لتفاجأ ببرودة الجو ..إلا أنها لم تتوقف لتخرج شالها الصغير من حقيبة يدها .. كانت تبحث بلهفة عن أختها شذى ..فقد اشتاقت لها فرحلتها للسودان استغرقت شهرين ،وهي مشتاقة لهم كثيراً ..ما إن رأتها حتى تعانقتا باشتياق وشذى تهتف:-

" حبيبتي اشتقت إليك كيف أحوالك ..؟!! هل أنت على ما يرام ..؟!! "

انطلقت ضحكة قاهرة الرائعة، وهي تقول بثقة طبيعية :-" طبعا بخير.. وماذا قد يحدث لي شذى..؟! "

كانت أحياناً تستغرب تفكير أختها التي كانت تعتقد أن سفرها إلي السودان .. أو أي جزء من أفريقيا كما لو كانت ذاهبة إلي مكان موبوء أو مميت نسيت شذى أن مصر هي جزء من أفريقيا .. لكنها لا تستطيع لومها علي تفكيرها هذا .. فهو تفكير الكثيرين .. والخطأ ليس خطأهم .. بل هو خطأ توجهات النظام ..النظام وتوجهاته ذو السياسات الخاطئة ..

التي يغلب على قراراتها الكثير من الأهواء الشخصية للنخبة الحاكمة التي تبحث عن مصلحتها أولا وقبل كل شيء .

فرغم أن مصر أفريقية .. إلا أن توجهات النظام الحاكم همشت تلك الحقيقه بل وربما طمستها بقصد أو دون قصد لكن الوقت ليس مناسبا لإعطاء شذى محاضرة .. بالسياسات الخاطئة لحكومتنا المحترمة .. كما فكرت ساخرة

التفتت إليها ما إن استقرت بالسيارة ..تتسامران بكل شيء, أرادت قاهرة أن تلحق بكافة الأخبار التي فاتتها بمجتمعها المخملي فهي ابنة رجل الأعمال والمليونير الشهير" أحمد السليماني "

ورغم أن والدها رجل عصامي ومفكر مشهور وذو طموحات قومية قوية .. إلا أنه أيضا ينتمي لنخبة المجتمع .. وهي لا تريد أن تحبط آماله بالنسبة لها .. هو من أسماها قاهرة .. فوالدها عاصر حرب أكتوبر بل وشارك فيها .. رجل محمل بأحلام القومية والعروبة والوطنية .. وقد تشربت قاهرة كل ذلك منه ..انطلقا في طريقهما وهما يتحادثان بمرح .

*****

ضاعت منه تلك الفاتنة في ازدحام المطار ما بين قادم ومسافر تنهد بعبث ، وهو يبتسم ساخراً يبدو وكأنه طير لا يريد الوقوع بمصيدته ..استقل سيارته ، وهو يرمي جاكته بالمقعد الخلفي بإهمال ،ويجذب ربطة عنقه لتلحق بها ..كان يشعر بإرهاق .. ويأمل بنوم عميق شغل محرك الاسطوانات بسيارته لتصدح السيارة بصوت فيروز الشجي

وأغنيتها الرائعة" اكتب اسمك يا حبيبي "

ليندمج معها ..يرخي عنه تعب اليوم الشاق ..مبتسماً باستمتاع .. لطالما كان من عشاق فيروز .. كان الليل قد أسدل ستاره وبدت القاهرة كما تعود دائما أن يراها كعروس بأبهى حلة ..مضاءه بألف وألف لون ..إعلانات النيون في كل مكان ..صخب الشوارع والسيارات والناس ..القاهرة كانت مدينته التي لا تنام وعشقه لها يفوق الحد .. رغم جروحها التي أدمته بها إلا أنه لا يملك إلا أن يعشـــقها ,خرج من استغراقه التام ..حين لمح سيارة متوقفة علي جانب الطريق لم يكن ما لفت انتباهه السيارة ولا الوقت المتأخر إنما هي تلك الحورية التي تأبى إلا أن تكون بطريقه ..أو هو القدر يأبى إلا أن يلتقيا ..اتسعت ابتسامته ، وهو يعهد لنفسه بألا يتركها تلك المرة تفلت من بين يديه ..توقف ببطء وهدوء إلي جانب السيارة ليراها بفستانها الأسود الطويل ، وهي تتحدث إلي شخص ما بداخل السيارة .. تهادي إليه صوتها كما توقعه ساحراً ناعماً ..جذاباً يوحي بأنثى هي أروع من جميلة .. يبدو أن السيارة تعطلت منهما تقدم إليها بخطى تشع ثقة بالنفس وابتسامته تتسع بغرور ابتسامة شخص يثق بتأثيره على من حوله وخاصة النساء توقف أمامها بينما كان ظهرها له ليقول بكل لطف :-" هل تحتاجان إلي مساعدة ما ..؟!! "

التفتت إليه كمن لدغتها حية .. لم تنطق بحرف واحد .. فقط نظرتها الكارهة له هي ما ظلت بينهما .. طال الصمت واشتدت الرياح .. قطع اتصال نظراتهما صوت شذى ،وهي تفتح باب السيارة قائله بلهفة :-" نعم نحتاج مساعدة ..أنا شاكرة لك جزيل الشكر أنك توقفت لمساعدتنا .."

اعتدلت شذى لتنظر إلي وجه منقذهم لتصمت هي الأخرى لكن برد فعل مختلف تماماً عن قاهرة إذ همست بتوتر اختفى سريعاً لتبدو عيناها غامضتين :-" آسر ..؟!! آسر بدر الدين "

انتبه لها وهو يبعد عينيه الرماديتين عن هذا الوجه المرمري قائلاً بدهشة :-" هل تعرفيني..؟! "

قاطعت قاهرة المتوترة استفساره ،وهي تجذب شذى من يدها قائلة بجفاف وكبرياء ورفض :-" نحن لا نحتاج مساعدتك .. فالمساعدة آتيه بالطريق "

بدأ توتره يتزايد تلك الفتاة تكرهه .. اشتعل التحدي بعينيه والقسوه بوجهه وهو يخاطبها بجفاف قائلاً :-

" سواء احتجت مساعدتي أم لا .. فأنا لم أطلب إذنك لأقدمها .. لن أترك فتاتين علي الطريق بتلك الساعة المتأخرة دون مساعدة ..أخلاقي لا تسمح بذلك "

حين نظرت له ساخرة علي جملته الأخيرة أكمل بسخرية جافة :- " وقبل أن تشكريني ..أخبرك أنا لا أحتاج شكرك لي "

امتازت غيظاً من غروره ،وهي تهتف بوجهه بغضب :- " أيها المغرور لم ولن أشكرك ولو علي جثتي يا لبرودة دمك أخبرتك نحن لسنا بحاجتك "

تدخلت شذى وهي تجذب قاهرة من يدها بعيداً عنه قليلاً .. قائلة بصوت متوتر:- " اهدئي قاهرة .. "

نظرت بعينيها وهي تهمس لها :-" نحن نحتاج فعلا لمساعدته .. أرجوك كوني لطيفة معه "

ضغطت قاهرة على أسنانها، وهي ترى نظراته الشامتة المتشفية بها ،وهي تقول لـ شذى :-" علي جثتي ..

دعيه ينصرف فأحمد على وصول .. ولو قدر لنا أن ننتظر ساعة أخرى أفضل لي من تقبل المساعدة من ذاك المغرور المتفاخر.

تمالك أعصابه وهو يلتفت إلي شذى موجها لها الكلام متجاهلا تلك الحورية المتكبرة المغرورة .. رائعة الجمال :- " لقد ذكرت أنك تعرفينني.. "

ابتسمت شذى بهدوء ، وقد استعادت سيطرتها على أعصابها قائلة، وهي تحاول أن تلطف الجو المتكهرب قليلاً :-" بالطبع أعرفك ألا تتذكرني..؟!! "

بدت يائسة لقاهرة ما أثار حنقها أرادت الجلوس بالسياره وإغلاق الباب بوجهه بكل صفاقة كطفلة مشاغبة إلا أنها لم تستطع أن تنكر أو تقاوم فضولها لرؤيته عن قرب فهو بالنسبة لها شخص جدير بالمتابعة والدراسة ككائن بغيض غريب بالغ الوسامة لكنه فارغ من الداخل ، وهذا ما هي متأكدة منه, أكملت شذى :- " أنا شذى السليماني "

حين نظر إليها بعدم معرفة أصابها الإحباط ، وهي تقول :- " آسر ألا تتذكرني أنا شذى ,شذى السليماني صديقة أختك هدى منذ الطفولة.. "

التمعت الذكرى برأسه ..شذى صديقة هدى بالدراسة هتف بسرور " آه شذى .."

خبط رأسه بيده وهو يبتسم ابتسامته القاتلة وشفتاه تتقوسان :- " شذى السليماني كيف حالك؟!!"

آسف لم أتعرف عليك لقد مر الكثير من الوقت منذ رأيتك آخر مرة "

قالت شذى بابتسامة :- " نعم آسر لقد مرت سنوات كثيرة كيف حالك.؟!! "

تابع الابتسام بفتنته الطبيعية وهو يستند بجسده الضخم على السيارة قائلاً بأريحية بداية خطة تتكون برأسه :- " أنا بخير.. وأنت..؟!"

" أنا بخير"

قالت شذى وقد تلون صوتها ببعض الفخر وهي تكمل :- " لقد تزوجت وأنا أم لطفلين الآن "

" حقاً هذا رائع أنا سعيد من أجلك "

بلغ ضيق قاهرة آخره وهي تراهما يتسامران بمنتصف الطريق بهذا الوقت من الليل..يتسامران بينما هي في غاية التعب والنزق ضغطت على بوق السيارة، وهي تضغط على شفتها السفلى المكتنزة بغيظ لا تدري سببه تحديداً فهو يثيرأعصابها

ابتسمت شذى قائله :- " آسر هل تستطيع إصلاح السيارة أم ننتظر قاطرة الورشة "

قال وقد أتته فرصه لن يضيعها من يده :-" لا.. لا مجال لإصلاحها بهذا الظلام أو ذاك الوقت فلتأتيا معي سأوصلكما "

ثم أضاف :- " اتركي السياره هنا للصباح وأنا سأقطرها لكم وأوصلها لمنزلكم "

قال بتساؤل بريء بظاهرة :- " ألازال منزلكما ب6 أكتوبر..؟!! "

قالت شذى بابتسامة بسيطة :- " نعم كما هو ... "

فقال مبتسما :- ".. هيا بنا .. نادى على قاهرة حتى نذهب .. وأغلقا السيارة جيدا "

ما إن انتهى من جملته حتى اقتربت منهما سيارة تضيء المنطقة قبل أن تتوقف نزلت قاهرة من السيارة ،وعيناها تلمعان بالانتصار بطريقة أثارت توتره وهي تقول بفرح :- " ها قد أتى أحمد .. "

لم تنتظر توقف السيارة تماماً إذ أسرعت إليها تستقبل القادم الجديد بترحيب أثارضيقه " هيا شذى "

نادت قاهرة بتجاهل تام له وأكملت :- " لا نحتاج أي خدمات من شخص لا نعرفه "

كانت إهانة متعمدة ومباشرة..وأصابت هدفها إذ توتر وجهه وهو يعتدل بوقفته جعلت شذى تخفض بصرها بخجل وتوتر بينما تقدم أحمد من السيارة، وهو شاب وسيم يبدو ضئيل الحجم قليلاً بالخامسة والعشرين من عمره اقترب يلقي التحية على آسر بفضول لم يستطع إخفائه قائلا :- " أحمد مهران "

نظر آسر إلى يده الممتدة بضيق بالغ .. وقد بلغ عناده مستوى لا تراجع بعده فمد يده بجفاف قائلا بتكبر:- "آسر بدر الدين "

بدت ابتسامة أحمد ودودة صادقة وهو يقول :- " تشرفنا "

ثم التفت إلى شذى قائلا :- " هيا شذى سأوصلكما بنفسي "

ثم التفت إلي آسر قائلا بمودة ولطف :-" نأسف لإزعاجك أيها السيد وشكرا لتوقفك لمساعدتهما لكنني أتيت الآن ولا حاجه لتعبك .. سأوصلهما بنفسي "

بدا آسر يختبر شعورا جديدا عليه بالضيق والغضب وربما الحقد تجاه هذا الـ أحمد الذي يوشك على تحطيم مخططه لتلك المتكبرة المغرورة

فقال بهدوء قاتل يخفي خلفه تصميم لا يعرف الرحمة :- " لا شكر على واجب لكننا لسنا غرباء فنحن معرفة قديمة .. شكرا لك مساعدتك لكنني سأوصلهما لا مجال للنقاش "

أكمل بتعجرف :- " وتستطيع أنت قطر السيارة وجلبها وراءنا "

ذهل أحمد من عجرفة هذا الرجل فتلعثم لايدري ما يقول .. إلا أن قاهرة قالت بكبرياء وشموخ وغضب قوي :- " أنا لن أذهب معك فأنا لا أعرفك .. هيا أحمد .. أما أنت شذى.."

أكملت ساخرة وبقسوة :- " تستطيعين المجئ خلفنا مع ....."

ألقت عليه نظرة فوقية جعلته يستشيط غيظا ويقسم على تأديبها " صديقك

الفصل الثاني

ذاكرة . فقط

هُنالك مواسم للحماقات .. وأخرى للندم ..

ومواسم للعشق .. وأخرى للألم ..

احلام مستغانمي

*****

كان يشتعل غيظاً فهي تستفزه تلك الـ

ربما كان الموقف أكثر بساطه من التعمق به أو أكثر تفاهة من التشبث به ..لكنه كان يشعر بالملل وهي أعطته بكراهيتها بتحديها ,بغموضها .. بجمالها شيئاً ليتسلى به, سيلقنها درساً صغيرا ليخفف من غرورها ويتسلى قليلاً التفت إلى شذى الصامتة بجواره بعدما ظل صامتاً معظم الطريق.. وقد بدأت أنوار الفيلا الرائعة تتضح أمامه قائلا بنبرة لطيفة، وهو يشعر بحماسة اللعبة، وقد بدأ يجري بدمه :- " أخبريني شذى..لماذا لم تعودي علي صلة بهدى ؟! هل حدث بينكما شيء ما ..؟! "

قالت بنبرة هادئة :-" إنها الظروف فأنا بعدما تزوجت سافرت خارج البلاد لمدة سنتين بسبب ظروف عمل زوجي .. وحين عدت كانت هدى تزوجت و لا أدري لما لم أعاود الاتصال بها ..؟!! وهي أيضا لم تفعل. "

هزت كتفيها بارتباك كانت السيارة قد وصلت حتى مدخل الفيلا فتوقف بصمت حين أتى صوتها هادئاً مضيافاً وهي تدعوه :-" تفضل لشرب فنجان من الشاي قبل عودتك .."

ابتسم بلطف وهو يكمل دوره الذي خطط له قائلا بابتسامة ساحرة :-" شكراً لا داعي لهذا .."

أصرت شذى قائلة :- " هذا أقل شيء نقدمه لك على ذوقك معنا .. أرجوك لا تخيب أملي بالإضافه إلى أن أبي وزوجي سيرغبان بشكرك "

ترجل وهو يتأمل الفيلا الرائعة ..لم تكن تختلف كثيراً عن طراز فيلا العائلة لديه ,فيلا من دورين وسور من الحجر الأسواني الضخم الأسود اللون.. يلتف حول الفيلا بوابة حديدية ضخمة ما إن فتحت حتى ظهر خلفها ممر طويل يصطف على جانبيه شتى أنواع الزهور فاحت منه رائحتي الفل والياسمين، وهما الأزهار الغالبة على البيوت بتلك المنطقة ,أوقف السيارة خلف سيارة أحمد ،وترجل منها بقدميه الطويلتين.. نزلت شذى وهي تسبقه للداخل لتخبر والدها وزوجها بقدوم الضيف غير المتوقع تمطى بأريحية بجسده الفارع الطول، وهو يراقب قاهرة بعينين ضيقتين ماكرتين تخططان لتلقينها درساً لا تنساه ! أنزل أحمد حقائبها ليحمل إحداها بكل شهامة وهو يتجه للداخل كما لو كانت قدماه اعتادتا على المنزل أو كأنه أحد ساكنيه بينما جاهدت هي لسحب الحقيبة الأخرى من صندوق السيارة.. متجاهلة الخيال الصامت بكل كبرياء عاكستها الحقيبة لثقل وزنها ،وهي تجذبها دون أن تغفل عن العينين اليقظتين اللتين تراقبانها

" أوه .."

همست بنرفزة، وهي تضغط بأسنانها بقوة على جانب شفتها المكتنزة بغيظ .. حين فوجئت بساعدين يحشرانها بين جدار صدره الصلب والسيارة شهقت بعنف ، وهي تحاول دفعه بعيدا..متى تقدم منها وكيف تقدم منها دون أن تشعر ..يبدو كفهد أسود ضخم ...وقد باغت فريسته على حين غرة .. لم تستطع دفعة قيد أنملة .. فقد بدا صدره كجدار صلب من الجرانيت ..رفعت يديها بعيدا عن صدره كما لو أنها مست تياراً

كهربياً عالي الفولت ،وبدت بعينيها الصدمة بينما بدت بعينيه هو نظرة الصياد الذي حاصر فريسته بعد طول صبر تراجعت للخلف أكثر حتى اصطدمت بالحقيبة تشعر بالارتباك و الغضب من جرأته، رفعت وجهها إليه بصعوبة وعيناها تقدحان شرراً لتتقابل مع عينين تنضحان مكراً وإغواء وسحراً رفع حاجبه ما إن فتحت فمها لتوبخه ليصمتها بوضع إصبعه الطويل فجأة علي شفتيها ما أخرسها .. وتكونت كتلة ضخمة بحلقها منعت عنها التنفس الصحيح .. لم تدر أهي من شدة الغضب .. أم الصدمة أم شعور آخر جعل ركبتيها تتخلخلان خاصة أنها لم تكن أبدا على مقربة من رجل لهذا الحد..؟!!

همس لها بنبرة قوية واثقة وعيناه تبرقان بالقوة والتحدي والنزق :- "هششششش .. اصمتي "

قالها أمراً برقة :-" فقد حان دوري للكلام ..! "

التمعت عيناه ولفحتها أنفاسه بقسوة .. حيث بدا وجهه قريباً منها للغاية لم تر غيره بالظلام اشتد سواد عينيه الرماديتين بهذا الظلام تلتمعان بمزيج من نار وثلج ما جعلها تعاود الضغط علي شفتيها المكتنزتين بتوتر حتى شعرت بطعم الدم بفمها، وهو يقول بهمس هادئ وصوت أجش مسيطر:-" لا أدري لم تكرهينني لكنني أنوي أن أعرف وحين أعرف ..!! "

ترك باقي الجملة معلقة ومد إصبعه مرة ثانية وكأنه أسير شيء ما يفوق إدراكه وإدراكها لمس شفتها المتورمة لينظر لنقطة الدم الصغيرة بغموض رفع عينيه بنظرة بدت كبحر جارف من الموج الأزرق الناري ،أخذت نفسا مرتعشا ،وقد اختفت كل جرأتها ونزقها وغضبها ،وحتى شجاعتها أمام ما يحدث إلا أنها قالت بعناد وهي ترفع رأسها بكبرياء ترفض ترهيبه لها :-" وماذا ستفعل حين تعرف ؟!"

لم يجب سوى بابتسامة غامضة أثارت حنقها أكثر لتقول بتحدي وعيناها تلمعان بقوة :-" ولماذا تعتقد أساساً أنني أكرهك ..لأكرهك يجب أن يكون لدي شعور تجاهك وأنا لا أعرفك حتى ! "

ابتسم بمكر لا ينكر أنه يجد متعه بمشاغبتها له ، وهو يقول :-" آه بل تعرفيني .. أنسيت أنني اكتشفت من تكونين ..؟!! لكن يجب أن أعرف لم تكرهينني "

توترت لكنها ابتسمت بسخرية، وهي تقول :- " لا تغتر بنفسك كثيرا .. ألا تظن أنك تظن بنفسك أهمية كبرى "

اختلجت عضلة بخده ، وهو يشعربالمتعة بينما كان يجب أن يشعر بالضيق ..إلا أنه يشعر بالمتعة فتحديها واستفزازها له بدأ يأخذ شكلا جميلا بالنسبة له ..بدأ يستمتع وهو لم يستمتع بمناوشة منذ مدة اقترب بوجهه منها بذاك الركن الضيق حتى أوشك علي أن يلامسها ..رفع إصبعه وأنفاسه تلفحها بقوة بدائية قد ترهب العديدين، لم تنكر أنها منهم لكنها ستكون ملعونة إن أظهرت هذا بأي طريقة كانت تحدق بوجهه بثبات وهي ترفع حاجبا بتساؤل فمد إصبعه يعيد خصلة من شعرها للخلف شهقت بغيظ، وهي تدفعه بيدها قائلة :- " أنت وقح لا تلمسني وابتعد عني حالا "

بينما قال هو بفحيح دون أدني تأثر بيديها اللتين كما لو كانتا رفرفة فراشة علي جدار صلب من الجرانيت :" أحذرك لا تستفزيني أكثر من هذا قاهرة ..فأنت لا تعلمين إلي أي مدى قد أتهور إذا غضبت !! وأنا إلى الآن أنظر للوضع بتسلية "

اتسعت ابتسامتها الساخرة، وهي تثبت لنفسها صدق ظنها بتفاهته ، وهي تقول :- " أهذا تحذير من نوع ما ؟!! "

التمعت عيناه وهو يقول :- " اعتبريه هكذا إذا أحببت "

فقالت له بتحدٍ :- " هذا عادل بما يكفي ..لكنني أحذرك أنا أيضا ...أنا لا أخسر بسهولة ..! "

مد إصبعه يلمس خصلة من شعرها بوقاحة جعلتها تجذب رأسها بعيدا عنه ، فاتسعت ابتسامته ، وهو يقول بصوت خفيض مبطن كما القطيفة الناعمة :- أتعلمين ..أنت تبدين لي كقطة صغيرة اكتشفت أن لها مخالب تريد تجربتها علي باقي القطط .. لكنها اصطدمت بفهد .. فاحذري من استفزاز الفهود "

همت بالكلام إلا أنه ابتعد عنها فجأة بكبرياء وغموض ،وهو يسحب الحقيبة الضخمة واضعا إياها على الأرض بقوة انتفضت لها ظلت مسمرة بمكانها في حين اقتربت خطوات شذى العائدة إلي جانب الأصوات الرجولية التي أخذت تتعالى حين اقتربا منهما التفت آسر إليهم بابتسامة مشعة كما لو لم يحدث شيء ، ألقى التحية بينما ظلت هي تستند إلى السيارة، ونبضات قلبها توشك علي خنقها تعالى هسيس أنفاسها بغضب أخذ يتعالى كالموج الهادر لجرئته لوقاحته لتجرؤه على لمسها اشتعلت عيناها بالنيران غافلة عن الحوار الدائر بينه وبين والدها وتوفيق زوج شذى ،دعاه والدها للداخل ورحب به توفيق بهدوء وابتسامة دافئة رفع الحقيبه إلى الدرج بيد واحدة، وهو يبتسم بثقة كأنها لا تزن شيئا رغم تأكدها أنها تتعدى العشرين كيلو علي الأقل .. لم تدر ما أصابها ساعتئذ لكن ما سيطر علي تفكيرها أنه يجب ألايخطو بقدميه داخل منزلها..لا يجب أن تدعه يقتحم حياتها أو أمانها .. أتى صوتها باردا ..لا مباليا

بشراسة، وهي تقول ببرود أقوى وقعا من أشد عاصفة غاضبة رآها أهلها بها يوما :-

" من فضلك اترك حقيبتي أرضا ..واخرج من بيتي "

*****

تأففت بضيق وهي تنفض غطاءها بعيدا رغم برودة الجو .. هرب منها النوم وقض مضجعها صورة عينين بلون شمس الصحاري تنظران لها بغموض بكبرياء وصمت، اعتدلت جالسة وهي تلملم خصلات شعرها الثائرة إلي الخلف .. شدت الغطاء على جسدها المكتنز قليلا .. تبغي بعض الدفء .. بدت عيناها مضيئتين حائرتين بالظلام ..ارتعشت وهي تتذكر ذلك الحلم الغامض .. لا ينفك يعاودها .. لشخص مجهول لا تعرفه .. لكنها لا تستطيع نسيان نظراته .. عينيه لاتتذكر من الحلم كالعادة سوى عينيه !! ..انتفضت على أثر تكة مقبض باب حجرتها ..لتتسع عيناها برعب ويبدأ قلبها بتسارع دقاته انحبست أنفاسها بحلقها خوفا ..وكتمت أنفاسها المتبقية بصدرها تخشى أن تتنفس حتى لا يعرف أنها مستيقظة .. نظرت إلى الباب المغلق والمفتاح به ..إلا أن ذلك لم يمنع رعبها من التزايد والتصاعد حتى أوشكت على الإغماء ..نهرت نفسها .. "يجب أن تظل مستيقظة .. يجب أن تظل مستيقظة"

أخذت تردد لنفسها ..فلو أغمى عليها هزت رأسها برعب ترفض حتى التفكير بهذا ،ترفض التفكير بما يمكن أن يحدث إن أغمى عليها يكفيها مرة واحدة بالعمر أغمى عليها بها ولا زالت إلى الآن تحيا تبعاتها القاهرة المؤلمة القاتلة ..! لا تدري ما تغير بها اليوم فهي كانت دوما لا تعترض فلا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها ،وهي كانت مذبوحة .. مذبوحة حتى لم يبق بها قطرة دماء .

أخيرا بعد ما بدا دهرا وليس ثوانٍ ارتحلت الخطوات الثقيلة البغيضة بعيدا عن باب حجرتها لكنها لم تجرؤ على التنفس كانت يدها مضمومة بقبضة متشنجة بحلقها والأخرى على قلبها تحاول أن تهدئ من دقاته الصاخبة المفزوعة خرجت أنفاسها على شكل زفرات متقطعة بطيئة مرتعشة ..آلمتها عيناها من شدة تركيزها على الباب دون إغلاقهما ولو للحظه ..تخشى إغماضهما كيلا يفاجأها وجوده بالغرفة هدأت أنفاسها وهدأ رعبها بطأت صخب دقات قلبها .. أغمضت عينيها لتتساقط الدموع الصامتة، ويعلو نشيجها المكتوم ها ان ليله أخرى مرت حالفها الحظ بها ولم يكن عنده من الرغبة الكافية في قتلها , بمضغها ثم بصقها كما لو كانت قطعة من اللحم الفاسد إلى متى تستطيع الاحتمال ..إلى متى !! وهي تشعر أن لا سند لها ولا أب ..بكت , لو !!فقط كانت تستطيع الاستنجاد بآسر فقط لو تستطيع أن تخبره , لكن أليس آسر هو السبب .. أليست بهذا العذاب كله بسببه ..؟!! كيف تستطيع أن تخبره ..!! تذكرت ماحدث ارتمت على السريربضعف وإنهاك ، وهي تعيد المشهد القاسي الموجع .. أغمضت عينيها وهي تتذكر خطوه خطوه.. نبضه .. نبضه وجع ..واحتضار ..!! لطالما ضايقها مروان ..لطالما ضايقها بتلميحاته الحقيرة علي الدوام.. كان دوما يرميها بنظراته الوقحة السمجة اللزجة .. بمظهره المقزز ذاك .. لم يكن قبيحا .. لكنها كانت تكره مظهره . اشتكت لآسر كثيرا منه .. بالبدء تضايق آسر لكنه لم يرد أن يثير مشكلة .. حذره عدة مرات تحذيرا شفويا ،حتى تجرأ مروان ذات مرة وحاول تقبيلها رغما عنها ،وحينها هرعت لآسر تحكي له، وهي باكية خجلة لكنها أدركت صواب ما تفعل حين اشتعلت عينا آسر الرماديتان بغضب قاتل وهو يخرج من المنزل كأن الشياطين تلاحقه عثر على مروان ، ولم يتركه إلا وقد كسر له ذراعه وحطم فكه ،وأصابه بارتجاج ظل على أثره بالمستشفى لمدة شهر ونصف ،شعرت لحظتها بالأمان والفرح وهي تدرك أنها دوما ستجد آسر

حولها يحميها إلا أن ما لم تتوقعه كانت ردة فعل والدها الذي غضب من آسر لأول مرة بحياته ثار وصرخ بوجهه حتى أنه طرده من المنزل ..! لم تدر ساعتها هل غضبه على ابن أخيه بدلا أن يكون على ابنته ..!! هل غضبه على ابنه لأنه رجل حمى أخته ..؟! موجع كان ذاك الشعور .. موجع حد الألم ..موجع بما يتخطى الألم ،ذاك اليوم أخبرها بتلك اللهجه التي لن تنساها أبدا بصرامة وحزم :- " إن مروان سيصبح زوجك ولا مجال للنقاش ،ويجب عليك أن تعتادي عليه .."

صدمت ..ذهلت شعرت بأن هناك ما هو خاطئ ..كانت تعرف أن والدها قاسٍ لطالما تحملت قسوته إلا أنها لم تعتقد يوما ان يصل لهذا الحد يجبرها على زواج لا تريده ويطرد ابنه الوحيد لأنه دافع عن شرف ابنته ..! كانت تلك نقطة فارقة بحياتها ..منذ ذاك اليوم لم تعد تنظر إلى والدها كما كانت تراه ..قديما كانت تلتمس له الأعذار لقسوته لكن منذ ذاك اليوم ..بدأت تصحو على واقع مؤلم لواقع أشد إيلاما ..!! وكأن القدر يأبى إلا أن يخبئ لها الألم كأن عليها أن تتجرعه رشفات بطيئا كالسم الذي يتسلل إلى جسدنا دون شعور بالبدء ..بطيئا .. بطيئا حتى يبدأ مفعوله يسري بالشرايين ليصبح الألم لا يطاق ..قاتـل ببشاعته بعنفه بقوته بألمـه .

كانت تستذكر دروسها كالعادة بينما الم معدتها يتزايد مهلنا اقتراب الالم الشهري حين أعلمتها شادن الصغيرة بأنه بالأسفل بصحبة والدها اعتكفت في حجرتها على أمل مغادرته دون أن يراها دون أن يعطيها إحدى نظراته الوقحة أو تعليقاته البذيئة ،كانت تتحاشاه منذ ذلك اليوم حين طرد آسر من المنزل ،لكن يبدو أن طرد آسر لم يفعل سوى أن شجعه أكثر ،وأصبحت جرأته أكثر كأن والدها أعطاه إذن غير معلن بانتهاكها!! دخل عليها حجرتها وهي تستذكر لم ترفع عينيها عن الكتاب ظنا منها أنها شادن

أو إحدى الخادمات :لكنها تفاجأت بباب الغرفة يغلق ببطء وهدوء وتكة المفتاح ترن بأذنها بوقع أخافها فرفعت عينيها باستغراب لتتوتر وينقبض قلبها، وهي تراه ينظر إليها بطريقة جعلت الدماء تجف في عروقها خرج صوتها متحشرجا مرعوبا وهي تراه يقترب منها ونظراته تطوف علي جسدها بوقاحة قائلة :- " مـاذا تفعل هنـا ؟!! أخرج قبل أن أنادي أبي "

ابتسم ابتسامة كريهة صفراء،وهو يقول لها بينما يزال مستمرا من الاقتراب منها :- " أتطردينني من حجرتك قبل أن تلقي التحية علي ؟!! "

جلس بجوارها فهبت فزعة من السرير لتبتعد عنه إلى أقصى ركن بالحجرة لكنه كان سريع الحركة فأمسك بها وهو يقترب بأنفاسه اللاهثة الكريهة منها قائلا :- " لا أدري لما لا تحبينني أنت تعلمين أنني أحبك .. "

هزت رأسها بعنف وشعرها قد فك من عقاله برفض قاطع بينما بدأت الدموع تلمع بعينيها بقسوة تخشبت من الرعب ،وهي ترى نواياه الحقيرة بعينيه قالت بخوف ورعب حقيقي :- " لا تلمسني "

اتسعت ابتسامته الكريهة، وهو يقول بصوت تملؤه الرغبة الفجة :- " ولم لا أنت تعلمين أننا سنتزوج ويجب علينا أن نوطد أواصر علاقتنا "

هزت رأسها بالنفي ،وقد بدأت دموعها تنزلق برعب من عينيها بينما بدأت تشعر بجسدها يتخدر برعب وفزع ،وأن عقلها يصرخ طالبا منها أن تفكر، اقترب أكثر بوجهه من وجهها شلت كل أطرافها، وتوقف عقلها عن التفكير وهي تسقط في شبه غيبوبة من الفزع والخوف والرعب ..فتحت فمها بمحاولة أخيرة للصراخ رغم أنها تدرك أنها فقدت صوتها وصار حلقها جافا ..كأنه مقطوع من الحنجرة للحنجرة إلا أنه قال بنية شريرة،

والعنف يلوح بعينيه :- " لا تتعبي نفسك لا أحد هنا فعمي خرج هو وشادن "

لمعت عيناه ببريق مهووس مجنون جعلها تفقد أنفاسها برعب وهو يكمل :- "ولا أحد لا أحد بقادرعلي إبعادك عني فأنت لي للأبد "

ليغمى عليها ،وتلك كانت أول مرة يغمى عليها بها ..!! ارتفع نشيجها وبكاؤها ،وهي تلوم نفسها للمرة المليون فقط لو لم يغم عليها لو استطاعت صده .. لو لم تكن بذاك الضعف والجبن .

*****

مضيت أسائلُ نفسي كثيراً

تُرى أين وجهي..؟!

وأحضَرْتُ لوناً وفرشاة رَسم.. ولحناً قديما

وأصبح وجهي على كل شَيْءٍ رسوماً..رُسُوماً

ولكنّ وجْهيَ مَا عَادَ وجْهي..

وضاعَتْ مَلامِحَ وجْهي القَديمْ

(فاروقْ جويدةْ)

مر يوم

أو يومين أو بضعة أيـام

و هلت تباشير الشتاء .. استيقظت هدى ،وهي تشعر بقليل من هدوء وصفاء روح يجتاحها .. يبدو أن الخروج من المنزل يؤتي ثماره فهي أصبحت تتشوق بداية كل يوم لأنها تعلم أن بدايته ستكون الخروج قليلا من ذاك السجن إلا أنها كانت تعيش برعب حين تعود .. فمروان كأن يتأمل ملامحها بشيء من التحفز كأنه يبحث عن لمحة سعـادة أو راحـة ليعاقبها عليها .. لا تستطيع معرفة كيف يتعامل مع البشر بوجـه ومعها هي بوجـه آخر مختلف تمام الاختلاف تكرهه ..تكرهه بعنف اتجهت إلي المرأة ..تتأمل ملامحها بحزن لم تقف أمام المرآة أو تنظر إليها بتمعن منذ زمن ،ولم يكن يهمها لكن اليوم اعتراها الفضول تحاول أن ترى ماذا يرى من ينظر إليها لم تكن جميلة ولا رائعة الجمال ..عينين عسليتين عاديتين رموش عادية وحاجبين مرسومين بشكل جميل بعض الشيء شعرها متوسط الطول هزيل لإهمالها له بني اللون لا شيء مميز، أنف معتدل شفتان بدون ملامح ..لاشيء مميز..لم تستطع أن تتعرف على ملامحها القديمه كيف كانت ،وهذا الوجه لم لا تعرفه ..تنظر إليه باستغراب شديد تكرهه اكتشفت أنها تكره ذاك الوجه الذي يطل عليها من المرآة .. لوكانت جميلة للعنت جمالها الذي جعل مروان يفعل بها ما فعل ؛ لكنها ليست جميلة هي عادية ..!

بدأت تعتقد أنها من كثرة ما تألمت .. فقدت الإحساس بالألم ..أحيانا كانت تصطدم بالأشياء ولا تتألم تستغرب بعدها حين تجد كدمات مختلفة الألوان والأشكال، تستغرب كيف لم تعد تشعر بجسدها ..أصاب جسدها الخدر إلا أن روحها تأبى إلا أن تتألم ،وهي لا تريد لها ذلك .. تريدها هي

الأخري أن تصاب بالخدر أو حتى بالموت ربما حينها تستطيع أن تحيا بدون تعب، غسلت وجهها بالمياه الباردة مرة والثانية والثالثة .. تخدر إحساسها ،ارتدت ثيابها كالعادة فستانا قطنيا طويلا أسود اللون وجاكيت أسود مثله حجابها يميل إلى الأزرق الهادئ ،وحقيبة سوداء ،رفعت حقيبتها حين أتت طرقة على بابها التوى فمها ساخرا باشمئزاز " منذ متى يطرق الباب..؟!"

لم تجب لأنها تعلم أن رفضها دخوله لن يمنعه من ذلك وبالفعل فتح الباب ببطء ليتقدم خطوة إلى الداخل سائلا إياها بهدوء مزيف :-"أأنت ذاهبة إلى مكان ما ؟ "

أجابت بحذر حتى لا تثير أي ردة فعل لديه :-" إلى الجامعة لدي محاضرات.."

ارتفع صوته قليلا بتوتر وهو يقول :-" أرى أنك أحببت الجامعة ..!"

تنهدت وهي تخفي خوفها وبغضها له جيدا، يالتلك اللعبة الملتوية التى يلعبها معها كان هو من أصر على إكمالها لدراستها هو من أجبرها فعليا لإكمال دراستها حين رفضت أجبرها ترفض التفكير بالطريقه التي أجبرها بها ،ليس الآن ليس أمامه لا تستطيع إبداء أي رد فعل أو أي شعور أجابت بحذر ولا مبالاة :-" أنا لا أحبها ولا شيء من ذاك القبيل أنسيت أنك من أردت مني الذهاب "

كانت غلطة فقد لمعت عيناه بطريقة سادية، وهو يتذكر كيف أجبرها فاستدركت قائلة تحاول أن تبعد تفكيره عن تلك الطريقة، شعرت برغبة في التقيؤ بالهرب بالفرار لكن إلى أين ،وهل للفريسة النفاذ من بين

مخالب الضباع ..؟! " لكنها محاضرات مهمة والآن اسمح لي بالذهاب .. فأنا لا أريد أن أتاخر"

ابتعدت عنه خطوة باتجاه الباب حين امتدت يده إليها يجذبها إليه بعنف وقسوه ونظرة كريهة تعرفها تملأ ملامحه، وهو يقول بصوت يقطر سما ورغبة فجة سادية :- " ومن قال إنك ستذهبين اليوم فأنا أريدك الآن .."

أصابها الاشمئزاز والرعب وبدت النيران تشب بمعدتها ،كما دوما حينما يقترب منها أو يلمسها غشيت عينيها بدون إرادة منها نظرة فزع جعلته يضحك باستمتاع تراجعت للخلف خطوة؛ لكنه أمسك بها بعنف أغمضت عينيها بشدة ,توقف لثانية يتأمل ملامح الفزع على وجهها بشيء من الاستمتاع، ثم ما لبث أن ألقاها على السرير خلفها بكل قسوة ووحشية يقتلها ببطء وألم .. حاولت مثل كل مرة مقاومته إلا أن ذلك لم يكن يأتي بفائدة سوى بزيادة تعذيبه لها لتيأس في النهاية .. وتستلقي جثة هامدة لاروح فيها لم يكن يهمه أنه يأخذها جثة هامدة باردة أبرد من لوح ثلج ،ربما كان هذا ما يرضيه بشخصيته الملتوية المريضة , ربما كان يرضيه ما اعتبره خضوع منها ..

ولأول مرة حاربت وقاومت ألا يغمى عليها ,لن تجعله ينال رضا رعبها منه حتى الإغماء .. لتتفاجأ بأنه توقف عن محاولاته ،وهويلفظها بكل عنف ,رفع وجهه ينظر إليها بغضب بحقد .. فرغبته السادية لم تكتمل , لأول مرة يشعر ببوادر مقاومة منها منذ تلك الليلة .. وأخافه هذا .. أخافه كأي جبان .. نظر إلى تلك الدمعة التي انزلقت بصمت على وجنتها ليقترب ببطء مقبلا إياها وهو يهمس بصوت غريب :-" حتى دموعك هي لي وحدي لا تنس ذلك "

لفظها وهو ينهض قائلا لها بلهجة باردة ،وقد فشل بوصمها لأول مرة بذلك اليوم :- " هيا وإلا ستتأخرين على محاضراتك ..!

*****

مر يوم

أو يومين أو بضعة أيام

و هلت تباشير الشتاء ..ابتسمت شادن ، وهي تتأمل الجو خارج حجرتها حيث عصفت بعض الرياح بأشجار الياسمين المتفرعة على أسوار الفيلا ،هبت رائحته الرائعة استنشقت بعمق ، ثم التفتت تكمل ارتداء ملابسها بابتسامة سعيدة ألقت نظرة على نفسها في المرآة كانت قد ذهبت لعلاج شعرها ذي الطبيعة الثائرة وخصلاته الخشنة المتبعثرة ليصبح ناعما أملسا ينزلق على ظهرها بكل حرية أحيانا كانت تشعر نفسها غريبة حين ترتفع يدها لتلملم خصلاته الثائرة لتجدها هادئة ناعمة إنما ملمسها كان يضايقها بعض الشيء زمت شفتيها بعبوس ،وهي تتابع النظر إلى نفسها قائلة :- " لا يهم أكيد شكلي هكذا أجمل .."

اتسعت ابتسامتها ،وهي تتذكر تعبير ريم ونائل على مظهرها الجديد حين شاهداها لأول مرة .. فبينما دهشت ريم إلا أن نائل ابتسم بمرح، وهو يقول لها مطلقا صفيرا معجبا من شفتيه ممازحا إياها :-" ياإلهي إنك تشبهين نجوم السينما يا لجمالك "

لم تندم على معالجة شعرها بتلك الطريقة المؤقتة ارتدت جاكيتها الجلدي القصير أبيض اللون .. ارتدته على فستان صوفي طويل واسع عند ركبتها بني اللون وأغلقت زمام الحذاء عالي الرقبة حتى ركبتها أمسكت حقيبتها الضخمة على طراز الهيبيز وشالها الكشميري من نفس

اللون البني تحسبا لتغيرات الطقس تأكدت من مكياجها البسيط ،وانطلقت للخارج متجه للبهو حيث أن آسر وعدها بالمرورعليها لإيصالها لكنه حذرها من عدم رغبته بدخول المنزل وصلت لآخر الدرج لتتفاجأ بوالدها ينادي عليها بصوته القوي الحازم من حجرة مكتبه :-" شـادن .. انتظري أين أنت ذاهبة ؟! "

ابتسمت وهي تتوقف بأسفل الدرج وصل إليها فطبعت قبلة على وجنته وهي تقول :-" أنا ذاهبة لأستذكر دروسي مع ريم كالعادة .."

نظر لساعة يده الأنيقة ،وهو يقول ببشاشة واضعا يده على كتفيها بحنان أبوي :- " حسنا انتظريني قليلا فأنا ذاهب لاجتماع عمل وسأوصلك في طريقي "

عدلت له رابطة عنقه بحب ،وهي تقول بابتسامة :- " كلا أبي لا داعي فآسر سيوصلني "

توترت يده علي كتفها ،وظهرت بعينيه نظرة جامدة متوترة قاسية، وهويقول بصوت بدا متحشرجا قليلا :-" حقا .. هل سيأتي "

أشفقت شادن علي والدها فهي تعلم كم كان يعشق آسر فهو ابنه البكر ,ابنه الوحيد وريثه لم تكن غافلة عن حزن والدها لهذا الوضع ،نظرت له بحنان وهي تلاحظ الشيب الذي غزا رأسه ..ضعف هامته بعدما كان والدها دوما قويا إلا أنه منذ ذاك اليوم الذي تخفي تفاصيله عنها ،وبدا أن والدها كبر عشرات السنين، وهي لا تعلم لما لا أحد يريد أن يقول لها ماذا حدث ..!

فقالت بلطف وأسى :-" نعم أبي سيأتي فهو دوما يوصلني ويعيدني لا يرضى لي أن آخذ تاكسيا خاصة في ظروف البلد تلك "

ارتعش قلبه وهو يشعر بفخرلا يستطيع أن يسيطر عليه ،حاول أن يتفوه بشيء ما ،إلا أن غصة مريرة بدت كأنها تسد الهواء عن حنجرته رفع يده يفك ربطة عنقه قليلا يجلي صوته ،وهو يقول بصوت خرج مبحوحا وإن كان به بعض البرودة كأن الأمر لا يعنيه رغم أنه كان كالحريق في قلبه كاللهب الرمادي بعيني آسر المتهمتين القاسيتين الرافضتين لأي عذر أو مغفرة ." هكذا أفضل ، شادن لو لم يوصلك لأوصلتك بنفسي .."

إلا أن صوته اشتد بقسوة وهو يقول :-" ولماذا لا يدخل لينتظرك هل نسى أن هذا بيته ...؟!! "

عبست شادن وهي تشعر بالإحراج من هذا الموقف؛ فهي تدرك أن آسر - من العناد - لن يتنازل مهما كان الموضوع بينه وبين والده أبدا، وهي لا تدري ماذا تفعل ..؟اهزت كتفها وهي تعتدل لتواجه والدها تتأمله بشيء من الحزن يحمل كثير من ملامح آسر ..حتى العيون الرمادية نفسها ..إلا أن عيني آسر تشع قوة وعناد وتحديا .. بينما هي ترى عيني والدها لا يظللها إلا الحزن والانكسار منذ غادر آسر المنزل ..اكانت إذ ذاك شادن صغيرة بالسن فلا تتذكر ما حدث لكنها تتذكر أنه قد حدث شيئا من السوء ،وهو أن والدتها أدخلت المستشفي وتوفيت على أثره ..!بينما تزوجت هدى بعدها بأقل من شهر والحزن لا يزال مخيما على الوجوه والقلوب ،ورحل آسر نهائيا بينما بقيت هي تتنهد، وهي تربت علي وجنتي والدها بحنان و تقول له بحب :-

" أنت تعلم آسر..لا يتنازل لمخلوق أبي ربما لو أخبرتني ما سبب خصامكما ..قد أستطيع مصالحتكما "

قست عينا والدها فجأة بينما تجمدت ملامحه ،وهو يشيح بوجهه عنها قائلا ببرود :-" أخبرتك من قبل ألا تتطرقي لهذا الموضوع "

أكمل بنفس اللهجة الباردة، وهو يبتعد عنها قليلا متحاشيا النظر إلى عينيها شيئا ما :- " ثم هو حر يأتي أو يذهب هذا منزله أنا لم أطرده منه أبدا "

تنهدت وكتفاها تنخفضان بيأس لإدراكها أنها كما دوما اصطدمت بحائط صلب لا مجال لاختراقه سارت خلف والدها تستوقفه ، وهي لا ترغب في رؤيته حزينا بهذا الشكل قائلة، وهي تعانقه:- " حسنا لا بأس لن أتدخل مرة أخرى بينكما والآن دعني أعانقك قبل أن أذهب "

قبلته بوجنته فابتسم لها وإن كانت الابتسامة لم تصل لعمق عينيه أشارت له مودعة، وهي تسرع الخطى إلى الخارج بينما تهاوى هو على أقرب مقعد يشعر بالعجز والحزن والقهر، فأخطاء الماضي مصرة علي ملاحقته حتى مماته .

*****

الكلماتُ تكتبُ بالرّصاصِ أحيانًا.. فتترُكُ ثقباً ما في القلبِ يصعُبُ إصلاحه ..!

ما إن خرجت حتى وجدت آسر ينتظرها بنفاذ صبر أمام البوابة الرئيسية، دلفت للسيارة، وهي تبتسم باعتذار صادق :- " آسفة تأخرت عليك "

قال آسر بحنان ،وهو يحاول السيطرة على ألم رأسه الذي يكاد يفتك به منذ الصباح الباكر :-"لا بأس عليك حبيبتي "

أدار السيارة وهو مشغول البال على غير العادة نظرت إليه بحيرة طفيفة فأسر ليس كعادته .. التزمت الصمت بحيرة، لكن حين طال صمته

تنهدت، وهي تلتفت إليه شعرت أن هناك ما يشغل باله فهي ما تعودت منه الصمت سألته بحنان :- " ما بك آسر هل هناك ما يشغل بالك ؟! "

رسم ابتسامه خفيفة علي شفتيه وهو يغالب الصداع ليستطيع التركيز على الطريق أمامه :- " كلا حبيبتي لا شيء فقط لدي صداع بسيط "

قالت باهتمام :- " هل هي نوبة الصداع ذاتها ..؟! "

أومأ لها بصمت لكنها لم تقتنع فقالت بقلق :- إن كنت تشعر بالمرض فما كان عليك أن تأتي لإيصالي كنت أخذت تاكسيا ما "

إلا أنه هز رأسه بنفاذ صبر ، وهو يقول لها بلهجة قاطعة :-" أخبرتك شادن انسي موضوع التاكسي هذا نهائيا ألا تدركين خطورة الوضع بالبلاد، و ما قد تواجهينه وحدك لا تدعيني أعيدك للمنزل مرة أخرى "

وجمت شادن لعصبيته المفاجئة وهي تقول :- حسنا أخي اهدأ لن أعيدها مرة أخرى، ولو أن ظروف البلد على هذا الحال منذ ثلاثة أعوام ولا أعتقد أنها ستتحسن بالقريب العاجل

تنهد بضيق فكيف يخبر تلك الصغيرة بما حدث ويحدث كل يوم .. ما أقسم على تجاهله ، وعدم التفكير به منذ سنوات , على وعده لنفسه منذ ذاك اليوم أن يكون هو أولا وقبل أي شيء

مطبقا جملته الشهيرة " أنا ومن بعدي الطوفان "

همست بحيرة وقلق عليه ، وهي تراه يغمض عينيه لوهلة :- " آسر دعنا نعود .. فأنا أستطيع الذهاب لريم في أي وقت آخر ما دمت متعبا حبيبي دعنا نعود لأعتني بك .."

تنفس بعمق وهو يقول :- " أنا على ما يرام لا داعي لذلك ،ثم لقد أخذت بنادول سيؤدي مفعوله بعد قليل "

توقف بالسيارة أمام العمارة الكلاسيكية بأرقى أحياء المهندسين حيث تسكن ريم قائلاً :- " ها قد وصلنا انتبهي على نفسك "

ترجلت شادن وهي تقول بمرح :- " سأفعل "

ما إن ابتعدت خطوتين حتى نادى عليها قائلا بهدوء :- " سأمر عليك الساعة العاشرة .. هل هذا مناسب لك "

أومأت بالإيجاب فابتسم لها قائلا :- " بأمان الله "

ما إن رآها تخطو داخل العمارة حتى انطلق بسيارته بسرعه قصوى كعادته، وهو يدرك أنه تأخر على ذاك الحفل الخيري .. واتته نوبة أخرى من الصداع ، وارتعش جسده قليلا الجو بدأ يميل للبرودة والهواء ينبئ باحتمال سقوط الأمطار؛ إذ غلب على الهواء تلك الرائحة المميزة التي تسبق دوما سقوط المطر ..ابتسم باستمتاع متلذذا بتلك النسمة الباردة التي يبدو أنها لطفت من حرارته قليلا وعد نفسه " نصف ساعة أو ساعة بأقصى تقدير ويغادر.

ترجل من السيارة بطوله الفارع وهيئته المهيبة وكتفيه العريضين وصل بخطوات واسعة لموظف الاستقبال متجاهلا نظرات النساء المعجبة، ونظرات الرجال الحاقدة بابتسامة ساخرة .. كان يشعر بالضيق والاختناق من الازدحام الشديد خاصة بوسط القاهرة بالإضافة إلى الصداع الذي وإن خف قليلا إلا أنه لم يختف .. توجه إلى قاعة الحفل بعدما أعطى المسئول .. اسمه بكل ثقة وكبرياء قائلا بنبرة قوية :- " آسر بدر الدين "

اصطحبه الموظف للقاعة المخصصة للحدث فاجأته أضواء النيون المتلألئة التي كان تأثيرها مؤلما على عينيه ، وزادت من حدة الصداع الذي ينتابه أغمض عينيه لوهلة يأخذ نفسا، وهو يمد يده بجيب بنطاله يبحث عن شريط البنادول ليأخذ حبتين أخرتين محاولا السيطرة على ذالك الوحش الذي يبدو أنه استيقظ، ويرفض تركه بحالة ابتلعهما دون ماء تنفس بعمق وهو يفتح عينيه حين رآهـا لم يستطع تصديق حظـه لو لم يكن هو من بهذا الموقف .. فكر ساخرا ..لو حكى له أحد أصدقائه موقفا مماثلا لأخبره أن تلك الصدف مجتمعة تصلح لإخراج " فيلم هنـدي " ابتسم بسخرية من الموقف الغريب ... لماذا عند كل زاوية وركن يصطدم بها ..؟!!! لم ينسها كانت بباله تدفع البسمة لشفتيه كلما تذكر اعتذارها له ..كان كالبلسم الشافي لكل ضيق انتابه .. فقط استعادته لملامحها وهي تنطق بذاك الاعتذار المبتور ..بكل ضيق

تدفعه للقهقه كما الآن ارتسمت علي شفتيه بسمة استمتاع خالص ،وقد بدأ ينسى التفكير في صداعه المزعج ، وهو يتأملها من رأسها لأخمص قدميها بدت كملكة .. ملكة متوجة علي مملكة الأناقة والجمال والروعة بفستانها الأسود القصيرذى كمين من الدانتيل الأسود أيضا لم يكن يزين فستانها سوى حزام عريض من الياقوت الأحمر على وسطها وحذاء أحمر مثله شعرها كتاج أسود غجري يتدلى بكل حرية على ظهرها وكتفيها لا يزينه سوى مشط فضي من الجانب بفصوص ياقوتية يتناسب من زيها ومكياجها الذي يتخذ الهيئة القوطية بكحل كثيف للغاية ذي ظلال سوداء تنضح ببقايا من الجمر الدموي ورموش طويلة معقوفة حتى أنه استطاع رؤيتها من مكانه تظلل عينيها بكل روعة شفتين كالكرزوعينين كالعقيق الأسود لم يدر كم ظل على وقفته يتأمل ذالك الجمال الأسطوري بذاك الانبهار حين تصادمت نظراتهما هي أجفلت

لوهلة بارتباك .. و تحرك باتجاهها .. كما لوكان بينهما خيط غير مرئي يجذب أحدهما للآخر ..قطع القاعة الكبيرة بخطوات قوية حاسمة مخملية حتى وصل إليها، توقف أمامها مباشرة بطوله الفارع .. وتلك الابتسامه بعينيه شعرت أن الهواء توقف حولها وأصبح ساكنا وأن الصخب المتناثر تلاشي .. ورغم أنها ترتدي كعب عالي نسبيا ورغم أنها معروفة بطولها الفارع هي الأخرى إلا أنها اضطرت لرفع رأسها لتتلاقى عيناهما التوى فمه بابتسامة لم تدر معناها لكنها أرجفت قلبها.. لمعت عيناها بكبرياء ،وهي تتخطاه دون كلمة مرت بجواره بكبرياء وأنفة .. إلا أنه مد يده فجأة يجذبها من يدها لتتراجع بصدمة عدة خطوات للخلف .. حتى أصبح وجهها ملاصقا لوجهه بعدما أحنى رأسه قليلا يقول بمكر ،وهو يهمس بأذنها ليطغو صوته على صوت الموسيقى :- " اشتقت لك "

جذبت يدها من يده برعب تدرك أن تلك طريقته لسحر الطيور بأعشاشها لكنها ليست منهن؛ هؤلاء السخيفات اللاتي يقعن بسحره لمجرد ابتسامة ساحرة خفق قلبها خفقة زائدة يلومها بأي حق يكلمها بتلك الطريقة بأي حق ! إلا أنها لم تدع أي من اضطرابها يظهر على وجهها الشامخ بكبرياء وهي ترفع عينها إليه قائلة :- " وقـح "

وجذبت يدها بقوة لتتخطاه انطلق يضحك باستمتاع ضحكته الأجشه المبحوحة، وهو لا يستطيع السيطرة على موجة الانتعاش الذي شعر بها حالما رآها فرؤيتها دوما تبدو كنسمة عليلة بليلة شديدة الحرارة بدأ الحفل الخيري بدعوة لترك التبرعات بأظرف وضعت على الطاولات ،حتى الأن لا يعرف لم أو لمن تلك التبرعات ..؟! نظر ببطاقته ثم اتجه إلى الطاولة المخصصة له.. جلس باسترخاء وعيناه تتابعانها .. ألقى نظرة علي الطاولة أومأ للجالسين معه من وجوه غريبة لا يعرف معظمها ..كانت هناك نشرات صغيرة موزعة على الطاولات للتعريف بنشاط

الجمعية وأهدافها .. أمسك بإحداها بفضول ليتفاجأ أن الحفل لجمع التبرعات

(للحيوانات الضالة) ابتسم بسخرية وباللعجـب..!

*****

" مـا الذي أتى بـه هنـا ..؟!! " لماذا تصطدم به بكل مكان مؤخرا .. ؟!

لم يكن ينقصها إلا رؤيته بكل وقاحته ليزداد توترها .. إلا أن ذلك لم يمنع عينها من أن تبرقا بإصرار كبيـر ..ما أتت لتفعله أهم وأكبر من أن تشغل نفسها بذاك التـافه المغـرور . أشار لها أحمد من زاوية بعيدة بدا وسيما ببذلته السوداء وقميصه الأبيض ، لم يكن بالغ الوسامة لكنها تلك الوسامة المعتدلة ..يملأ وجهه وقار يفوق سنه ..كانت معجبة به كشخص رائع تحمد ربها لوجوده بحياتها .. تقدمت نحوه وهي تبتسم بتوتر إلا أنه ابتسم مطمئنا إياها وهو يقول :-" هل أنت مستعدة ..؟! "

قالت بصوت مبحوح ، وهي تمسح باطن يدها بفستانها بتوتر ناقض ما تقول :-" مسـتعدة "

قالت له بابتسامة هادئة :- " إذن أذهب .. ماذا تنتظر ؟! "

دفعته بيدها بخفة قائلة بابتسامة مرحة :- " لا أريد رؤيتك هنا هيا اذهب"

أومأ، وهو يقول من أعماق قلبه :-" أتمنى لك التوفيق قاهـرة "

قالت له بهمس وإصرار:- " وأنت أيضا "

غادرا كما اتفقا ..فهو أحضرها وساعدها بكثير من الأشياء ؛ دبر لها دعوة للحضور، شريط الفيديو وأعطاه للعامل ، لكنه يجب أن يرحل فإن تم القبض عليه سيفصل من عمله .. وهي لا تستطيع أن تتسبب له بذلك..اهمست :-" بأمان الله "

أخذت نفسا عميقا ما إن انطفأت الأضواء وأضيئت شاشة البروجيكتور بموسيقى هادئة, وعنوان كبير يظهر

" لهؤلاء أنتم تتبرعون "

*****

هُنالك مواسم للحماقات .. وأخرى للندم ..

ومواسم للعشق .. وأخرى للألم ..

الصمت التام هو ما خيم علي القاعة لثوان ،الصمت والرهبة ليبدأ بعدها الصخب بين محتج .. ومعارض مؤيد وغاضب !! لمحت بطرف عينيها شخص ضخم الجثه يتجه نحوها بعدما أشار إليه أحد ما لكنها لم تكن لتتراجع اتجهت إلي المذياع ،وهي تقول بصوت قوي ونبرة حزينة :-" والآن أريد منكم أخذ ثانيتين للتفكير ، وبعدها تبرعوا لمن يستحق ..! إن كنتم... "

إلا أنها لم تستطع إكمال عبارتها؛ فقد وصل إليها الرجل الضخم الجثة ساحبا المذياع من يدها بقوة وخشونة، وهو يقول له بلهجة تهديد :- " آنستي لو سمحتي توجهي معي للخارج "

ارتعبت بداخلها إلا أنها واجهته بشجاعة قائلة :- " لن أتحرك من هنا قيد أنملة حتى أنهي كلامي .."

قال الرجل بصرامة :- " آنستي لا تدعيني أستخدم معك أسلوب سيء "

شهقت وهي تقول بحدة وغضب :- " لن تجرؤ على مد أصبع واحد علي ..أنا أعرف حقوقي المدنية جيدا .."

تنهد بنفاذ صبر ،وهو يمد يده ليمسكها من ذراعها بقليل من عنف قائلا بصوت صارم :- " هيا إلى الخارج "

كانت تشعر بالحرج والإهانه بطريقة بشعة، وكل العيون أصبحت مسلطه عليها ..بطريقة لامبالية ..ارتفع صوتها ،وهي تقول بتوتر وخوف بدأت تشعر به :- " اتركني "

قاومت، وهي تجذب ذراعها منه بقوة إلا أن الحارس أبى أن يترك ذراعها .. حين أتى الصوت القوي الآمر .. مليء بالغضب والشراسة قائلا :- " اتركها .."

*****

هُنالك زمن لم يُخلق للعشق ..

هُنالك عُشاق لم يُخلقوا لهذا الزمن ..

كان الجو يميل إلى البرودة بينما الهواء يعبث بالأشجار حولها ،كان في الجو شيء غامض شيء جعلها متحفزة ما إن فتحت لها ريم الباب ، وبعد السلامات المعتادة اتجهت إلى حجرة المعيشة ..حيث اعتادا الجلوس كانت الحجرة صغيرة رائعة جميلة تتميز بالدفء والحميمية تحتوي على مقعد طويل قابل للطي لونه أسود ،كان المفضل لديها تنهدت وهي تخلع شالها تبعته بالجاكيت الجلدي مرت بأنفها رائحة مميزة استوقفتها لوهلة بتوتر اعادت التنشق مرة ثانية كقطة متحفزة لتخترقها رائحة زهر

الريحان المميزة نبض قلبها بصورة أقلقتها لايعقل ..اهزت رأسها، وهي تتنفس بشكل أقرب للطبيعي " أنا أتوهم " هذا ما أخبرت به نفسها ..أتوهـم !!!التفتت تسأل ريم بشيء من التوتر :-" ريم هل هناك شخص ما بالشقة غيرنا ..؟! "

نظرت لها ريم بدهشه وهي تقول :-" وما أدراك .. ؟! "

توقف قلبها عن النبض للحظة هزت كتفها ،وهي تنظر إليها بصمت فقد فقدت صوتها فجأه ..وتكونت كتلة ضخمة سدت حنجرتها بحيث تعذر عليها التنفس أجابت ريم بابتسامة مدهوشة :- " إنه أخي محمود أتى اليوم لكنه نائم فهو متعب للغاية "

وحين ظهر القلق على وجهها طمأنتها ريم قائلة :-" لا تقلقي لا أعتقد أنه سيصحو اليوم فهو منهك "

ضحكت وهي تحكي عنه بحب قائلة :- " تخيلي لقد قال لي بالحرف .. إنه قد ينام لمدة أسبوع كامل "

" آه "

كان هذا فقط كل ما استطاعت التفوه به ،وقد تاهت منها الكلمات لا تدري لما ارتبكت ؟! لما انتفضت نبضاتها حين أدركت وجوده ؟!

نهضت ريم ما جعل شادن تنظر إليها بتساؤل فابتسمت ريم قائلة :-" سأحضر كوبين من الشاي لنبدأ الدرس.؟! "

حاولت ان تسترخي بجلستها تحاول أن تبعد عنها تلك الرائحة التى تبدو وكأنها تغلغلت بمسامها تطرد عنها التركيز

أتت ريم بفنجاني الشاي ومضى الوقت بعد ذلك في المذاكرة .. تناست تماما ذلك الوجود المقلق لذاك الشخص ،وهي تتراجع للخلف تتمطى بتعب وإرهاق .. فقد كانت ريم ذات إرادة رهيبة , وإن لم توقفها شادن لمضى أكثر من عشر ساعات قبل أن ترفع رأسها عن الكتب :- " يكفي ريم لقد تعبت "

نظرت لها ريم بغيظ إلا أنها لم تعترض علي كلامها .. قالت لها وهي تترك القلم من يدها :- " حسنا سأعطيك نصف ساعة للاستراحة حتى أحضر شيئا لنأكله .. وبعدها نعود للمذاكرة مرة أخرى "

لوت شادن شفتها بسخرية وهي تقول لها :- " يالكرمك ولم نصف ساعة .. لم لا تجعليها نصف دقيقة"

ابتسمت ريم وهي تقول بإغاظة :- " حسنا بإمكاني ذلك "

تصنعت الجدية، وهي تعود لتمسك القلم بيديها فصرخت وهي تنظر لها بعدم تصديق :- " أنت لا تعقلين ألا تشعرين بالتعب سأنهار منك إن واصلنا علي هذا النحو"

فضحكت ريم باستمتاع ،وهي تؤشر لها بيدها :- " حذرتك من قبل أنني أريد أن أكون الأولى علي الدفعة .. وأنت قلت لي .. وأنا أريد أن أكون الأولى مكرر .."

أكملت بغرور زائف هدفه إغاظة شادن :- " لذا أنت تستذكرين معي "

قالت شادن بإحباط لذيذ ،وهي تعبث بخصلات شعرها ..ناسية ملمسها الغريب الذي لم تعتده بعد :- " نعم .. نعم أعلم .. ولهذا أنا أتحملك "

اتجهت ريم للمطبخ فتبعتها شادن بنية مساعدتها .. تناوبتا علي تحضير عشاء بسيط ..أخذت شادن بتقطيع الطماطم بشرود لم تستطع السيطرة علي ذاك الجزء الصغير .. الضئيل للغاية من التساؤل حوله وبشأنه شعرت برعشة تجتاحها ..وهي تتذكر الغابة السوداء المسماة عينيه وتقطيبة جبينه بتفكير عميق لا تنكر أن غموضه يجذبها إليه ,صمتت لوهلة ساخطة .. لماذا يحتل تفكيرها كالعَلَقَة التي تلتصق بالجلد وترفض الابتعاد عنه .. صرخت فجأة وقد أصابت أصبعها بالسكين..أتت ريم إليها مهرولة مفزوعة :-" ماذا حدث ..؟! "

نظرت لها لتصرخ بخوف :-" ياإلهي لقد أصبت "

نظرت شادن إلى جرحها الصغير بلامبالاة ظاهرية، وهي تستشيط غضبا من نفسها قائلة لريم بهدوء :-" اهدئي ريم إنه لا شيء مجرد جرح بسيط.."

قالت ريم بتوتر وهي تتجه إلى درج الإسعافات الأولية بالمطبخ :-"بسيط .. كيف تقولي بسيط وهو ينزف دما هكذا "

ابتسمت شادن ..لرقة ريم وحنانها ...أتت إليها ريم بلاصق طبي وضعته لها ..أخذت تتأمله لتتأكد من أن الجرح فعلا بسيط ،ثم وحين شعرت بالاطمئنان قالت لشادن بحزم :-

" والآن شكرا لك علي مساعدتك الرائعة لي ..كدت أصاب بذبحة قلبية ..لا أريد حوادث أخرى بمطبخي من فضلك .. هيا إلى الخارج "

اعترضت شادن :-" لكـن "

قالت ريم بحزم وهي تدفعها خارج المطبخ :- " لا يوجد لكن .. شاهدي التلفاز.. أو راجعي ما قرأناه .. أو حتى استلقى قليلا على الأريكة حتى أنتهى من تحضير الطعام "

حاولت شادن الاعتراض مرة أخرى ، لكن ريم لم تسمح لها وهي تدفعها بلطف للخارج :-" حسنا .. حسنا اتركيني سأخرج وحدي .. الحق عليّ أنني أردت مساعدتك "

ضحكت ريم بسخرية، وهي تقول :- " ويا لها من مساعدة .. شكرا حبيبتي .. لا أريد تلك المساعدة .. هيا اذهبي "

تنهدت وهي تتجه إلى حجرة المعيشة بصمت ..ما إن خطت بداخلها ورفعت وجهها عن تأمل إصبعها المضمد حتى ارتعشت حواسها وتوقفت برهبة، وهي ترى ذاك الكيان الأسود الغامض نائما بصمت أمامها على الأريكة المفضلة لها، ووجهه غارق بركن الأريكة بجوار شالها ،مخفي بين خصل من شعره المتناثرة بفوضى ساحرة بلا انتظام، أول شيء جال ببالها أنه يجب عليه قص شعره بطريقة مهذبة أعادت تأمله بقلب واجف ، سرحت عيناها تتأمل تفاصيل وجهه بتمعن لم تحظ به من قبل لاحظت جرح يبدو حديثاً بعض الشيء بيده .. هالات سوداء تحت عينيه قامته كما هي قوية ضخمة، حتى في نومه يبدو أكبر من الحياه يداه السمراوتان تحتضنان الوسادة بأريحية، تنهدت وقلبها لا يرضى بأن يكف عن تضييع دقاته بسخافة .. لماذا أيها الأحمق ..أنت تخافه .. إنه كريه متسلط قاسي دائم العبوس .. لكنه يثير فضولها كما لم يفعل أحد من قبل ,لم تدر أين تذهب ولا ما تفعل، كانت تشعر أنها أسيرة شيء ما أقوي منها يجبرها علي البقاء مسمرة أمامه ،كان يبدو غارقاً في نوم عميق ..

يرتدي بنطلون جينز أسود عتيق وتي شيرت أسود مثله .. تسألت بصمت :-" متى استيقظ وأتى هنا ..ولماذا نام هنا بهذا الشكل الغريب ..؟! "

تقدمت للأمام خطوة بفضول الأنثى لتتراجع بعدها بسرعة وذعر حين تحرك من مكانه يرفع وجهه عن الوسادة، فتح عينيه ببطء ارتعشت نظرته لوهلة، وهو يراها أمامه حبست أنفاسها وكل حركة بجسدها تسكن .. حتى الأنفاس نسيت أن تتنفسها ..اغتمت عيناه لتعودا تلك الغابة المظلمة .. تأملها بصمت لثوانٍ قليلة مرت عيناه علي وجهها لم يخلع نظراته عنها .. وكأول مرة رآها راح يتأملها بغموض وصمت بنظرة تحمل من الغرابة ما لم تستطع أن تفسرها .. تسمرت مكانها دهشة لا تجرؤ علي الحركة.. توقعت أن حمرةً قد علت وجنتيها اللتين نسيت أن تضع عليهما حمرة .. تلقائياً مدت يدها إلى شعرها ترفع خصلاته.. إلا أنه يبدو كما لو أنه يتمادى في إرباكها لم ينطق بحرف واحد ..أخيـرا توقفت نظراته عند عينيها بنظرة غائمة قليلا،وهو يقول بصوت أجش ناعس :- " لم أتوّقع وجودك هنا.."

قالت وكأنها تعتذر بارتباك:-" ولا أنا توقعت شيئًا كهذا.."

وبخت نفسها :-" أيتها الحمقاء ماذا قصدت .. اصمتي أفضل لك "

اعتدل قليلا وهو يبتسم بغموض ..رفع يده ليفرك بها ذقنة النامية كشر أنفه بطريقة محببة .. أغمض عينيه ،وهو يستريح برأسه علي المقعد كأنه لم يشبع من النوم بعد ،بينما وقفت هي مترددة ما بين الهرب إلى ريم بالمطبخ أو التقدم لتحسم أمرها بالجلوس بهدوء علي المقعد المجاور للأريكة ..انتفضت حين أتي صوته الأجش الناعس ،وهو لا يزال على إغماضه لعينيه .. كأنه لا يزال نائما :-" كيف حالك شادن ؟! "

انتفض قلبها وأتى صوتها بحًا وهي تجيب:-" بخير وأنت ؟ "

همس بصوت أجش :- " متعـب "

فقد قلبها إحدى دقاته وهي تقول دون وعي :- مم..؟!!

لم يجبها فقط ارتسمت علي شفتيه ابتسامه لاتدري أهي ابتسامة تعني أنا بخير أم هي ابتسامة سخرية .. ابتسامته حيرتها..! إلا أنه فتح عينيه فجأه كأنه تذكر شيئا ما .. أعاد النظر إليها بشدة ، وعيناه تتلونان بالغضب اعتدل بجلسته ، وهو يقول بصوت غاضب :-

" ماذا فعلت بشعرك ..؟!! "

" مـاذا ..؟! "

رفعت يدها إلي شعرها بتلقائية محتارة من لهجته، وهي تبتسم قائلة بتردد :-" ما رأيك .. أليس هكذا أجمل..؟!"

اشتعلت عيناه وهو يقول :-" أيتها الحمقاء .. أيتها الطفلة الحمـقاء "

" مـاذا ..؟! "

أحست أنها غبية للغاية ما بالها تكرر تلك الكلمة كثيرا ..!لم تدر ما سبب غضبه .. لم يتهجم عليها هكذا ..؟ مـاذا يهمه من شعرها ..؟! لم عليه أن يجرحها بهذا الشكل ..؟! لـمَ لمْ يقل لها مثل نائل مثلا " إنه رائـع "

قالت بجفاف :-" ما الذي لا يعجبك به تحديدا ؟! "

أخذ ينظر إليها بعمق لوهلة وغضبه ينحسر ليحل محله تعبير آخر لم يسبق لها أن رأته .. لا تستطيع وصفه بالرقة .. فذاك لا يعرف للرقه

سبيلا ..! إلا أنه فاجأها وألجمها حين قال بهمس كأنه يحادث نفسه :- " إنه ليس أنت "

" مـاذا ..؟! "

أرادت أن تضرب نفسها بشيء ما علها تفيق من ذهولها .. مابالها تردد تلك الكلمة .. ألا تعرف غيرها بقاموس اللغة العربية..!إلا أنه تراجع للخلف .. ووجهه يتخذ قناع تعرفه جيدا من اللامبالاة والحزم .. وهو يصرف نظره عنها كأنه ندم علي تهوره ..علي رد فعله أغمض عينيه مرة أخري يصرفها .. وهو يهمس:- " لا شيء ..! "

ظلت صامتة .. تفتل طرف فستانها بيدها بتوتر ..وهي تتأمله غير قادرة علي الحركة .. شيئا أقوي منها يمنعها من الحركة .. و بدا هو كأنه غفا على وضعيته ذاتها .. بدت أنفاسه هادئة للغاية .. الإجهاد يبدو ظاهرا على وجهه بشدة .. إلا أن ذلك لم يمنعها من إدراك وسامته الفريدة من نوعها لا تنكر أن له وسامة تختلف عن نائل ..قد تفوقها ربما .. ارتعش جسده قليلا .. يبدو أنه يشعر بالبرد .. الجو بارد فعلا .. وهو لا يرتدي سوى تي شيرت وبنطلون جينز .. نهضت بدون تفكير تأخذ شالها الكبير لتضعه عليه ..نسيت لوهلة غضبه غير المبرر عليها .. كلماته القليلة الغامضة .. ثم استسلامه بكل بساطة للنوم كأنها لم تكن موجودة من الأساس .! تنهدت وهي تدرك أنه سيبقي دوما لغزا محيرا ومخيفا بالنسبة لها يفضل ألا تفكر به أبدااااا. حرك وجهه كأنه يبحث عن جهة أكثر راحة .. لامس الشال أنفه .. خطف قلبها حين دس رأسه به دون شعور يستنشق بعمق ،وهو يغط بالنوم مرة أخرى ،ابتسامة صغيرة مضطربة لامست شفتيها وإحساس كالنار سري بشرايينها وصولا لقلبها صادما إياها ..وهي تتجه بخطي وئيدة إلي ريم بالمطبخ..

" اتركها .."

بدا الصوت جافا .. يحمل الكثير من القوة والتهديد بالإيذاء الجسدي ما جعل الحارس القوي يترك يدها تلقائيا ،وهو يلتفت لمواجهة ذاك الصوت الآمر السلطوي ..بينما نظرت هي إليه بصدمة ..الملح بطرف عينه أحد مدراء الحفل الخيري يأتي مسرعا .. تنفس بضيق حيث أن الوضع بدأ يتفاقم إلا أنه لم يسمح لضيقه ذاك بالظهور علي وجهه ..تقدم خطوة للأمام وابتسامة تشع بوجهه لكنها لم تصل لعينيه يدرأ غضب المتقدمين ألقى التحية مادا يده باحترام لذاك الرجل ،وهو يلمح اسمه على بطاقة التعريف المعلقة برقبته :-" أهلا سيد حسام ..اسمح لي بالاعتذار عن تلك الفوضى .."

كان الرجل متحفزا للصدام إذ بدا ذلك من تعبيرات وجهه المتجهمة ..لكن يبدو أن مقاربة آسر له بتلك الشخصية الآسرة أذهبت بعض غضبه أشار للحارس بهدوء ليذهب .. نظر الحارس لآسر الواقف أمامه والغضب يطل من عينيه ثم ذهب .. أفاقت قاهرة من صدمتها لدفاعه عنها .. لوجوده إلي جوارها ..استغربت ذلك ..لكن قلبها الأحمق أبي إلا أن يدق بلا انتظام لوهلة ..شعور غريب سرى في شرايينها..شعور أفاقت لنفسها عليه، وهي ترفض أن يتسلل إليها علي غفلة منها .. أصابها الغيظ منه ومن نفسها .. لم يعجبها الوضع ولا سيطرته عليه ببساطة كأنها غير موجودة .. ارتفع صوتها قائلة بغضب :-" ماذا تفعل ..لا تعتذر لهم ..المفروض أن يعتذروا هم لي .."

اكملت وهي تشير بيدها لذاك الحارس :-" قد أرفع عليك قضية لسوء معاملتك لي "

نظر لها آسر قائلا بصرامة :-" اصمتي قاهرة "

التفتت إليه وهي تستشيط غضبا من تدخله :-" كلا لن أصمت .. ثم لماذا تتدخل دائما بما لا يعنيك ..؟! "

ارتفع صوته أكثر، وهو يقول بلهجة حانقة آمرة تلك المرة :-" اصمتي "

بهتت فلا يحق له أن يهينها بهذا الشكل ، وأمام هؤلاء الأشخاص ..أهينت ووجدت نفسها تصمت ..ربما هي الصدمة ..ربما هو الخوف ..ربما هو ذاك الوجه الآخر الذي لم تعرفه بآسر إلا اليوم ..قال السيد حسام موجها كلامه لقاهرة بصرامة :-

" آنستي لا أعلم من أنت ولا من تكونين .. لكن ما فعلته اليوم خطأ بالغ فلا تهددي بما لا تستطيعي فعله "

شهقت وروحها المتمردة تعاودها :-" ماذا تقول ..؟! ..أنتم ..آه "

صرخت بغيظ ، وهي ترفس بقدمها في الأرض من شدة الغيظ ..لم تكن تنوي أن تنفعل إلا أن ذاك الرجل البارد ..و ذاك الآسر الآمر ..اشعلا غضبها وغيظها بطريقة لم تعد تميز ما تقول أو تفعل .. قالت بحنق :-" أنتم أغبياء ..معدومي الإحساس .."

" قاهرة .. "

أتت صرخة آسر قاطعة لتجعلها تصمت فجأة وهي تعي ما تفوهت به ..اشتعل وجهها غيظا وإحراجا وخجلا فهي أبدا لم تكن تقصد أن تهين أحدا .. لكن صمتت قاهرة ..التفت آسر لحسام ،وهو يقول له بدبلوماسية :- " هل لنا أن نتجه إلى مكتبك .. فنحن مدينون لكم باعتذار"

التفتت قاهرة مصعوقة تنظر إليه في صدمة ..هي مؤمنة بما فعلته ولن تعتذر عنه ..!لكنها وجدت نفسها تصمت .

أومأ الرجل بالقبول ، فقال آسر بابتسامة :-" شكرا لك "

إلا أن قاهرة قاطعتهم قائلة :-" لا داعي لذلك .. فأنا راحلة .."

إلا أن قبضة من حديد أمسكت بمعصمها ..مال عليها يقربها منه ،وهو يهمس بعدما تقدمهم حسام دون أن يسمع ما قالت قائلا لها بصوت بدا كالصوان من شدة قسوته :-

" هذا الرجل وذاك المكان يستحقان منك اعتذاراعلى ما قمت به .. والآن دعينا نتجه للمكتب معه لنسوي الموضوع ..وإلا فهو يحق له رفع دعوي قضائية عليك ،وأنت تعلمين أنه سيفوز بها نظرا لعدد الشهود على ما فعلت .."

نظرت له بصمت وتحدٍ ليقول :- " هل كلامي واضح "

لم تجبه بل سحبت يدها منه بقوة حتى شعرت ، وكان معصمها انفصل عن ذراعها ، وهي تتوقف بعدما أصبحا بالممر بعيدا عن قاعة الحفل قائلة بهدوء وقوة ،وهي تسلط نظرات عينيها على وجهه بقوة وكبرياء آسرتين :-

" أنا سأعتذر ..ليس خوفا ..ولكن لأنني لم أتعود أن أتغاضي عن خطأ قمت به ..وأنا بعكس بعض الأشخاص لم أتعود إهانة البشر ..ما فعلته أنا مؤمنة به وإن واتتني الفرصة لكررته "

توترت نظراته بشدة ..ضيق عينيه فكرهها له يوتره .. شجاعتها ..التفتت تنادي الرجل الذي تقدمهم بضع خطوات غافل عن ذلك الحوار" أستاذ حسام "

توقف الرجل وهو ينظر لها بفضول :-لكنها أكملت باحترام :- أنا مدينة لك باعتذار"

أخذت نفسا عميقا، وهي ترى نظراته المسلطة عليها باهتمام فأكملت :- " إن كنت تفوهت بما يضايقك قبل قليل .. فأنا لم أقصد .."

دمعت عيناها بتأثر تغالب به ضيقها وحزنها وهي تقول :- " لكنكم لا تدركون .."

لم تجد ما تعبر به لأول مرة تخونها الكلمات .. لذا اكتفت بالصمت، وهزت رأسها وهي تطرق بها أرضا ارتعشت شفتاها .. تلك الشفتان اللتان اكتنزا أسفلهما بفخر ليخضع له الآخر بخنوع ذابح للناظر لهما....رفعت بصرها لترى عينين رماديتين تنظران إليها بتركيز شديد .. عيناه على شفتيها المرتعشتين .. قاهرة ..على وشك البكاء ..شعر بشيء ما يشعل النيران بصدره .. مد يده بدون وعي يمسك بذراعها مرة أخرى مقربا إياها منه بحماية .. أتت محاولة ضعيفة منها لسحب ذراعها لكنها لم تستطع، وقد اعتراها ضعف غريب عنها

قال الرجل بود :-" لا بأس ابنتي ..أدرك مسعاك وإن كنت اختلف معك .. لكنني فخور أن لديك قضية مستعدة للمحاربة بسبيلها ..فقط الطريقة التي اتبعتها هي ما اختلف معك فيها .."

ابتسم لهما ،وهو يقول :- " والآن أعتقد أننا سوينا الموضوع الإذنا لي بالعودة للحفل قبل أن ينتهي "

تركها وقد خيم الصمت فوق رأسيهما ..لكنه لم يدم كثيرا إذ سحبت قاهرة يدها من يده بشراسة، وهي تلتفت له والغضب يلتمع بعينيها الرائعتين بقايا من دمع لم ينزلق أخذ يلمع بطريقه تفوق خياله روعة لمثال لكبرياء وإنفة وشموخ لم ير له مثيل بأمرائه وهي تقول :-

" اتركني لا أدري ما دخلك بي كلما ذهبت لمكان أجدك حولي ..هل تتبعني أو ماشابه .. ثم كيف تجرؤ علي التدخل بشيء لا يعنيك يالوقاحتك "

قال بحنق والصداع قد عاد يراوده بقوة " لو لم أتدخل لكان مصيرك الآن بقسم الشرطة .. فما فعلته يسمى تعدي على الممتلكات العامة والتشهير بجمعية خيرية محترمة، لها اسمها واقتحام مكان بغير إذن بافتراض طبعا أن دعوة الزيارة معك مزورة"

صمتت لوهلة لكنها رفعت وجهها إليه مرة أخري ،وقد تجدد الإصرار بعينيها لفحها الهواء البارد لتدرك أنهما قد أصبحا بالشارع أمام الفندق الضخم وهي تقول :- " وإن يكن ..أنا لم أطلب تدخلك ..فلا تتدخل بما لا يعنيك"

أغمض عينيه قائلا بنفاذ صبر ليفتحهما والغضب يتطاير كشرارات مميتة منهما :-

" أيتها الحمقاء التي لا ترى أبعد من أنفها المتكبر ذلك ..بدلا من أن تشكريني هذا جزائي ..الحق علي كان يجب أن أتركهم يهينوك دون أن أتدخل "

قالت بحماقة :- " نعم كنت تركتهم ..."

التفت تاركا إياها وكأنه اكتفى ،إلا أنها لم تكن قد أفرغت شحنة غضبها بعد فتبعته ،وهي تصرخ والهواء البارد يلفح وجهها ،وقد نسيت معطفها بالفندق :- " ثم إنني لم أخطئ ما فعلته هو عين الصواب فبدلا من التبرعات لهؤلاء الأطفال المساكين .. يجمعون تبرعات للقطط والكلاب ..وهناك الآلاف من البشر يموتون جوعا .. يجمعون تبرعات بهذا المكان الفخم ..الذي تكفي تكاليفه لتصلح هبة جيدة لإحدي دور الملاجئ التي أصبحت مكتظة عن آخرها "

كان يدرك صحة ما تقوله بقرارة نفسه .. لكنه وجد أنها منافقة التفت فجأة لتصطدم به بشدة حيث كانت تسير بخطي مسرعة بكعبها العالي لتوافق خطواته الطويلة المديدة .. اقترب منها وهو يقول بفحيح غاضب :- " وأنت أيتها الثورية الشجاعة المثابرة ألا تشعرين أنك منافقة "

ذهلت :- " ماذا ..؟ أنا منافقة .. كيف هذا ؟! "

" هذا .."

أشار لما ترتدي بطرف إصبعه، وقد فاق غضبه كل تعقل :- " هذا الفستان كم ثمنه .. ؟ وذاك الحذاء والحقيبه أليسا لماركة عالمية قد يصل ثمنهما لأكثر من ثلاثة آلاف جنيه مثلا .."

بهتت بصمت ما زاد من غضبه ،وهو يقترب منها هامسا بفحيح :- " ألست منافقة درجة أولى .. ؟!

أنت تتمتعين بكل ذاك البذخ ،وتأتي هنا لتحاسبي هؤلاء الناس الذين أرادوا فعل خير ما .. حتي ولو بحق حيوان ..حتى ولو بحق من لا يستحق ... رغم أن الحيوان هو أيضا من مخلوقات الله وله حق علينا كما البشر.."

أصبح وجهها شاحبا ،وبشدة أمسك بذراعها يهزها ، وهو يكمل طعناته بقسوة بالغة :-

" من تكونين أنت لتتهمينهم بالغباء ..؟ من تكونين أنت لتشجبي ما يفعلون ،وأنت نسخة مصغرة منهم أو ربما أبشع منهم .. ها "

صمتت وقد شحب وجهها وهالها نظراته لها .. هالها أكثر أن ما يقوله يحوي شيئا كبيرا من الصحة .."

ارتعشت أهدابها ..دون قدرة لها علي النطق بحرف واحد ..أصبحت كتمثال من الشمع المرمري ،والهواء يعبث بخصلات شعرها الحالكة السواد ..رفع يديه يمسك رأسه بضيق مغمضا عينيه من ذاك الصداع الفظيع ..قسي عليها يدرك ذلك ..قسي عليها وبشدة ..تنهد وهو يأخذ نفسا عميقا ..حان دوره ليعتذر لها فلا يحق له أن يقسو عليها بتلك الطريقة .. فهو ليس المثال الأنسب و الأروع للحكم على الأشخاص .. فتح عينيه ليجدها اختفت من أمامه .. تلفت بدهشة

" أين ذهبت "

ليجدها تقطع الطريق ،وهي تجري وصوت نشيجها يصل إلي أذنيه ..نادى عليها :- " قاهرة انتظري "

إلا أنها لم تتوقف ..خطا مجتازا الشارع خلفها حين رأى سيارة مسرعة قادمة وبقوة تجاهها .. نادي تلك المرة بذعر .. وقد نسي تماما مبدأه " أنا ومن بعدي الطوفان .." حيث كانت قاهرة قد توقفت بمنتصف الطريق منحنية تجلب شيئا ما من الأرض .. " قاهرة ..."

رفعت إليه عينين مندهشتين من صراخه ,أسرع بخطاه إليها ليقبض بقوة وقسوة على خصرها ينتشلها من الأرض .. بينما أصبحت السيارة المجنونة أمام عينيه مباشرة دفعها بعيدا في نفس الوقت الذى صدمته السيارة بقوة ليطيح عاليا بالهواء ويسقط دون أن يعي شيئا مما حوله

*****

نظرت شادن في ساعتها لتجدها قاربت على العاشرة :-" حسنا وأنا سأغادر .."

قالت ريم بدهشة واستغراب :- " ماذا ..؟! "

قال شادن بتأكيد ولهجة قاطعة :- " أخبرتك .. آسر علي وشك المجيء ليقلني .. أخبرني أنه سيمر بي العاشرة، وهي الآن العاشرة والربع .. سيأتي في أي وقت ليصحبني ،وأنت تعلمين كم يكره الانتظار.."

قاطعتها ريم باعتراض :- " لكنني حضرت وليمة .. يجب أن تأكلي معنا "

ثم هتفت والابتسامة عادت لتزين شفتيها :- " حين يأتي سأدع محمود ينزل لدعوته ليتعشي معنا وبعدها تذهبان..أكيد محمود اشتاق له "

حين هزت شادن رأسها بالرفض أكملت ريم بإقناع :-" أو الأفضل اتصلي به .. تعجلي مجيئه بما أنني انتهيت من وضع الطعام .."

صمتت شادن وقد بان عليها التفكير باقتراح ريم .. لا تنكر أن الفكرة راقتها كثيرا ..ذهبت لحقيبتها أخرجت هاتفها لتتصل بآسر..اتصال ولا مجيب مرة .. مرتين ثلاث بدأ ينتابها القلق بالمرة الرابعة أجاب أحدهم .. صوت لم تميزه جيدا .. إلا أنها قالت بقلق قبل أن يتكلم حتي :- " آسر أين أنت انتابني القلق عليك .. لم تأخرت هكذا ؟!.. "

أتى صوت باكٍ لفتاة تقول :- " من معي .. ؟! "

وضعت شادن يدها على قلبها بقلق وهي تقول :- " من أنت .. ؟! هذا هاتف أخي ..من تكونين .. ؟ أين هو .. ؟"

ليتعالي النشيج بخفوت ..ما جعل شادن تتراجع للخلف تستند علي كرسي ما ،وهي تقول بشحوب وقلب ينبض بفزع :-" لو سمحتي أعطني آسر لأكلمه "

ازداد نشيج الفتاه وهي تقول :-" أنا آسفه ..لا أدري كيف أخبرك .. آسر.."

صرخت شادن حيث لم تعد تتحمل :-" مابه ..؟ انطقي.."

أتي الصوت بخفوت يقول بنبرة مرتعشة بالبكاء :-" لقد وقع حادث .."

صرخت شادن برعب :-" آســر"

الفصل الثالث

ذاكرة .. نهاية بـداية ..!

هُنالك مواسم للحزن الذي لا مبرر له .

انهمرت الدموع من عينيها ،وهي تنهارعلي الأرض تبكي ،سقط الهاتف من يدها من هول الصدمة .. بحيث لم تشعر بقدوم ريم ومحمود فزعين على صرختها ،احتضنتها ريم تحاول أن تهدأها بينما أخذ محمود الهاتف منها بعد نظرة سريعة لها، تكلم بسرعة وهدوء وحزم أغلق الهاتف لينظر إليها ارتعشت نظرته ،وظهر بها القلق بينما كانت هي تبكي بحضن ريم تتمتم بانهيار.. آسر.. قال لريم بهدوء آمر:- " ريم اجلبي لها كوب ماء "

أومأت وهي تنهض مسرعة بينما انحني هو على الأرض حتي أصبح علي ركبتيه مواجها لها ،وهو يقول بصوته الهادئ وإن ظهرت به لمسة حنان :- " شادن انظري لي .."

رفضت شادن أن تنظر له .. انهارت بالبكاء أكثر فقال بصوت آمر نافذ الصبر:- " شادن انظري لي..؟! "

رفعت عينين حمراوتين له، وهي تبكي كأنها تستجديه أن ينكر ما سمعت:- " آسر.."

أخذ نفسا عميقا وهو يقبض بيده علي ذقنها قائلا لها بقسوة :- " الآن ليس وقت البكاء .. آسر يحتاجنا إلى جواره .."

ارتفع نشيجها وارتعش جسدها ..تركها بنفاذ صبر وعيناه غائمتان أعطاها ظهره، وهو يمسك الباب بقوة حتي ابيضت سلامياته .. قال بقسوة وحزم:- " أنا ذاهب إلى المستشفي هل ستأتين معي أم تبقين هنا مع ريم حتى اطمئن على آسر"

انتفضت لماذا يجب عليه أن يكون بتلك القسوة ..إلا أنها نهضت قائلة بصوت باكٍ مرتعش لكن مصمم :- " آتية معك هيا بنا "

أومأ بصمت وهو يقول :- " حسنا اذهبي اغسلي وجهك لنذهب "

" لا "

التفت إليها بغضب، وهو يهم بالصراخ عليها ليجدها تمسح وجهها بطرف كمها كما الأطفال ما جعل بسمة مشفقة تلامس شفتيه وهي تقول :- " لا داعي لذلك هيا بنا "

أوما باستحسان ونظراته غامضة قائلا :- " هكذا أفضل يجب أن تبقي قوية وآسر بإذن الله سيكون بخيرهيا بنا "

ارتعشت شفتها مهددة بنوبة أخري من البكاء لكنها غالبتها ،

أتما الطريق بصمت شادن ملتصقة بالنافذة .. تنظر إلي الأمطار التي بدأت بالهطول تبتهل لله أن يكون الأمر بسيطا بينما ذاك العابس بجوارها مقطبا جبينه كالعادة يبدو عليه التفكير بعمق .. لفت وجهها تتأمله بصمت كانت تشعر أنهما وحيدان بطريقة تفوق الواقع حقيقة، ومختبئان عن كل الناس يغطيهما ستار من الأمطار المنزلقة على زجاج النافذة ,شعرت أنها تريد أن يقول لها شيئا ما أن يطمئنها بدلا عن صمته العابس ذاك التفتت إليه تلك المرة بشحوب وقوة، وهي تسأله ببحة مرتعبة ورجاء صب بقلبه رعشة لم يستطع السيطرة عليها :- " محمود ..أقسم بالله .. آسر هل هو بخير.. ؟ هل هو حي ..؟!!"

أوقف سيارته إلى جانب الرصيف قال وهو يشعل سيجارة:-

" شادن آسر بخير..هو..."

تردد :- " هو حي لكنني أريد منك أن تكوني شجاعة فهو يحتاجك بجواره الآن أنا لا أعلم كيف هو الوضع لكن أعتقد يجب أن تتصلي بوالدك .."

شهقت كيف سها ذلك عن بالها التمعت عيناها بالدموع وهي تبكي بيأس مد يده يرفع وجهها إليه إلا أنه تراجع .. بدا أنها تبحث عن شيء ما ليرتفع صوتها ببكاء :- "..نسيت هاتفي ..؟!"

شبح ابتسامة تلاعبت بشفتيه وهو يزفر دخان سيجارته بتوتر ،مد يده يعطيها هاتفه قائلا بصوته الأجش :-

" هاك لا داعي للبكاء ألم أقل لك أريدك قوية "

نشجت وهي تكفكف دمعها بطرف كمها إلا أن أنفها كان قد أصبح مزكوما بدا بحالة رثة للغاية بكل بساطة أخرج منديله ,رفع وجهها إليه ووضعه على أنفها أصيبت بالإحراج الشديد حاولت أخذ المنديل منه إلا أنه قال لها بهدوء ورقة وعيناه تلمعان :- " تمخطي .."

هزت رأسها بالرفض بإحراج فابتسم قائلا لها كأنه يخاطب طفلة بالخامسة من العمر :- " هيا .. شادن ..اعتبريني آسر"

اضطربت لذلك التشبيه ،وهي تهز رأسها بالرفض فهو يستحيل أن يكون بمثابة آسر بالنسبة لها ..ابعدت أنفها بعناد إلا أنه مسح لها أنفها بالقوه ما جعلها تتأوه .. والاحراج يصل لمنابت شعرها ..حاولت أخذ المنديل منه لكنه دسه بمعطفه بكل بساطة ..لم تكن بمزاج لتفسر لم يتعامل معها هكذا ..هو ببساطه يحيرها ويثير اضطرابها وسخطها .. وخوفها ..!

رفعت الهاتف وهي تتصل بأبيها ..ما إن أجاب حتى عاودت البكاء أخبرته ما حدث بكلمات متقطعة .. لا رد..بدا كأن والدها لم يسمعها بالبدء

حيث حل الصمت الرهيب علي الجهة الثانية من الهاتف .. نادت ببكاء:-" أبي ..هل تسمعني أبي ..أقول لك آسر"

" أيـن ..؟!"

أتت الكلمة الوحيدة القاطعة .. بشحوب وذهول وصوت خافت لدرجة أنها توهمت أنها سمعت .. لكن الصوت عاد يتعالى مرة أخرى بنفس السؤال :- " أين ..؟!! "

فنظرت لمحمود بحيرة وكأنه أدرك ما يسأل عنه والدها فأخبرها بهدوء :- " مستشفي الـ ....."

أغلق والدها الخط دون كلمة زائدة ..كانت مصدومة من رد فعل والدها الغريب.. لكن للمرة الثانية .. لم يكن وقت تحليل المشاعر ، تنهدت وهي تستجمع أفكارها .. كانت تأخذ أنفاسا علي شكل شهقات متقطعة ..هدي .. يجب أن تتصل بها لتخبرها ..أعادت الاتصال مرة أخرى ،وذاك الغامض جوارها يضغط بيديه على المقود كلما علا صوتها بالبكاء ،وهي تحدث هدى

ما إن انتهت حتى أعطته الهاتف .. ليلتفت ويقول لها بقسوة متعمدة، وصوته أجش من غضب غير معلوم :- " هلا كففت عن البكاء .. أو أعيدك إلي المنزل لتبقي مع ريم .."

انخفض صوته ببحة لم يستطع السيطرة عليها حين وجدها تنظر له بصدمة، وقد انتفخت عيناها من كثرة البكاء المتكرر، وبدت أنفها حمراء بطريقة بشعة .. قلل من قسوته ليقول بعتب :- " شادن .. أنا لا حمل لي بالبكاء .. لا أطيقه ولا أعرف كيف أتصرف معه .. أو مع من يبكي .. فبالله عليك توقفي عن البكاء الآن "

هزت رأسها بهمهمة صامتة، وهي ترغم نفسها على التوقف عن البكاء ..تنهد بصبر وهو يفتح الباب قائلا :- " هيا بنا .."

*****

جذبها أحدهم ليجلسها .. بدا مظهرها مشعثا بينما الدماء تغطي رقبتها ويديها ..لم تتحرك من أمام حجرة العمليات .. حيث أدخله الأطباء للعمليات بسرعة قصوى .. كل شيء كان ضبابيا ..صرخته .. احتضانه إياها ..ثم اصطدامه بالسيارة بعدما أبعدها عن الطريق..كل هذا حدث في ثوانٍ معدودة .. تلك النظرة التي رأتها بعينيه وهو يصرخ باسمها .. نهضت بسرعة رهيبة وهي تتغاضى عن كل آلام جسدها .. ركعت إلي جواراه وهو ملقي على الأرض ..تصرخ بجنون وفزع :- " ..آسـر ..انهض.. آسـر ..أرجوووووك "

لكن لا حياة لمن تنادي .. رفعت رأسه ببطء إلى حجرها وهي تجلس القرفصاء على الأرض .. كان هناك الكثير من الدماء التي تغطي وجهه وبدا شعره لزجا بكثافة من شدة الدماء .. أخذت تمسحها برعب وتوتر ..بعيدا عن عينيه .. التي تخضبت رموشهما بالدماء الحارة ..صرخت ..:- " النجـدة ...فليساعدنـا أحـد "

فتح عينيه ثم أغمضها .. لم تستوعب أنها تصرخ إلا بعد خروج بعض الأشخاص من الفندق وأغلبهم طبعا من أمن الفندق مهرولين وهي تصرخ بهستيريا :- " فليساعدنا أحد ..أرجوكم .."

ثم أخذت تبكي وهي تحاول أن توقف النزيف الذي يأتي من رأسه بيدها .. ضاغطاً عليه بقوة .. وصل الأمن بالإسعاف الذي أتي سريعا .. وها هي .. أمام غرفة العمليات ترتعش وتنتفض ..تشعر برأسها يكاد ينفجر رعبا

وخوفا ،وقلبها كأنه فقد دقاته كلها دفعة واحدة ينقطع تنفسها لوهلة ثم يعود بشهقة ..لم تكن تبكي الآن فهي تشعر بصدمة أكثر من أن تبكي ..لا تعرف ماذا تفعل سوى الانتظار ..خرج الطبيب ،وهو يتلفت بقلق .. فهبت من مقعدها على الرغم من ركبتيها المخلخلتين وهي تقترب منه بأمل وفزع تنظر له بتضرع :- " ما الأخبار أيها الطبيب ..؟!! "

سألها بصرامة :- " هل أنت زوجته..؟! "

فتحت فمها بذهول .. أوشكت علي النفي .. إلا أن شيئا ما بنظرة الطبيب أحجمها عن فعل ذلك فسألت بدلا عن الإجابة بصوت مبحوح :- " ماذا هناك ..؟! "

هز الطبيب رأسه بتفهم، وهو يقول بهدوء وإن كان بشيء من العجلة، وهو يشير للممرضة:- " بصراحة الوضع خطير.. خلافا للضلوع المحطمة هناك نزيف بالجمجمة "

شحب وجهها أكثر مما كان شاحبا ..وبدت عيناها كما عيني الباندا يحوطها السواد .. من الكحل والمكياج السائل من شدة البكاء .. إلاأنه استمر بنفس الهدوء والبراعة المهنية :-

" استطعنا إيقافه .. إلا أنه وبسبب شدة الاصطدام أدى إلى تكون تكلس دموي فوق جدار العين ونحتاج لإزالته سريعا لأنه يشكل ضغطا رهيبا علي المريض .."

وضعت يدها على قلبها برعب آسر .. قد يموت ارتفعت يدها إلي حلقها وارتعشت أنفاسها وشحب وجهها حتى أوشكت أن يغمي عليها لكنها تماسكت وهي تقول :-

"و..و ما المطلوب تحديدا ؟ !!"

تنفس الطبيب ثم قال :- " بكل صراحة هناك احتمال أن يفقد المريض بصره مؤقتا خاصة أن الضغط يرتكز على الفص الأمامي للمخ .. بعد الجراحة لكن عدم إجرائها قد يؤدي إلى وفاته "

صرخت بهستريا مؤقتة :- " مـاذا..؟! "

قال لها بصرامة وبعض التوتر:- " من فضلك اهدئي "

أخذت نفسا عميقا وهي تحاول أن تهدأ وتكون على قدر الموقف فلا أحد إلي جواره إلا هي ..ضغطت على عينيها بقوة تسيطر على الألم الرهيب بهما ،وهي تقول بارتعاش :- " أخبرني ماذا باستطاعتي أن أفعل..؟! "

قال بنبرة رسمية :- " أريدك أن توقعي علي استمارة لاخلاء مسئولية المستشفي ..إذا حدث أي سوء وإدراكك للمخاطر المصاحبة للعملية ..؟! "

ارتعبت وقالت :- " وما نسبة الخطورة "

50 %

رد الطبيب بإيجاز باسطا أمامها كل الحقائق ..خمسين بالمئة ..ارتعشت يدها ،وهي تدرك أنها يجب أن تتخذ قرارا لا وقت للتردد ..خمسين بالمئة .. قد يموت .. صوت آخر أخبرها .. وقد يحيـا ..قد يفقد بصره .. وقد لايفقده ..! لن يغفر لك ما حييت إن فقد بصره .. ولن تغفري لنفسك ما حييت إن فقد حياته ..! اتخذت قرارها حين وصلت أفكارها لهذا الحد ..أخذت نفسا عميقا وهي تقول :- " أين أوقع ....؟! "

أشار للممرضة التي تنتظر إذنه من مدة .. وهو يقول :- " حسنا اذهبي معها لإجراء ما يلزم .. وأنا ساعود لحجرة العمليات "

ربت علي كتفها مطمئنا ..حين رأى نظرتها الحائرة الخائفة ." ادعِ لـه "

بدت يدها التي وضع بها كوب من القهوة السوداء متسخة الأظافر ملطخة باللون الأسود والبني من دمائه التي جفت علي يديها ،قالت برعشة وهي تعود لتجلس بلا حيلة " ياإلهي ماذا فعلت ؟!

تمنت له كل شيء إلا أن يموت .. الأحمق .. انتابها الغضب منه.. الأحمق ما الذي دفعه ليفعل ما فعل ما الذي دفعه لانقاذها...لماذا غامر بحياته لأجلها..؟!! آسر الأناني .. التافه .. المغرور ..! أحبته حتي ذلك اليوم الذي اكتشفت كم هو حقير ومتلاعب وزير نساء من الدرجة الأولي حطم قلب أختها ،وتفتت قلبها هي..!أناني ..تافه ..مغرور ذلك الأنـاني الذي كاد أن يضحي بحياته لإنقاذهـا !!!!

******

" إلي أين ؟!! "

شهقت هـدى ببكاء عنيف، وهي تهرول خارجة .. لم تهتم بملابسها ولا شكلها .. حجابها الذي وضعته علي رأسها بعجل حين أتاها الخبر .. لم تجيبه تجاهلته تماما، وهي تشعر وكأنها بركان ظل خامدا زمنا ..وقد حان موعد ثورته ،لأول مرة لا يهمها ما قد يحل بها من عذاب أو رد فعل ..لأول مرة لا ترتعب من صوته أو نبرته أوحتى ما قد يفعله بها !! نظرت له بقسوة وغل ،ثم التفتت تهرول للخارج والدموع تتساقط من عينيها كشلال ،ضاقت عيناه ذلك التعبير على وجهها كأنها أخيرا ..أخيـرا استطاعت أن تتخطى نطاق سيطرته عليها ..!! لوهلة ارتعب .. لوهلة

أدرك ما يحدث دون أن يعرف السبب ،، إن كل ما فعله بها لم يكن كافيا لتحطيمها .. كما تحطم هو .. كان يجد راحة مريضة بتحطيمها .. راحة تخبر نفسه المريضة أنه ليس ضعيفا، وأنه لم يكن يوماً ضعيفا ! لكنه الآن وهو يراها بهذا الشكل يدرك أنه فقدها ، برقت عيناه بجنون لا يحق لها أن تتركه أبـــدا...!!

أسرع الخطى خلفها بإصرار وهو يعيد السؤال يحمل صوته كل من يستطيع من سلطة وقوة وهدير" إلى أين تظنين نفسك ذاهبة ..؟! "

صرخت بقوة وعيناها تبرقان بضوء جديد لم يره من قبل رغم دموعها الجارية :-" آسـر..أنا ذاهبة لآسـر"

فزع وتوقف قلبه عن الخفقان أخيـرا ستخبره ..ستتر..ر..ر..كه قال واجفا وقد شحب وجهه :- " مـاذا..؟ "

صرخت، وهي تضربه بكل قوه وقهر وحزن..والدموع تتساقط كالشلال من عينيها " اتركني أيها الحقير.. يجب أن أذهب "

أخذت تضربه محاولة الخلاص منه .. إلا أنه بدا كصخرة ضخمة لا تتحرك .. أصابعه تحولت لقيد فولاذي ، أخذت تضربه بكل وجع وألم ,تضربه كما أرادت أن تفعل يومها تخمشه بوجهه وعينيه .. أخيـرا صرخت من عمق قلبها الموجوع :- " أخي يموت اتركني ! "

تراخت قبضته عن يدها فجأه بذهول، وهي لم تضيع الفرصة إذ فتحت الباب لتخرج مهرولة، بينما عبثت الرياح بردائها الطويل ،وهبت قشعريرة ببرودة الثليج علي وجهه " آسـر... يموت ...!! "

*****

أقدام مهرولة وصوت باكٍ .. وجه مفزوع وقلب واجف ..التقيا صرخت شادن بحزن وهي ترتمي بصدره :- " أبـي "

احتضنها بضعف دون أن ينتبه لذلك الصامت الغامض بجوارها :- " هششششش حبيبتي ..سيكون بخير ..هششش "

ابتلع ريقه يسيطر على حزنه وتوتره :- " هـل هـو بخير ..؟!! "

هزت رأسها بألم دون أن ترفع وجهها من حضن كتفه .. فقال محمود بصوته الرخيم وهدوئه المميز :- "لا نعرف بعد سيد بدر .. كنا في طريقنا إلى الاستعلامات "

نظر اليه بدر الدين بتقطيبه ..للهجته المختلفة عن اللهجة المصرية .. قال بدر الدين وهو يحيط شادن بيده قائلا بتساؤل :- " ومن أنت ؟؟ "

قال محمود بهدوء :- " عذرا لم أعرفك بنفسي .. محمود هاشم صديق آسر "

أكمل بقليل من أسى :- " كانت في منزلنا تذاكر مع اختي حين أتانا الخبر.."

مد بدر الدين يده يسلم عليه ،وهو يقول بارتباك بسيط وحزن يخيم علي ملامحه :- عذرا أعصابي متوترة .."

قال محمود بتفهم :- " لابأس سيدي .. تفضل من هنا "

أسرعا الخطوات إلى الاستقبال .. سأل بدر الدين بصوت قلق ووجه شاحب موظفة الاستقبال :- " عذرا أتت لديكم حالة من قليل .."

بلع ريقه باضطراب يكمل :-" اصطدام .. حادث اصطدام .. باسم آسربدر الدين "

أجابت الموظفة قائلة بهدوء :- " نعم سيدي ..وصلت الحالة منذ ساعة"

قال بقلق بالغ واضطراب وهو يضغط بدون وعي على كتف شادن المرتعبة :-" ما وضعه..؟!!

" آه ثانية واحدة سيدي "

ألقت الممرضة نظرة على الجهاز أمامها ثم رفعت رأسها تقول بهدوء ومهنية :- " هو الآن بغرفة العمليات.."

فزعت شادن وهي تكتم شهقة في حين ضغط والدها على كتفها بشدة دون قدرة على المتابعة ، فقال محمود بقلق :- " عمليات لماذا ..؟

إلا أن بدر الدين قاطعه وهو يقول بعصبية وخوف :- " ولماذا لم تخبرونا ..؟! من أعطاكم الإذن بإدخاله حجرة العمليات ..؟! "

قالت الممرضة بارتباك :- " عذرا سيدي لكن زوجته هي من أعطتنا الإذن"

صعق الجميع زوجتــه ..!!

*****

أقلتُ لكَ

إنكَ مثل حزني .. قَدَرٌ !

وإنك مثل ليلي .. سَهَرٌ !

و إنك عُمرٌ ....!

و العُمرُ مرةٌ .. بالعُمر" !

أفاق مروان من صدمته وهو يسرع خلفها .. كان يقود كالمجنون محاولا اللحاق بها ..فهو لن يسمح لها أبدا بأن تتركـه ,ترجلت من السيارة بارتباك وخوف تبحث بعينيها عن مدخل الطوارئ أخيرا توقفت أمام الاستقبال تلهث بخوف:- " عذرا آنسة .."

أخذت عدة أنفاس وهي تسأل :- " آسر بدر الدين..ا "

نظرت لها الممرضة بكل هدوء رافعة حاجبها بعدم فهم فأكملت بنفاذ صبر :- " مريض باسم آسر بدر الدين وصل منذ قليل بحادث اصطدام أين هو ..؟!! "

نظرت الموظفة للشاشة أمامها وهي تفتش ببياناتها ..لثوانٍ بدت دهرا ..أخيرا رفعت رأسها قائلة ببرود :- " الدور الرابع قسم العمليات المصعد اتجهي شمالا"

أومأت دون أن تسألها شيئا إضافيا وهي تفكر عمليات ..! اتجهت إلي المصعد وهي تهرول تقريبا ،وأخذت تضغط عليه بلهفة وهي تعدل من حجابها .. أخيرا وصل المصعد للدور الأرضي ما إن خطت بداخله حتي تفاجأت بمن يسحبها من ذراعها بقسوة مؤلمة ارتعبت وانتفضت بقسوة ميزت تلك القبضة القاسية ..تعالي قهرها وهو يجرها بكل قسوة ساحبا إيأها خارج المصعد إلا أنها تشبثت بمسند الباب برعب، وهي تجذب يدها منه .. تصرخ رغم رعبها " اتركني .. أيها الحقير"

بدا وجهه شاحبا بقسوة وخشونة أنفاسه تعلو وتهبط بشدة بينما تجاهد هي للفكاك منه برعبها المعهود واشمئزازها الجلي ،هي لم تبق معه إلا لأنها خافت علي أخيها الحبيب من الحقيقة ..خافت إن عرف آسر بما فعله قد يقتله ..!فضلت الذل والهوان والقسوة وكل ما فعل بها حتى لا

تؤذي أخاها حتى لا يضيع مستقبله إن هو قتله ,لم يكن بإمكانه أن يجعلها تضيع منه لا يستطيع تخيل ذلك فهي لـه ..! وهو لن يسمح لها الآن بأن تتركه ,صور له جنونه أنه إن أخذها خارج المستشفي إن منعها من أن تتأكد من موت آسر ستظل معه .. !! سيبقي الوضع على ما هو عليه..!! لكنه لم يتوقع أن تحاربه بتلك الضراوة .. أن تصرخ رغم الفزع المألوف بعينيها لمرأة بدأ بعض الناس يتجمعون مما دعاه للاقتراب منها هامساً بغضب وعيناه تنضحان شرا وجنونا :-

" أين تعتقدين أنك تستطيعين الهرب مني ألم أقل لك إنك ملكي ..!! "

أخذت تبكي بخفوت وهي تدرك رعبها منه الذي يشلها عن الحركه .. تجاهل نظرات البعض المستنكرة وفتح الباب متجها لموقف السيارات إلا أنها رفعت عينيها،وهي تقول بشراسة مرتعبة مهزوزة :- " لو حدث لأخي شيء لو مـات..."

لم تستطع أن تكمل الجملة حين توقف فجأه بالموقف الخالي من البشر مبتسما بشر :- " لـو مات آسر حتي موتـه لن يأخذك مني ..أنت لـي حتى موتي أو موتك أتفهمين "

رفعت يدها فجأة وهي تصفعه علي وجهه بعنف وقهر وغضب ورعب صارخة :-" حيوان.. "

إلا أن الصفعة عادت لها كأقوي ما يكون حتي شعرت أن رأسها ارتج وعينيها خرجتا من محجريهما لم تر أمامها إلا لونا أحمرا لدمائها ,نظرت بعينيها في رعب يمنة ويسرة تبحث عن مخرج بأي طريقة ممكنة, بدون فائدة .. فالموقف شبه خالٍ مظلم ,لم تكن ترى أمامها من الدماء النازفة بجبهتها سقوطا على عينيها ..لطالما كانت جبانة جبانة ..ولن تتحلى

بالشجاعه اليوم..كانت خائفة بل مرعوبة ومهانة تشعر بالإهانة تنخر عظامها إلا أنه قبض على كتفيها كاد أن يكسرهما بين قبضتيه بقوة، وهو يسحب رأسها لأعلى لتنظر في عينيه قائلا :-" والآن ستأتي معي .. بدون أدني جلبة سنخرج من هنا معا .."

أصدرت أنينا مجروحا، وهي ترفع يدها تكتم بها شهقتها تومئ برأسها بالإيجاب ..لتتلاشي النظرة المتوحشة من عينيه ويحل محلها نظرة نصر خالص ,كانت الكدمة على وجهها بجانب شفتها ممتده حتى عظمة وجنتها اليمنى وصولا لحاجبها الذي بدأ يقطر قطرات صغيرة من الدماء حثها علي السير مرة أخرى إلا أنها لم تكن تشعر بساقيها .. تهاوت فجأة أرضاً ليزأر بغضب، وهو يرفع يده ليهوي بها على وجهها .. أغمضت عينيها متوقعة الألم المبرح , حين أتت تلك اللكمة لتجعلها تشهق برعب ،وهي ترفع رأسها لتتفاجأ بتلك العينين ..عينين بلون شمس الصحاري الحارة يعتريهما الغضب لدرجة رهيبة، بدا كأن النيران نشبت بهما، تسمرت نظراتهما عليها ومروان يسقط إلي جانبها مغمي عليه

اغضب

فالأرض تحزن حين ترتجف النسور

اغضب

فإن العاريسكُننا

قالوا بأن الأرض شاخت ... أجدبت

نامت ولم تُنجب ولدا

اغضب

فإن بداية الأشياء .. أولها الغضب

ونهاية الأشياء .. آخرها الغضب

والأرض أولى بالغضب

(فاروق جويدة)

*****

الصمت التام هو ما خيم عليهما لبضع ثوان بعمر الزمن ومروان مكوم بجنبها علي الأرض لكنها بدت كدهر لهدى, أحنت رأسها بألم وهي تتهاوى إلي الأرض رغم رغبتها في الهرب وبالاختفاء إلا أنها فقدت القدرة على القيام بذلك ..! لم تكن تشعر سوى بالألم ..الألم والوجع .. والمهانة ,انحنى نادر بطوله الفارع وقامته العريضه حتى أصبح مواجهاً لها .. جالسا علي ركبتيه أمامها ؛ولأنه أطول منها بكثير فقد أخفض رأسه ليلاقي عينيها .. غضب .. كل ما كان يشعر به هو الغضب .. أراد تمزيق ذلك الحيوان شر تمزيق .. بدت عيناه مشتعلتان تحت الصفاء بدا بركان من النيران يشتعل ببطء وهدوء ،وهو يرى فعلته الشنعاء بها و بوجهها .. رغم أنها أخفته بين قدميها بوضع غريب للغاية ذكره بالأجنة برحم أمهاتهم عاوده الغضب الساحق تلك المرة من نفسه .. وهو يرى تقوقعها علي نفسها حتى الأنفاس بدا أنها تسللت هربا منها .. ولم يتبق إلا أنينها الموجوع .. ود لو يعاود ضربه مرة أخرى حتى الموت .. لكنه كعادته كظم كل انفعال يتملكه، وهو يتحكم به بإرادة حديدية لا يعلم مصدرها إلا الله أخطأ حين ابتعد قديماً .. لكنه لن يكرر نفس الخطأ مرتين ..! قال بصوت حاول قدر استطاعته أن يخرج هادئا إلا أنه خرج خشناً يحوي شيئا من بقايا غضب وإصرار:- " انهضي .. يجب العناية بجرحك "

لم ترفع رأسها إليه بدا أنها لا تسمعه ،حاول مرة أخرى بنفس النبرة الخشنة الشرسة المميزة لصوته :- " انهضي.."

لا تجيب يريد منها أن تجيبه حاول مرة أخرى مسيطرا على نفسه بقوة فولاذية خشية أن يفلت قهره من عقاله لذلك الوضع الذي بدأ يخرج عن السيطرة :- " إذا كان هناك ما يؤذيك ..هزي رأسك فقط إذا "

نادى بصوت خفيض هادئ ويأس :- " هـدى .."

حينها فقط رفعت رأسها بتشوش .. حين ناداها باسمها هل يعرفها ..؟!! تأملت ذلك الكيان الأسود أمامها بدا خطيرا شرسا يرتدي السواد ..ارتفع حاجبه وعيناه تلمع بنظره غريبة حين تواصلت نظراتهما هي نظرات جريحة ،وهو نظرات حادة واثقة كالصقر تاهت عيناها بتشوش بعيدا عن عينيه ليقعا علي حاجبه كان يبدو لو أن به جرح قديم بشق طولي لا يبلغ ثلاث بوصات .. أعطاه مظهرا خطيرا .. قال بلهجة غامضة يشوبها عزم وإرادة حديدية ومقدرة على تحقيق المستحيل :- " قولي لي ما تريدين وسيتم الآن أقسم لك اعتبري ما تطلبين تم و انتهى"

عادت عيناها تتعلقان بتلك النيران الهادئة بعينيه نطقت بدون وعي وبأمل عميق وصوت بدا تظهر به نبره ما وبحه ما :- " أريده أن يختفي من حياتي ..هل تستطيع تحقيق ذلك ..؟!! "

طيف ابتسامه لمعت علي الشفاه القاسية وهو ينطق بقوة وعزم وثقة :- " تـم "

التفت بكتفيه العريضتين إلى ذلك المسجى على الأرض وسط ذهولها ونفس التشوش والارتباك اللذين سيطرا عليها .. وهو يجذبه من قميصه بقسوة صفعه على وجهه بقوة جعلته يفتح عينيه بألم .. تأوه مروان

ببطء، وهو يستعيد وعيه حين ثبت بصره على الوجه الماثل أمامه ، ظهر الذهول والخوف علي وجهه.. دارت عيناه ينظر لهدى لتعود إلى نادر بشيء من الخوف والرهبة والمعرفة الأكيدة، هم بالكلام حين أتت كلمات نادر القاطعة الحازمة بصرامة وأمر وهو يقول :- " طلقها الآن .."

صرخ مروان برعب :- " مـاذا..؟!! "

رفع نادر حاجبه بقوة وتهديد ،وهو يقول بصوته العميق ببحته الخشنة :- " لن أعيدها مرة أخرى مروان الآن طلق هـدى "

مرت مشاعر وتعابيرمختلفة على وجه مروان من خوف لصدمة ..لخـوف ..لعدم استيعاب ..لذهول ليصرخ بغل وحقد وجنـون " أيتها الحقيرة..؟!"

لكن نـادر عاجله بلكمة أخرى وهو يصرخ بوحشية :- " إيـاك "

هزه بقوة وهو يعتدل وإياه لينهضا عن الأرض قائلا بصرامة أقسى وأشد :- " الآن .."

كلمته أرعبت مروان لكنه أدرك شيئا واحدا فقط ؛وهو أنه يجب أن ينفذ ذلك الأمر ..!! تحول جنونه إلى بكاء مثير للشفقة، وهو يقول :- " لا أستطيع أنا أحبها "

انتفضت هدي بعنف لوقع الكلمة الكريهة .. فشد نـادر علي قميصه بقسوة، وهو يقول :- " الآن .. مروان "

الصمت هو ما سيطر عليهم لدقيقة كاملة الصمت سوي من أنفاس مروان المرتعبة .. وأنفاس هدى المذهولة .. المشتتة .. وأنفاس نادر الهادئة الواثقة حتى خرجت تلك الكلمة من فم مروان بضعف وخفوت :-" طالق"

شد نادر على قميصه بقسوة وتهديد .. ليتعالى صوت مروان مؤكدا على تلك الكلمة القاتلة له :-" أنت طالق هدى "

قال نادر وهو يريد التأكد من تحررها تماما ..فذاك أبسط شيء قد يفعله لها ..ليريح ضميره :-" بالثلاث"

بكي مروان بشدة بطرقة لا تليق برجل ،وهو يصرخ بالنفي :-" لا لا أرجوك .. أنت تقتلني "

وحين لم يجد أي رد فعل علي وجه نادر سوى الإصرار الشديد والقسوة والقوة التي يعرف أنه يملكها ،تهاوى رأسه بنحيب دفع بالاشمئزاز إلي وجه نادر.. والارتعاش والمقت إلي جسد هدى ،وهو يقول بانكسار:-" هدى أنت طالق بالثلاث "

تنفس نادر بعمق ،وهو يقول بنفس الصرامة والنبرة الخشنة :-" والآن اختفِ من أمامي وإلا لن أكون مسئولا عما قد يحدث لك "

ما إن اختفى مروان من أمامها بخطوات ذليلة متعثرة حتى التفت نادر ينظر إليها .. وشك يخامره .. كانت تبدو كما لو أنها لا تعرفه ..! أيعقل هذا إنها لا تتذكره ..!

صدمه ما كانت تشعر به ...صدمـــه هل طلقها مروان ..هل تحررت منه أخيـــرا، ظلت تنظر له بصمت لتسقط دمعة يتيمة من عينيها، وهي تهتف بصوت منخفض حزين :- لماذا ..؟!!

لم يدعي عدم الفهم فلقد أدرك مقصدها تنهد وهو يفكر، إن هناك أشياءً لا تقال في لحظة كتلك.. أشياء اختار بإرادته ألا يتفوه بها..!! تصلب

دون أن يلتفت إليها معطيا إياها ظهره الفارغ الطول، وهي لازالت مكانها " لأنني كنت موجودا ..! "

رفعت رأسها تنظر إليه وعيناها قد جفتا من الدموع لتجده ينظر إليها بغموض .. بللت لسانها لتهمس :- من أنت ..؟!

بنبرة غريبة همس :- وهل يهم ..؟!

هزت رأسها بالنفي .. وهي تقول ببرود :- لا لا يهم

رفعت رأسها بكل ما تستطيع من شموخ مهزوز ثم نهضت ببطء .. أخذت نفسا عميقا ..فهي أقوى مما تظن قاست الكثير ولازالت حية ..إذن فهي قوية حتى ولو لم تكن تدرك هذا بعد .. استندت لوهلة بينما ظل هو على نفس هدوئه وسكونه ،أخذت نفسا عميقا وهي تتخطاه للخارج لقد نجت .. تحررت أخيرا .. مروان طلقها ,

لم تلتفت لتراه، أرادت الالتفات ..أرادت التأكد من أن ما حدث ويحدث حقيقة، ألا يزال واقفا أم أنه رحل وقع نظرها علي النوافذ الزجاجية للمشفي حيث كان المطر ينهمر بغزارة، ها قد حل الشتاء ،وتلمع عيناها بقوة جديدة عليها ..فبعد اليوم لن يكون هناك مجال لأحد ..أي أحد.. بأذيتها ..

*****

ترددت الكلمة برأسهم زوجته ...!! متى تزوج..؟!!بمن تزوج وكيف تزوج ..؟!! كل تلك الأسئلة دارت ببالهم لكن لم يجرؤ أحدهم عن الإفصاح عنها فقد كان الاطمئنان عليه أهم ،توجها بصمت إلي الدور الرابع وكلٌّ باله مشغول بشيئ ما ..أخيرا توقف المصعد ليتجهوا بسرعة إلى ممر حجرة

العمليات وهناك رأتها شـادن ، لم يكن هناك غيرها يجلس منتظرا وتوقفت شادن فجأة تنظر إليها ..كانت جميلة بل رائعة الجمال ..تجلس بأناقة ملوكية وإن كان مظهرها متعبا .. تعبث بفنجان ورقي ربما يحوي بعض القهوه .. تهز قدميها بتوتر ورأسها المنخفض يهتز ببكاء صامت ..تملصت من ذراع والدها الذي نظر لها بدهشة وهي تجري بشيء من اللهفة.. حتى جثت علي ركبتها أمامها .. رفعت قاهرة عينها العقيقتين بقلق .. ولازالت بضع دمعات عالقات بأهدابها الرائعة ابتسمت لها شادن ابتسامة مرتعشة تحوي مزيجا من حـزن وأسى وترحيب وفمصابهما واحـد ، أحتضنتها بذراعيها ارتعشت بخوف وشجن وهي تحتضنها في المقابل ، فمصابهما كان واحدا، وإن لم تدرك قاهرة معني ذلك تحديدا بقلبها المشوش.. فهي ورغم خوفها وفزعها ورغم إنكارها أن خوفها لا يتعدى خوفهاعلي أي إنسان بموقفه بكت شادن وهي تهمس لها بتساؤل :- " كيف هو الآن..؟!! "

تنحنحت قاهرة وهي تقول بصوت أبح من شدة البكاء :- " لازال بغرفة العمليات.."

ما إن واجهتها شادن بعينيها الدامعتين حتى تساقطت تلك الدمعات وهي تهتف بحزن وتأنيب ضمير :- " أنا آسفة .. أنا السبب "

هزت شادن رأسها ، وقد بدت أكبر من سنها ، وهي تقول بحنان جعل محمود يبتعد دون إرادة منه بخطوات للخلف وتعبير غريب يلوح على وجهه. " لاتقولي هذا .. قدر الله وماشاء فعل "

تعانقت الفتاتان مرة أخرى حين أتت همهمة خافتة من خلفهم فاعتدلت شادن وهي تنهض قائلة ،وعيناها تبحثان عن محمود الذي اختفى فجأة :- " هذا أبي "

ثم أكملت بابتسامة لازالت تحمل بعضا من الاستغراب الذي انتابها حين سمعت بزواج آسر:-" حموك "

ماذا ..!!

صعقت قاهرة .. وقلبها ينتفض بخفقة غريبة ..لكنها تذكرت أنها أخبرت الطبيب بهذا .. بل ووقعت على أوارق رسمية بتلك الصفقة .. ليقوم بإجراء تلك الجراحة لكن أن تفعل ذلك لسبب .. شيء .. وأن تستمر به دون مبرر شيء آخر ..اقالت بخجل وارتباك وكلمات متقطعة تنوي توضيح الوضع لهم :- " سيد بدر .. أنا.."

إلا أن كلماتها قوطعت حين صرخت شادن صرخة صغيرة وعيناها تقعان على هدى القادمة نحوهم وشكلها يبدو كما لو أنها آتية من حادث بشع هي الأخرى.. تقدمت منها شادن بلهفة، وهي تضع يدها على قلبها بفزع ..في حين شحب وجه بدر الدين للغاية ومختلف المشاعر تتفاوت على وجهه .. تراجع للخلف بخجل .. نعم الخجل هو ما كان يغلب على مشاعره .. خجل الأب من ابنه لاتريده ..من ابنه لا يستحقها ..من ابنه يريد أن يتجنب ألم رفضها له ..هتفت شادن وهي تمسك بكتفيها تتأمل وجهها والجرح الكبير به .. حجابها الممزق الكاشف قليلا لشعرها الأسود العاجي ..ودموعها :- " ماذا حدث لك .....؟! يا إلهي "

ترقرقت الدموع من عيني هدى، لكنها قالت بهدوء لا يشف عما يعتمل بداخلها من براكين توشك على الثورة :- " لا شيء .. لم يحدث لي شيء "

ثم ثبتت عينيها على شادن قائلة برجفة :-" آسر ..هل هو ..؟!! "

لم تستطع أن تتم الجملة ..حين هزت شادن رأسها باعثة الأمل إلى عظامها المرتعشة، وهي تقول بخفوت :- " بحجرة العمليات لا نعرف شيئا عنه حاليا "

ثم قالت بهدوء وإيمان عميق لا يظهر إلا في وقت الشدة والمصائب :- " ادع له يا هدى "

سقطت دمعة وحيدة من هدى ،وهي تهز رأسها بصمت .. نادت شادن على قاهرة بمودة ما جعل هدى ترفع بصرها لها بفضول متعب .. فقالت شادن بابتسامة مترددة بين السعادة والحزن والقلق :- " هذه زوجة أخيك.."

صدمة جديدة هزتها :- " ماذا..؟ "

بينما قاطعتها قاهرة بارتباك :- " لحظة فقط هناك ما أريد قوله "

كانت قاهرة تشعر بارتباك وقلق .. فقد تعقد الموضوع بشدة، وأصبحت تخشى أن تخبرهم الحقيقه.. اقتربت من هدى وهي تسلم عليها بهدوء قلق وإن لم تستطع إخفاءه جيدا فيداها كانتا ترتعشان بقسوة :- " ..أهلا ..أنا قاهرة السليماني "

شهقت هدى وهي تتذكرها ..تخرج من صدمتها وذهولها قليلا ..سبحان الله كم أن العالم صغير حقا هتفت بتأمل ،وإن كانت بقايا ألم وحيرة لازالت علي وجهها الحزين المجروح :- " قاهرة .. قاهرة السليماني أخت شذى السليماني .. بالتأكيد أتذكرك "

اقتربت منها قاهرة بنية احتضانها مواسية كما فعلت شادن .. إلا أن هدى نأت بنفسها عنها .. وهي تتراجع خطوة للخلف ترفض ذلك الاقتراب

والتلامس الجسدي .. ماده يدها للأمام بمصافحة جافة تناقض البسمة الشاحبة المتوترة على وجهها ،واكتفت بها قاهرة دون أن تمانع .. بدا الجو متوترا .. و الهواء يبدو كثيفا .. بينما هدى ألصقت وجهها بزجاج النافذة تتأمل المطر بصمت وهي تدعو في سرها .. وقاهرة رغم شعورها بالبرد لكن خوفها كان أعظم ..أخرجت هاتفها، وقد قررت الاتصال بوالدها ،فهي رغم شجاعتها إلا أنها أدركت أنها تحتاجه إلى جوارها .. أما بدر الدين فظل علي حاله كالغريب المنبوذ بين أبنائه .. لم يقطع صمتهم إلا صوت قاهرة، وهي تهتف بوجل وقد بدت سيطرتها الواهية علي نفسها تتلاشي ،وهي تري أخيرا أباها وزوج أختها توفيق آتيين مسرعيين بالممر الطويل، احتضنها والدها مطمئنا عليها بفزع .. فمكالمتها له كانت مشوشة .. متقطعة ..باكية . فلم يفهم منها سوى أنها تسببت بحادث لشخص ما ..وأن هذا الشخص هو آسر بدر الدين لم يكن أنانيا لكنه لم يستطع أن ينكر شعوره بالراحة حين وجد ابنته العزيزة سالمة احتضنها يطمئن أن كل شيء بها سالم .. يهدئ من بكاها الذي ارتفع بشكل يثير الشفقة عليها وهي تتمت بحزن :- " أبي ...آسر .. بغرفة العمليات .. أنا السبب .. لن أسامح نفسي .. قد .. قد يفقد .. "

ربت على كتفها وهو يزيد من احتضانها مطمئنا :- " هششششش كفى ابنتي .. كفى .. قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا "

صمتت وهي تشهق بإيمان .. ربت توفيق على كتفها من الخلف لتستدير له وقد هدأت عاصفة بكائها قليلا أعطاها معطفا كبيرا ارتدته بهدوء وهي تشعربالبرد الشديد الذي اعتراها فجأة كما لو أنها في خضم خوفها كانت قد تجاهلته دون قصد ..أخذ جسدها يرتجف لاإراديا فسحبها والدها يجلسها بهدوء همس لها قائلا :- " انتظريني لحظة "

تشبثت بيده حين هم بالسير.. لكنه ربت عليها يطمأنها وهو يتركها متجها لبدر الدين توقف أمامه ،وهو يقول باحترام وأسف بعدما ألقي عليه التحية وعرفه بنفسه :- " عذرا سيد بدر..أدرك أن مصابكم جلل.."

أخذ نفسا وهو يواجه الرجل الهادئ بعينين صارمتين :- لكن يجب أن نتكلم بموضوع مهم للغاية "

قال بدر الدين بقليل من الاندهاش إذ وجه له أحمد السليماني الحوار ، وهو يظن أنه بالتاكيد يدرك وجود مشاكل بينه وبين آسر ..بما أنه لم يعرف بزواجهم ..!! فقال له وهو يقمع فضوله :- " تفضل ..خير إن شاء الله "

قال والد قاهرة بلباقة :- " أنا آسف للغاية لمصاب ولدك العزيز.. كما لابد وأن تدرك أن قاهرة وأنا مستعدان لتحمل كافة الالتزامات المالية حتي نطمئن علي آسر بإذن الله.. "

صمت قليلا وهو يناشد الرجل برجاء :- " نحن نقبل بكل ما ترتضيه أنت وعائلتك "

ضاقت عيناه برجاء لرجل فخور لم يعتد رجاء أحد إلا الله وحده ..إلا أنه أجبر نفسه علي الاستمرار فذاك مستقبل ابنته ..حبيبته ..طفلته ، وإن توقف الأمر على الرجاء ..فلن يتوانى عن ذلك :-" لكنني أتمنى وأرجو منك قبول اعتذارنا عما حدث بالتأكيد أنت تدرك أنه قضاء وقدر.. ونرجوكم ألا يصل الأمر للقضاء

ذهل بدر الدين .. فقال بدهشة واستغراب شديدين :- " سيد أحمد .. كيف تظن أنني قد أستطيع الزج بزوجة ابني إلى السجن ؟!!"

" مـ ما ماذا ..؟! "

قالها أحمد السليماني بارتباك شديد .. التفت ينظر إلى قاهرة بذهول ونظرة صاعقة، لكنها لم تكن منتبهة له أعاد سؤاله بذهول لم يستطع إخفاءه :- " زوجتـه"

قال بدر الدين بعتب :- " نعم رغم غضبي لزواجهما دون معرفتي أنا أو أختيه .. إلا أننا مستحيل أن نتسبب في شيء كهذا .. "

فقد السليماني متابعة كلام الرجل من الوهلة الأولى .. وقد بدا وجهه شاحبا من الصدمة .. فقال بخفوت :- " عذرا لحظة "

قطع الممر بخطوتين وهو يقف أمامها .. نادى عليها بصوت غاضب :- " قـاهرة "

هاقد حانت لحظة المواجهة .. رفعت بصرها له بارتباك وخوف ،وقد أتت اللحظة التي تخشاها أتستمر بخديعتها حتى تتأكد من حالة آسر الصحية أم تخبر والدها الحقيقه..؟ وهل سيصدقها والدها..؟!! وإذا أخبرته الحقيقة .. ما سيكون موقفها من أهله حاليا ..؟! ربما يطلبون لها الشرطة.. لا.. لا تستطيع تحمل ذلك .. ليس خوفا من الشرطة أو السجن .. لكنها تريد الاطمئنان على آسر أولا ..! تريد أن تـراه .. وأن تري عينيـه مبصرتين مرة أخرى .. تنظران لها حتى وإن كان بكـره أو حقـد أو سخريـة لا يهمها لكنها تريد أن تراه وتطمئن عليه أولا.. وبعـدها .. رفعت رأسها وبإصرار جديد يشع بعينيها قالت بهدوء يناقض عينيها الباكيتين وصوتها المبحوح ويديها المرتعشتين :- " نعم أبي"

قال بلهجة قاطعة وحزم غاضب غير مصدق :- " هل صحيح .. هل صحيح ما يقول .. بدر الدين والد آسـر "

قالت بصوت مرتعش لكن واثق :- " نعم أبي "

اهتزت الأرض تحت قدميه لوهلة .. بحث عن شيء يستند عليه .. فأسرع إليه توفيق الذي كان يراقب المشهد من بعيد بفضول .. نهضت قاهرة بسرعة تسند والدها إلا أنه أبعد يدها عنه بغضب ..قال بحشرجة :- " متى ..؟!! "

لم تجب نظر إليها ،وهو يقول بخيبة أمل وصدمة :- " لماذا قاهرة ..؟! لماذا ..اعطني سببا واحدا يدعوك لفعل هذا ؟!"

همست برجاء :- " أبي "

رفع يده يقاطعها بحزن وصرامة :- " كيف أتتك الجرأة لكسر قلبي بتلك الطريقة .. لماذا تزوجتما بالسر دون علمي "

" أبي "

قالت ببكاء غير قادرة علي التفسير أو الشرح ..آلمها حزن والدها ..آلمها انكسار قلبه ، والأكثر ألما هو فقدانه الثقة بها الذي لاح بعينيه ..حاولت الاقتراب منه إلا أنه دفعها بعيدا عنه ، وهو يقول لها بخشونة وغضب :- انسي أن لك أب من هذا اليوم

نفض يدها عن ذراعه برفض .. وهو يسرع للخارج ورأسه مرفوع بكبرياء مكسور وشموخ قد اهتز قليلا .

*****

عاد محمود بهدوء يحمل بيد عدة أكواب من القهوة على مسند ورقي، و هو يتحدث إلي شخص غريب نظرت له شادن بفضول ،كان يبدو وسيما

جذابا يرتدي السواد ويلف رقبته بشال رجالي صوفي رمادي اللون نظرت له ثم لمحمود ..كانا متقاربي الطول , تساءلت ترى من يكون .. بينما انتفضت هدى بجوارها بتوتر وهي تري نادر يتقدم منهم بهدوء مع محمود .. لم تكن بحاله تسمح لها بالتفكير السوي إلا أنها كانت تشعر بالتعب من كل تلك الصدمات والمفاجآت بدا اليوم طويل للغاية بداية من البشع مروان صباحا ، ثم خبر حادث آسر .. وهجوم مروان عليها للمرة الثانية بنفس اليوم إنقاذ هذا الغريب لها وطلاقها المستحيل واكتشافها زواج آسر من قاهرة أخت شذى صديقتها التي لم ترها منذ سنوات، ووجود والدها المنزوي بعيدا شعرت بالدنيا تدور بها .. وجسدها أخذ يرتعش بهزات لا سيطرة لها عليها مهما حاولت كانت تشعر بالبـــرد الشـــديد

رفعت يدها تحتضن نفسها بقوة، وتلك العينان المضيئتان تنظران لها بغموضهما المألوف..هي لحظة تلاقت بهما العينان لتتهاوى قدماها إلي الفراغ بضعف مفاجئ، صرخت شادن بفزع وهي تسندها قبل أن تسقط أرضا في حين أسرع محمود إليها بينما تباطأت خطوات والدها بوجل و نادر باحترام لخصوصيتها ما هي إلا ثانية، وعادت تفتح عينيها بضعف ليتحول إلي نفور وهي ترى والدها قريبا منها فتراجع للخلف بألم قاتل، أجلستها كل من شادن وقاهرة على المقعد المعدني المميز للمستشفيات، وهما يطمئنان على حالها اقترب محمود بخطواته الحاسمة وهو يتساءل :- " أأنت بخير.. أتحتاجين رؤية طبيب ما"

أخفضت عينيها ، وهي تومئ بالنفي وبتشوش قائلة :- أنا بخير إنه فقط الإرهاق "

أومأ محمود بهدوء :- حسنا ،

اقترب نادر بخطواته منهم .. خطوات هادئة قوية حازمة .. قال لمحمود بصوته الرخيم :-" أتحتاج لمساعدة..؟! "

التفتت إليه محمود بهدوء ،وهو يقول :- كلا شكرا لك

وحين رأي النظرات الفضولية من شادن وقاهرة بينما كانت هدى تتحاشا النظر إليهم قال محمود :- عذرا نسيت تعريفكم .."

أشار إلي نادر ،وهو يقول :- السيد نادر صديق آسر يبدو أنه سمع بالحادث ، وكان آتيا للاطمئنان عليه تقابلنا عند المصعد، وهو يسأل عن غرفة آسر"

ألقي السلام عليهما بهدوء، ثم ابتعد مع محمود لركن آخر من الممر يتحدثان بصوت منخفض .. طال انتظارهما لتقرر شادن أخذ قاهرة إلي الحمام حتي تغسل وجهها علي الأقل، ذهب محمود لإحضار المزيد من أكواب القهوه ،بينما بقيت هدى ونادر في الممر الخالي باستثناء والدها الذي يبدو أن النوم قد غلبه .. وقفت هدى بارتباك ، وهي تقرر شيئا مخالفا لطبيعتها .. تقدمت خطوتين دون أن ترفع رأسها عن الأرض خجلة من منظر الجرح وخجلة من ملاقاة عينيه، وهو الشاهد الوحيد علي ذلها منذ قليل .. همست بخفوت :-" شكرا "

وعاودت المشي .. لم تر ما ارتسم علي وجهه من تعبير .. فلو رأته ما كانت تفوهت بتلك الكلمة أبدا .. قبض علي سلاميات أصابعه بشدة قبل أن يدسهما بجيب بنطاله بهدوء يحتوي غضبه وتوتره وقهره وأي إحساس آخر قد يعتريه .

التقينا بعد الأوان

افترقنا قبل الأوان

حتي موسم الهرب فات أوانه

نحن بموسم الحب المجنون

المرفوض من مواسم الشرائع

(غادة السمان)

الفصل الرابع

ذاكرة .. انكسار

هُنالك دائماً مستحيل ما يولد مع كل حب

بعد طول انتظار خرج الطبيب من غرفة العمليات ليتحلق حوله الكل بقلب واجف قلق نزع الكمامة عن وجهه ، وهو يبتسم باطمئنان قائلا :- " الحمد لله العملية سارت على خير ما يرام .. استطعنا تخفيف حدة الورم على الفصوص الأمامية وزال الخطر عن حياته "

تنفس الجميع الصعداء مرددا :-" الحمد لله .. الحمد لله "

بينما سألت قاهرة بتردد :- " وكيف هي حالته ..؟! "

توقف الجميع عن الهمهمات .. وهم ينظرون لها بقلق .. ثم تنتقل نظراتهم للطبيب الذي مسح وجهه بيديه بإرهاق وهو يقول :- " ليس باستطاعتنا المعرفة الآن .. نحن بانتظار أن يفيق المريض ..لكن أتوقع بإذن الله نسبة الشفاء جيدة "

قالت بقلق أكبر ،وهي تفرك يديها بحثا عن بعض الدفء :- " وما أخبرتني به سابقا "

قال بهدوء :- " ما قلته سابقا وارد الحدوث .. لكنني أيضا أخبرتك أنه سيكون فقدان بصر مؤقت .. حتى يخف الضغط بالتدريج عن عينيه "

شهقت شادن وقد أدركت فحوى حوارهما ؛ آسر قد يصاب العمى ..! تراجع بدر الدين بصدمة، وهو يعاود الجلوس بحيرة وعدم تصديق ,هدى لم يظهر علي وجهها أي رد فعل ..! بينما بدا كل من محمود ونادر هادئين وإن اعتلت ملامحهما القلق ، سأل محمود بهدوء وخشونة :- " ومتى يفيق ..؟!! "

قال الطبيب بلهجة واثقة قاطعة :- " سيتم نقله الآن لغرفة العناية المركزة لمتابعة الحاله حتى استقرارها "

أومأ محمود بإيمان -:" الحمد لله "

هم الطبيب بالرحيل حين تقدمت قاهرة برجفة وهي تقول ما تلهف غيرها للنطق به :-" هل لي أن أطمئن عليه أريد أن أراه ولو لبضع دقائق فقط "

فكر الطبيب قليلا ثم قال بعملية :-" هو غير واعٍ كما قلت .. لكن أعتقد أنك تستطيعين رؤيته لخمس دقائق فقط "

شعرت بشيء من تأنيب الضمير فأهله أحق برؤيته لكنها لا تقوي علي منع لهفتها من الاطمئنان عليه ،ولو أصبحت أنانية قال الطبيب لها بهدوء :-" هيا بنا .."

أومأت بهدوء شاكر ،وهي تتبعه بقلب واجف بينما ارتمت شادن بحضن هدى ببكاء خافت

ما إن خطت إلي داخل الغرفه حتي أصابتها الرهبة، وهي تراه بجسده الفارع مسجى أمامها بلا حراك .. والشاش يلف رأسه وذراعه الأيسر، ويلتف على صدره العضلي العاري حتى الخصر .. دست خصلة من شعرها الغجري الثائر الهارب من عقاله خلف أذنها بتوتر مررت أناملها بأسى على ذلك الوجه الشاحب المرتسم عليه شبه ابتسامة متهكمة ، التوت شفتاها الكرزيتان بشبح ابتسامه .. مازال يتقن أجمل صورة حتى وهو نائم توسطت أناملها الباردة باطن كفه البارد .. لتجهش فجأة بالبكاء بخفوت، وهي تتهاوى علي المقعد المجاور له ، وضعت يدها على صدرها بشكل تلقائي تحاول أن تعتصر الوجع لعله يخرج من عروقها التي جفت منه! .. حاولت النهوض لكنها لم تستطع ..كأن قدميها فقدتا الإحساس

بالحركة، كأن روحها فارقتها لتتعلق بذلك المسجي أمامها.. لم كلما همت بالابتعاد عنه جميع خلايا جسدها تعلن العصيان..؟! لم تعتصر تلك الأوردة شوقا له وتأبى الروح الركون لأعتاب ذاك الشوق..؟

*****

فتح آسر عينيه بذهول وتشوش يبدو الظلام وشيكا والرؤية مشوشة للغاية .. صداع قاتل يجتاحه ورأسه يبدو كما لو أنه يحمل فوقه طن فولاذي ،ذراعه اليسرى ثقيلة للغاية بينما اليمنى مخدرة .. ضلوعه تؤلمه بشدة .. صدرت عنه أنة ألم مكتومة، وهو يلتفت بعدما شعر بشيء بارد يلامس كفه ، لم يكن ليخطئها قاهرة رغم الظلام المحيط بالغرفة بشدة .. رغم تشوش الرؤية بطريقه أقلقته .. لكنه عرفها .. نظر لها بتركيز شديد يدقق النظر المشوش بها .. وهي قريبة للغاية منه تلك الأهداب حقيقة.! كان كلما فكر بها يكاد يقسم بأنها غير حقيقة..؟ لكن اليوم .. أقسم .. ببراءتها من اتهامه ابتسم بدفء على تلك الواضعة رأسها على أطراف أنامله... ذلك سبب تخدر ذراعه إذن .. لاحظ تساقط تلك الخصل السوداء ومعانقتها لعنقها المرمري وغرق بعض خصلها بملامستها لخدها ، وذلك الشيء المتوهج الساقط على وجنتها لأول مرة يتأمل شخصا يبكي .. تأمل تلك القاهرة.. حتى في نومها بدا كأنها كانت تبكي ، همس بصوت ممتلئ بالتعب :- " قاهرة "

صوته لا يكاد يسمعه... ليحاول منهكاً أن يبتلع كمية من الهواء :- " قاهرة"

ارتفع رأسها وهي تسمع صوت كالهذيان لها.. اتسعت عيناها بسعاده لا توصف... وهي تلتقط استفاقته لتنتفض من غفوتها .. وترتفع عيناها له بفرح .. ليتساقط مرة أخري ذاك الندي علي تلك الأهداب كوردة

استقبلت المطر بفرحة بعد طول غياب قالت بصوتها المبحوح بسعادة لا توصف ..أخيـرا أفـاق :- " آسـر .. الحمد لله علي سلامتك .. بما تشعر أخبرني .."

مدت يدها بلا تردد أو خجل تتلمس وجهه .. فابتسم رغم الألم الذي يعتريه ، وهو يقول بصوت ضعيف :- " هل لك أن تضيئي النور ..؟!! "

شهقت بفزع والأفكار السوداء تتلاعب بعقلها وتخنق نبضات قلبها " لماذا ..؟!! "

اقتربت منه بتردد لتنسكب خصلاتها الحريرية الثائرة علي خده لشدة تحديقها بعينيه :- " آسر هل تراني ..؟!! "

يا لها من بلهاء

ابتسم قليلا وهو يقول :- " بالطبع أراك .. لكن الرؤية مشوشة بشدة "

أكمل بنبرة آمره ولهجة نافذة الصبر ، وقد بدأ يعود إلى طبيعته رويدا رويدا :- " أضيئي النور "

انتفض قلبها .. فالنور مضاء وضعت يدها علي قلبها تكتم ذاك الوجع به وقد بدا أن أسوأ مخاوفها يتحقق ابتعدت عنه بارتباك وهو تقول :- " سأنادي الطبيب لا تتحرك "

اعتدل صوته قليلا ببحة ساخرة وهو يقول :- " وكأني أستطيع الذهاب إلى أي مكان "

ترددت خطوة بتشوش وارتباك وخوف .. لتعاود المسير ما إن فتحت الباب بصدمة وحزن يعتلي ملامحها المرمرية .. ناسية أنها بضغطة زر كان فريق

التمريض يصل عندها حتي اقتربت منها شادن .. المنتظرة كعادتها بالشهرين الماضيين ،ووجهها كله أمل لكن اليوم لم تكن وحدها إذ أتى معها نائل وريم .. والده الصامت البعيد .. نادر الذي ويا للغرابه كان يأتي كل يوم ليطمئن عليه .. ويطمئن عليها دون معرفة سابقة ,هدى التي كانت تأتي بأغرب الأوقات وأغلبها ليلا ..تقضي الليل بأكمله علي المقعد المتصلب بالخارج وهي تقرأ له بصوتها الرخيم بالمصحف الشريف .. لتغادر مع انبلاج الفجر أصبحت قاهرة تعرفهم جيدا ، فشهرين مدة لابأس بها .. لتتعرف قاهرة على عائلتها المستقبلية ..كما فكرت بحزن وسخرية مريرة ، شهران .. ووالدها يرفض الحديث معها ..شهران وهي هنا مقيمة بجواره تدعو الله كل ليله لشفائه .. شهران طابت بها معظم جروح جسده ما عد تلك الغيبوبة الطبية التي غرق بها أخبرها الأطباء أنها حاجة جسده بعد الصدمة للراحة والشفاء .. وحين يستعيد جسده قوته سيستيقظ وها هو استيقظ الآن .. وآن لتلك المهزلة أن تنتهي وتعود لها حياتها ..قرار لم تندم عليه لكنها تحملت تبعاته بقسوة ..!تأملت قاهرة ملامحهم ..الممتلئة بالأمل والصبر والهدوء لتهمس بصوت مخنوق :-" لقد أفـاق "

تدفق الجميع للداخل بينما تحركت هي بتعب من مكانها وباقي برأسها شيء واحد فقط تفعله توجهت للاستقبال وهي تسأل الممرضة بشيء من الخجل المتعب :-" هل أجد من أستعير منها أسدال صلاة "

نظرت لها الممرضة بدفء حيث لم يكن ذاك السؤال بغريب عنها .. فقد اعتادت رؤيتها بأروقة المستشفي لا تغادرها أبدا طيلة الشهرين المنصرمين فتحركت من مكانها ،وهي تقول لها :-" اتبعيني "

أخذتها لحجرة الممرضات وأعطتها عباءه للصلاة ابتسمت بود قائلة :- " تلك عباءتي .. إنها نظيفة تستطيعين الصلاة بها "

أشارت لدورة المياه " تستطيعين الوضوء هنا "

ابتسمت لها شاكرة بهدوء وتعب غسلت وجهها بشدة .. توضأت .. ارتدت الأسدال بهدوء وخشوع وهي تقف علي سجادة الصلاه تصلي ركعتين شكرا وحمدا لله

*****

لكل فعل رد فعل مساوٍ له في القوة مضاد له في الاتجاه

قاعدة فيزيائية بسيطة

" مــاذا..؟!! "

بعدما أخرج الأطباء الجميع من الحجرة لإتمام فحوصاتهم

كشف الطبيب علي نظره أول شيء بعد التأكد من مؤشراته الحيوية .. لشكوى آسر من التشوش وضعف الرؤية الشديد خاصة بالعين اليسري .. ليفاجئه الطبيب باحتمال فقد بصره في غضون أيام قليلة إلا في حالة إجراء جراحة ثانية لإزالة ضغط متبقي على شبكية العين اليسرى أجاب الطبيب ،وهو يسحب المقعد قريبا منه شارحا له الوضع بهدوء ،وكيف كانت حالته خطيرة، وتستدعي ذلك التدخل الجراحي العاجل ليختتم قوله بـ :- " زوجتك وافقت على إجراء تلك الجراحة .. لأن حياتك كانت مهددة بالخطر.."

قال آسـر بتشوش :- " زوجتي ..؟!! "

أصابته حالة من الذهول .. هل أصيب بفقدان الذاكرة إلى جانب خطر إصابته المؤكد بفقدان النظر..!! لا يذكر أنه تزوج

قال بتشوش :- " زوجتي من ..؟!! "

نظر له الطبيب بقلق فذاك أمر لم يخطر له على بال ..!! سأله بقلق :- " هل تذكر اسمك ..؟!! "

فكر آسر بسخرية مذهولة ..لا تناسب الموقف ..هل يعتقد أنه أحمق تماما..! قال للطبيب والتعب لايزال يعتري كل ملامح صوته :- " بالطبع آسر بدر الدين ..كابتن طيار ..أسكن بميدان لبنان بالمهندسين .."

أكمل بسخرية موجوعة :- " أتريد رقم الضمان الاجتماعي أيضا ..!! "

كان الطبيب محتارا من تلك الشخصية المتحفزة ..الشرسة ..فآثر الصمت وإتمام فحصه بدقة ..ما جعل آسر يعتريه القلق حتي وإن دارى ذلك القلق بالسخرية ..تنهد بارتباك وملامح ضائعة لوهلة ليقول بضيق :- " لكنني لا أذكر أنني تزوجت بمرحلة ما من حياتي "

فكر الطبيب وأردف التفكير بالقول :- " ربما أنت مصاب بفقدان ذاكرة جزئي .. وهو أمر وارد من آثار الحادث لكنه لن يستمر طويلا .."

فقدان ذاكـرة ..بدأ الصداع يتزايد ..سأل بفضول :- " ما اسمها ..؟!! "

أكمل بارتباك :- " زوجتي أقصد .. !! "

همهم الطبيب وهو يراجع الأوراق أمامه قائلا :- " السيدة قاهرة السليماني "

" مـاذا ...؟!! "

خرجت تلك الكلمة الوحيدة حارة ملتهبة من فمه لتتردد بصدره ،هو ليس مصابا بفقدان الذاكرة، هو متأكد من ذلك لا يزال يذكر أحداث الأمس بالتفصيل مصاب بمختلف أنحاء جسده ، وقد يفقد بصره أو ربما فقده ، لكن ليس فقدان ذاكرة تمالك أعصابه بكل ما أوتي من قوة، وهو يسأل الطبيب بصرامة مبحوحة :- " من أخبرك أنها زوجتي..؟! "

نظر له الطبيب بشك وحيرة من تلك الأسئلة الغريبة .. وهو يعيد إخباره بكل شيء منذ لحظة مجيئه حتي دخوله غرفة العمليات بعد موافقة زوجته المزعومة ..كان الطبيب يتحدث والغضب والاشتعال والاحتراق يتزايدان بالعينين الرماديتين بطريقة لا تبشر بخير أبــدا

*****

أبعدت تطويق أصابعه لكتفها لتبتعد خطوات صامتة بخجل وتوتر شعرت فجأة باختناق لروحها من قربه، لمساته سيل من الكهرباء تصعق به من قمة رأسها لأخمص قدمها ..كسر الهدوء الذي حل فجأة كلمات آسر المفاجئة و الهامسة :- " اقتربي زوجتي العزيزة .. لم تبتعدين دعيني أضمك "

هو لا زال يعتقد أنها زوجته .. كل مدى و الوضع يصبح أصعب فأصعب ..ارتعش ووجف قلبها الخافق وهي تري تلك النظرات بعينيه ...ارتعشت بإحساس لا تدري كنهه ،وهي تري هذا الوجه الآخر لآسر يظنها زوجته لذا يعاملها بذاك الحب ارتفعت عينا قاهرة بتشوش .. و قلق لتلتقي بعيني آسر الرماديتين بذاك القرب الشديد...جذبها مرة أخرى ببطء إليه يريد أن يتقن دوره لأقصي حد ..استغلت غيبوبته واتخذت قرارا ليس لها أن تتخذه شعت الأمواج الرمادية بالقسوة والغضب دون إرادة منه .. قست ذراعاه عليها دون قصد منه لكن ليس لتلك الدرجة لتلحظها فهو لا زال

ضعيفا ويده السليمة أيضا ضعيفة مالت عليه دون إرادة منها لينتثر شعرها للجهة الأخرى..لتلامس خصلاته كتفه تشبه رائحة صباحية باردة مليئة بشوق ومغمسة بالولة.

ابتعدت عنه بخجل أصبح الوضع أصعب من أن تحاول الشرح ..كيف لها أن تقول له إنها ليست زوجته " بسهولة .."خاطبت نفسها بصرامة وقوة . بكل سهولة ..وبخت نفسها بقسوة ... يكفي قاهرة ..الموضوع لا يحتمل التأجيل يكفي والدك ستحتاجين للكثير من الوقت حتى تعود ثقته بك يكفي حين أتت شذي فجر ذاك اليوم من شهرين ، ومعها بعض الثياب لها لم تتحدث معها كثيرا وقفت صامته بذبول وهي تعطيها تلك الملابس في حقيبة صغيرة وبعينيها ألف سؤال .

لامست يده خدها .. لتفيق من شرودها .. وضع يده بثقلٍ رجولي على يدها ليترك برودة تلك الأصابع الرقيقة.. تتغلغل في وجع الكف..لتطفئ القليل من الغليان الذي بصدره.. ابتسم بهدوء رجولي موجع .. يخفي في طياته قسوة وحقد بدأ بالتعاظم .. شد تلك الأصابع المرتبكة لشفتيه ليغرقها بالقبلات المتقاربة .. جعلتها تتوتر بشدة وخافق يرتعش مما يفعل .. قائلا :- " لا تحزني ..سأجري الجراحة وسيعود لي بصري وذاكرتي "

نطقت بهمس متعثر حزنا :- " إن شاء الله ..أكيد ستسترد بصرك .."

قال بتأكيد وهو يراقب ردة فعلها بقسوة غير ملحوظة لا تلمع سوى بعينيه :-" و ذاكرتي "

ابتعدت عنه بارتباك وانفجار بحواسها المشتتة :-" و...ذاكرتك أكيد "

من ثم رفع أصبعه عن شفتيها.. ليسير بنغمة متأنية مع خصلة ملتفة بأصابعه.. حتى عانقت تلك الخصلة صدره و من ثم أطلقها بأريحية..

أرجع ظهره من جديد ليستريح على الوسادة المخملية .. وهو يرفع عينيه لها قائلا بنبرة آمره و حقد قاتل لم يستطع السيطرة عليه .. يكرهها .. لا يطيقها .. لكنه سيكون ملعونا إن لم ينتقم منها :- " حسنا دعيني أستريح الآن "

انتفضت .. يطردها .. حذرها الطبيب من تقلباته المزاجية بالنسبة لحالته .. نهضت بألم ، وهي تقول بانكسار غير مألوف بالنسبة لها ولا له :- " هل تحتاج شيئا قبل أن أخرج ..؟!! "

ما جعل ابتسامة حاقدة صغيرة تتلوى علي شفتيه وهو يقول ممعنا بإحراجها وذلها :- " لا تذهبي أحتاج الذهاب لدورة المياه "

تلون وجهها بالاحمرار لكنها أومأت ، وهي تقترب منه أراد الإمعان بإحرجها .. توعد بصمت وابتسامة خبيثة تتلاعب خفية على تلك الشفتين حين ينتهي منها ستتمنى لو فقد حياته وليس ذاكرته فقط .. أسندته بصمت ، كان ثقيل الوزن بالنسبة لها ببنيته العضلية القوية، وجسده الفارع الطول بدت حذرة للغاية، وهي تلامس خصره بإحراج شديد ، ووجهها يشتعل احمرارا ..وذهنها يشتعل كيف ستدخل معه دورة المياه .. المفروض أنها زوجته ماذا تفعل ..؟! إحراج ارتباك ..فزع ..خجل.. خـــوف . .تساقطت دمعة على تلك الأهداب التي ذبحته دون سبب ..لم لتلك الأهداب ذلك التأثير عليه لم..؟!! وصلا للباب حتى قررت الاعتراف له وليحدث ما يحدث ..أساسا هي كانت تنوي الاعتراف له أول ما يفيق ، لكنها لم تتوقع أن يفقد ذاكرته ..قالت بتردد وجل وهمس :-"آسـر"

أدرك ما تنوي عليه فقاطعها بقسوة ووحشية :-" اتركيني هنا "

تنفست الصعداء إلا أنها قالت بتردد :- " م ماذا ..؟!! "

رفعت بصرها إليه لتلمع تلك القطرة العالقة بذلك الهدب الذي يثير جنونه ؛ ليصرخ بها بغضب بدأ يفلت من عقاله :- " قلت لك اتركيني .. لست عاجزا قد أكون على وشك العمي .. لكنني لست عاجزا .. اخرجي واتركيني .."

أكمل ووجهه يشع بالبغض والاشمئزاز:- " اخرجي لا أريد رؤيتك بتلك الغرفة مرة ثانية .."

تركته بتردد وألم .. محرجة بأكثر من طريقة .. سارت ببطء ورأسها محني بألم عميق .. حتي وصلت إلي الباب لتنتفض حين أتاها صفع لباب دورة المياه بشدة ارتجت لها الجدران .. تنفست ،ثم أغلقت الباب بهدوء أشد قوة من الضجيج ليعم السكون جناح آسر.. صوت قطرات الصنبور بدورة المياه أزعجه .. توقف يتنفس بغضب وألم بكل أنحاء جسده يصرخ بقوة ،تلك القطرات لا تنفك تزعجه تنساب بدوي هائل قطرة..قطرة.. مد يده السليمة بغضب جامح ليوقف الصنبور بلكمة همجية منه ليطلق صرخة ألم خافتة من شدة الجرح.. ومن السخرية أن الصنبور لم يتوقف من القطرات..

*****

ضاق تنفس مروان ليصبح تنفسه يصاحبه سعالٌ حادجداً .. عادت إليه ذكريات حاول تناسيها لكنها كانت أقوى منه .. ذكريات تعذيب .. مهانة ..عجز.. اضطهاد سخرية .. بلاذنب وقع بين أيديهم .. بلا ذنب تخلي عنه آسر ..و.. نادر ،وكان يجب أن ينتقم وهدى انتقامه ولن يدعهما يسلبان انتقامه منه لن يستطيعا، لكن نادر لن يتركه .. نادر يستطيع أن يجده .. أن يعذبه مرة أخرى بعدما أصبح واحدا منهم بل ربما كان منهم منذ البداية ربما ...! أفاق من شروده وهو يتتبعها بعينيه حين توجهت إلي

مرأب السيارات منذ تلك الليلة من شهرين .. وحين أجبره ذلك النادر علي تركها، ابتسم بسخرية قاسية ونبض موجوع .. تظن أنني لا أراها .. أنني لا أعرف أين تذهب ومتى تذهب ..؟!! برقت عيناه رغم إنهاك جسده الواضح وتهالك أنفاسه الليلة يجب أن تعود له مرة أخرى .. وإن كان لآخر مرة.

*****

توجهت شادن للخارج ..بعدما اطمأنت على آسر ..رغم تلك الغصة في قلبها ..فهو لم يتذكرها جيدا .. لكن الطبيب طمأنهم أنها حالة مؤقتة لن تدوم ..

" شـادن "

أتى النداء ليجعل قلبها يخفق بتواطئ غريب لمَ لمْ تنتبه لعطره الذي امتلأ به الممر .. الريحان .. منتها لحضوره.....! اقترب بخطواته الطويلة الفارعة .. رفعت رأسها لتلتقي عينيه .. حادة كالصقر .. شعره الأسود الكثيف يغطي رقبته ملامسا حدود كتفه بإهمال .. تلك الجاذبية الشرسة يعتريها شيء من التوتر الغير مألوف .. وقف بشموخه الدائم ..وطلته الغريبة.. هذا الغموض الذي يتشرب بصمت همساته وسكونه.. كل شيء .. يدل على عنفوان..ورجولة، تنهدت دون قصد منها " ياصبر الأرض..؟

حتى الأوكسجين في قربه..و..بوجوده..يعلن انتحاره...! "

قالت بتوتر هامس كما هي عادتها بوجوده :-" كيف حالك ..؟! "

تغاضى عن الإجابة بهزة من رأسه ..كأن ذلك سؤال ليس لديه إجابة عنه ..فقال بدلا عنه :- " أريد محادثتك "

ابتلعت ريقها وقد جف فمها كالصحراء القاحلة العطشى لشربة ماء " حـ حسنا "

ثم اتبعتها بـ ..." أين ..؟!! "

قال بتهور وهو يمد يده ليقبض على كفها بلمسة :-

"تعالي سأوصلك بسيارتي "

تقدمت معه خطوة بغيبوبة لتُفَاجَأ بنائل ينادي عليها، وهو يتقدم من بعيد ترك محمود يدها ، وهو يتراجع لسيارته ..بصمت وشموخ وصل لهم نائل المبتسم ، وهو يرى محمود يستقل سيارته " أهلا محمود ..لم تخبرنا أنك قادم .."

همهم محمود بشيء ما بينما التفت نائل لشادن قائلا :- " هيا شادن فريم تنتظر بالسيارة "

وقفت شادن محتارة مرتبكة تجاهلت نائل لأول مرة ، وهي تنحني للنافذة تواجه محمود وبعينيها إصرار لشيء تجهله :- " محمود ..كنت تريد أن تخبرني شيئا ما ..؟!!

نظر لها نظرة أخيرة محملة بذلك الغموض ، وذلك التعبير الذي جعل قلبها ينتفض ويفقد العدد الصحيح لخفقاته قال بصوته الرخيم وتلك الابتسامة المحتضرة على شفتيه :- " نعم جئت أودعك .. فأنا ذاهب لفلسطين "

هُنالك زمن لم يُخلّق للعشق ..

هُنالك عُشاق لم يخلقوا لهذا الزمن..

اتجهت هدى بهدوء كعادتها لمر السيارات بأسفل المستشفي .. كان الوقت يقارب الفجر .. طغت رائحة الهواء المشبعة بندى الصباح .. بدت غيمة من الأنفاس الباردة تخرج من فمها وأنفها نتيجة لبرودة الجو حد التجمد .. لكنها لم تكن تعير كل ذلك اهتمامها .. ولا تلك العينين المسلطتين عليها بالشر، وهي تمشي ببطء ورأسها غارق في دوامة لا يريد الخروج منها ، أفاق آسر من بضعة أيام .. تنهدت .. وهي تتذكر ذلك اليوم .. حين دخلت عليه آلمها منظره ..رغم أنها اعتادت عليه .. فلمدة شهرين كانت تبقى مع قاهرة يوميا .. تأتي ليلا وترحل فجرا .. بدا مظهره هزيلا بعض الشيء .. أغلب الكدمات اختفت ، ولم يبق إلا أثر شاحب على جلده البرونزي اللون .. لكن عينيه الزرقاوتين بدتا أكثر وضوحا ..أكثر قسوة بطريقة ما ..هالات سوداء ظللت عينيه .. وطيف بسمة قاسية لازمت فمه .. محملة بالجراح .. همست بحنان :- " كيف حالك ..؟ "

استغرب رد فعلها قليلا لكنه لم يعلق فهدى كانت دوما متباعدة .. نظر لتلك الواجمة الصامتة المتصلبة على ذلك المقعد البعيد .. ليجيب بهدوء فهو لازال يدعي فقدان الذاكرة :- " بخير وأنت..كيف حالك؟؟ "

احتارت .. بماذا تجيب ..؟ أومات وهي تهمهم :- " بخير"

لم تستطع ملامسته أو التربيت عليه ، شيء ما بداخلها أصبح يرفض ذلك ..وإن اكتسى صوتها بالحنان .. لكن ذلك هو كل ما تستطيع إظهاره من مشاعر بعد جهد مضني ومغالبة لنفسها الجافية ..غصة تستحكم أوتارها الصوتية كلما أجبرت نفسها على حنان ، كان يخرج طبيعيا منها

سابقا ..ابتسمت بهدوء وهي تخبره :- " أخبرني الطبيب أنك ستخرج قريبا من المستشفى "

زفر بنفاذ صبر وهو يقول :- " أخيرا لقد مللت بشدة "

هزت برأسها ،وهي تنظر لقاهرة الصامتة على غير عادتها معها .. أمرهم غريب حقا إلا أنها أكملت بنفس الابتسامة الهادئة :- " وماذا أخبرك الطبيب عن العملية الجراحية وفقدان الذاكرة ذلك .."

أكملت برجاء ألم قلبه وهي تناشده :- " ألا تتذكرنا حقا آسر ..؟!! "

هم بأن يجيب ، حين أتى طرق الباب ليعلن عن دخول زائرما التفتت بفضول .. لتصعق بصمت ،وهي تنكمش في مكانها أكثر وأكثر ,معانقة أصابعها عنقها المحمر تشعر بأن قلبها هرب فجأة في حين تهللت ملامح آسر بفرحة حقيقية .. جعلت قاهرة المراقبة الصامتة تتألم لا شعوريا هتف آسر باستغراب :- " نادر .. متى أتيت ..؟!! "

تقدم نادر منه بخطوات صامتة وابتسامة غامضة تلمع على الوجه المنحوت التفاصيل بوسامة رجولية صرفة .. وهو يقول بصوته الأجش المميز دون أن يغفل عن انكماش تلك الصامتة :- " من فترة .. أردت لقاءك .."

صمت لتتغير نبرة صوته وهو يكمل ببحة :- " لكن الظروف منعتني "

صدمة ظهرت علي وجه قاهرة ..هل يعرفه ..تساؤل كبير جال بذهنها ..وفقدان الذاكرة ..أعادت له ذاكرته .. لكن آسر ولفرحته برؤية نادر، نسي ذلك الادعاء ليبتسم بأسي وهو يقول باستفسار غامض فهمه نادر :- " والآن اختفت تلك الظروف ..؟! "

رد نادر بوعد و تأكيد وثقة، جعل هدى ترتعش بصمت :- " الآن .. لن يمنعني عنك سوى الموت "

التوت شفتا آسر باطمئنان وهو يقول :- " طمئنني صديقي .. طمئنني "

نهضت هدى بتوتر وخوف دون أن تلحظ ما حدث ..نهضت بتوتر، وهي تقول لآسر بصوت ضاعت تفاصيله :- " حسنا أخي .. أراك غدا .."

ثم خرجت بسرعة دون أن تنتبه لنادر الشارد بها أو قاهرة الغارقة في التفكير.

******

لاتدري كم ظلت تنتظره خارج جناح آسر بتوتر .. وذهنها يحاول أن يعمل بقوة .. للآن هي لم تخبر أيا من أهلها بما حدث لها .. ولا تريده أن يخبر آسر الآن .. لازال سر صداقته لآسر غامضا .. لاتذكر يوما أنها رأته في منزلهم إن رأته .. متأكدة أنها لم تكن لتنساه .. مرت ممرضة ما متجهة لجناح آسر حين استوقفتها هدى بأمل وهي تهمس لها :- " نايا "

توقفت الممرضة بابتسامة :- " أهلا هدى .. كيف حالك ..؟! ها اطمأننت على آسر؟ "

أومأت هدة بوجل وهي تترجاها :- " نايا أريد منك خدمة "

ابتسمت نايا ببشاشة:- " من عيوني "

ترددت هدى لكنها أخذت نفسا عميقا ، وهي تخبرها :- " هناك ضيف بالداخل عند آسر .. أريدك أن تطلبي منه الخروج بأي حجة .. كإعطاء آسر حقنة أو شيء ما "

اتسعت ابتسامة حنان وهي تغمز لها بخبث دفع بسمة خفيفة لشفتي هدى :- " فقط هكذا من عيوني .. أساسا أنا قادمة لهذا الهدف .. لا تقلقي "

دقيقه وخرج نادر .. ليجدها في انتظاره توقف صامتا لتقترب هي خطوة منه بتوتر قائلة بهمس :- " أريد محادثتك على انفراد "

التوى فمه بشبح ابتسامة جذابة زادته غموضا ، وهو يشير لها أن تتقدمه ..وصلا إلى الكافيتريا بصمت متوتر ، وهي تحاول تمالك أعصابها ..ما إن وصلا لإحدى الطاولات المعدنية المميزة للمستشفي حتى جلست بتوتر .. حمدت ربها أن الكافيتريا كانت خالية تقريبا في ذلك الوقت من البشر .. جلست بارتباك دون أن تطلب منه الجلوس .. لم يفارق شفتيه ذلك الطيف الغامض لتلك الابتسامة .. كأن ما تفعله يبعث بسرور ما إلى نفسه ..اجلس بصمت مادا قدمه الطويله بجوار الطاوله حتى اصطدمت بها .. تراجعت هي بعنف بمقعدها ليتمتم بهدوء وهو يسحب قدمه ..أخذت تفرك يدها .. بطرف فستانها بتوتر وعيناها حائرة بكل شيء إلا وجهه طال الصمت حتى أتى صوته الأبح بهدوء " أما زال لك ذلك الولاء للمطر؟ "

رفعت عينيها إليه بحيرة لتتسمر نظراتها العسلية على الشمس بعينيه .. لأول مرة..تراه هكذا.. بذلك القرب الشديد . ..ملامحه..! يالله...عينيه الواسعة..وجهه الأسمر وأنفه الشامخة ..شعره الحالك السواد بنعومة جذابة ..وذلك الجرح لازال بموضعه فوق حاجبه الأيسر..لما يوحي إليها دائما أنه يعرفها ..لو كانت تعرفه لم تكن لتنساه..حارت وأطرقت برأسها دون إجابة

" هدى ..أردت محادثتي "

قالت بدون شعور :-" ها "

لتتسع تلك البسمة على فمه بصمت ،وبخت نفسها بعنف يجب أن تتمالكي نفسك يا هدى عود ثقاب اشتعل .. رائحة نفاذه خالطت خياشيمها رائحة السجائر تضايقها بعنف تذكرها ، هزت رأسها باضطراب لا ..لا لن تفكر بذلك..! أخذت نفسا عميقا لكن رائحة السجائر تغلغت بداخلها لتقف بتوتر فتعاود الجلوس، وهي تقول بغيظ :-" هل لك أن تطفئ تلك "

وأشارت بيدها بتوتر لتلك السيجارة بيده، ابتسم وهو يرميها تحت قدمه ليسحقها ببطء" به قسوة .." هذا ما فكرت به في تلك اللحظة ،وهي تراه يسحق تلك السيجارة بعنف تحت قدميه به قسوة مختبئة خلف شهامته قسوة وقوة ! " هدى "

أتت تلك المرة نبرته نافذة الصبر قليلا رفعت عينيها إليه مره أخري، وهي تقول بهدوء لا تشعر به :- " لا أريد لآسر أن يعرف بما حدث لي .. ليس الآن على الأقل ..حتى يشفي"

صمت وتفكير عميق يلوح على ملامحه الشامخة لينطق بعدها :- " لك هذا "

ترددت وهي تقول :-" ربما ..ربما حتى يشفى تماما "

قاطعها بهدوء :- " لا مجال لربما هنا .. كوني متأكدة مما تريدين "

نظرت له بذهول ارتبكت ويداها تعتصر أصابعها يريدها أن تتخذ قرارا قاطعا ..وهي التي لم تأخذ في حياتها قرارا أبدا..!! لكنها أخذت نفسا

عميقا آخر وهي تمنع نفسها من الشك بصحة ما تقول :- " حسنا .. متأكدة .. "

نهضت فجأه تريد المغادرة ..فقد انتهي ما أرادت رؤيته من أجله .. فأتى صوته الأبح من خلفها يسألها :- " ألا تريدين شيئا آخر..؟!! "

تصلبت معطية ظهرها له .. وهي تهز رأسها بالنفي لم تره بعد تلك المرة ..لا يمنع ذلك أنه لم يفارق خيالها إلا أن برودة تكتنف ذلك الخافق بداخلها بطريقة غريبة جعلتها تتناساه .

هدوء يعتريها ويتعدي كونه قناعا بل هو هدوء تغلغل بأعماقها شرود انفصال انعزال عن العالم الخارجي المحسوس ، حين ظهر ليخلصها من مأساتها بكلمة واحدة " تم "

لم تكن السعادة هي ما مرت به أحاسيسها ..ولا الذهول ..بل هو الغضب والحزن .. شخص غريب تماما كان سبب في إنقاذها من مصير قارب علي الجنون ..! شيء ما أو صوت ما جعلها تلتفت بفزع كان الظلام مخيما على ذلك الممر خاصة في تلك الساعة .. سوى من بضعة مصابيح دائرية بعيدة، استعاذت بالله .. وهي تكمل سيرها لكن الصوت عاد مرة أخرى بشكل خافت سعال خفيض أرعبها .. ميزت الصوت .. وكيف لا تميزه وهي عاصرته وعايشته سنوات من عمرها تمنت لو تمحيها .. بدأت تسرع في خطواتها ،وهي تبحث عن المخرج الذي تاه عن ناظريها من الرعب مواء قطة وسقوط صندوق قمامة بصوت مرتفع جعلها تصرخ برعب لتسقط على الأرض بارتعاش ، وهي تبكي ..تناثرت أشياؤها ..أخذت تلملم بها بيد ترتعش وقلب واجف وأنفاس متقطعة حين شعرت بسكون غريب عم حولها ..سكون مميت ..كانت تشعر به حولها .. بأنفاسه القذرة .. حولها وهي لا قدرة لديها على ذلك الرعب أغمضت عينيها برجاء صامت

يا الله

كان ذلك سببها الوحيد لزيارة آسر في ذلك الوقت الغريب .. تأتي ليلا وترحل فجرا لتختفي ظنا منها أنه بهذا الشكل لن يعرف أين تسكن ..بعيدا عنه ..؟!! كانت تدرك سخافة تفكيرها فمروان بالغ النفوذ .. وإن أراد الوصول إليها لن يعاني ... لكن أملها كان بالله أولا وبذلك النادر الذي يبدو أن مروان يخشاه لسبب ما ..هما ما أعطياها بعض الاطمئنان ،تنهدت وهي تسيطر على أنفاسها المتلاشية تسحب نفسها لتنهض .. حين أتت تلك القبضة الباردة المرتعشة لتحيط برقبتها من الخلف بصمت .. لتجعل دموعها تتساقط بيأس وخوف، توقف قلبها عن النبض للحظة بإدراك موجع ..لذلك الشخص .. أتى همسه البارد علي عنقها ليؤكد لها إحساسها .. وهو يقول بطريقة مقيتة ترشح شرا :- " أهلا هدى ..هل نسيتني..؟!! "

اجتاحها رعب شلها رعب أخرسها قال بوحشيه حين لم يجد منها استجابة :- " انهضي "

هزت رأسها ببطء ترفض الاستجابة له .. جذبها من عنقها بقسوة لتنهض .. كانت تشعر بالموت .. الموت من لمسته .. أغمضت عينيها برفض لذلك الواقع الذي تعيشه ، وهي تدعو " إلهي " " اللهم إنك كبير .. فارحم صغيرا "

همس بوحشية وقسوة وعيناه تلمعان بجنون :- " انظري لي .. افتحي عينيك "

زادت من إغماضهما ليصرخ بجنون :-" افتحي عينيك "

فتحت عينيها ليزداد بكاؤها .. كان وجهه كما هو لا يزال بغيضا ... لكن زاد عليه الهزال والشحوب .. ذقن نامية .. و جحوظ بتلك العينين .. لم تكن نظراته ثابتة .. بدت كأنها مشتتة ..لكن ما هو أكيد أن خلف كل ذلك الجنون البادي عليه يكمن خلفه ..مروان الذي تعرفه .. مروان الذي يقشعر جسدها لمجرد سماعها لصوت أنفاسه .. ارتخت يده عن عنقها قليلا بينما تبدلت تعابيره بشكل مثير للشفقة ..وهو يقترب منها هامسا وعيناه الحمراوان تتلألآن بالدموع :- " لماذا هدى أنت تعلمين أنني أحبك ... لماذا ..؟!"

هزت رأسها بماذا تجيبه ..؟!! أرادت أن تصرخ به .. أن تخبره أي حب هذا أيها الأحمق المجنون ..؟!! أي حب ..!! لعنة الله علي ذلك حب .. لكنها آثرت الصمت برعب ليصرخ فجأة :- " انطقي "

مد يده يلمسها بتملك ودناءة .. لتحتضر روحها وتستغيث " لماذا تركتني .. هااااا.. لن تجدي من يعشقك مثلي "

آن لها أن تتحدث بلعت ريقها بما تستطيع من هدوء مندثربمحاولة يائسة لتهدئته :- " أأ..أنا لم أتركك أأنا "

قال بلهفة :- " إذن هيا بنا .. هيا لنعود لمنزلنا "

أومات دون قدرة علي النطق ،وذهنها يعمل بأقصى ما يستطيع من طاقة مرتبكة مشوشة لإيجاد منفذ .. تمنته لحظتها تمنته أن يأتي مرة أخرى لإنقاذها لكن أين هو ..؟ قالت لنفسها توقفي ليس لك منقذ منه ..!! بدأت تخطو معه بقدمين مرتعشتين في حين بدا علي وجهه الشاحب علامات الهدوء والشرود بطريقة غريبة، كانت عيناها تبحثان عن مخرج يمنة ويسرة، حين وجدت المنفذ أمامها جذبت يدها بقوة مفاجئة

لتضربه بكل قوتها بحقيبتها ..تفاجأ وتراخت يده عنها .. لتهرول بفزع بعيدا عنه لم تلتفت خلفها ولو لثانية أخذت تركض وتركض وتـركــض

وهي تسمعه يصرخ وينادي خلفها حتى وصلت لمخبئها زاوية صغيرة بين سيارتين ..زاوية مظلمة خلف صندوق قمامة كبير والسيارتان أمامه هبطت للأرض ، وهي تضع يدها على قلبها ويدها الأخرى تكتم بها أنفاسها ولهاثها خوفا من أن يصل إليها لا تدري كم بقيت مكانها حين أتى صوت ينادي عليها صوت لم تسمعه من زمن صوت جعلها ترتعش وتنشج ببكاء

" هـدى ..أين أنت ...؟! هــدي اخرجي حبيبتي كل شيء علي ما يرام "

ارتعشت شفتيها بحاجة عمرها عمر الزمن :-" أبي " حاجة لأمان مفقود حاجة لجرح يريد أن يبرأ حاجة بالقلب منبعها والروح مصبها والوجدان كيانها ، نهضت من مخبئها بتهور وهي تنادي بارتعاش :-" أبي .. أنا هنا "

ليظهر أمامها.. توقفت لوهله .. كيف تقترب منه ،وهو قاتلها كيف تأمن له وهو خائنها كيف ..؟!! وضعت يدها على قلبها ونظرتها تتحجر اقترب منها وهو يقول برجاء :-" اخرجي حبيبتي .. هيا بنا قبل أن يأتي"

يأتي..!! دار رأسها مروان كيف استطاعت أن تنسى؟! ذلك ليس أباها .. ذلك قاتلها ، ظهر مروان وبيده شيء يلمع وهو يقترب من بدر الدين من الخلف لتصرخ هدى برعب .. وهي ترى الجنون يستوطن مقلتيه " أبي" .

لكن صرختها لم تصل ضربه مروان بشيء ما على رأسه ليخر أبيها صامتا إلى الأرض ، اقترب منها مروان بسرعة لا تناسب هيئته المريضة .. قبل أن تفيق من صدمتها أو تشرع حتى بالهرب مرة أخرى شعرت بارتجاج في رأسها بعدما هطلت كفه القاسية على وجهها .. كما فعل المرة الأخرى ليهبط الظلام عليها بأسى

آااه ..صداع يجتاحها ..يفتتها.. يقتلع ..أضلعها من مخبئها أفاقت لتجد نفسها بغرفة صغيرة حاولت النهوض ..لتجد نفسها مقيدة ..مقيدة في سرير صغير .. مقيدة اليدين والقدمين وكمامة على فمها ألم اجتاح رأسها ألم هز جسدها ..ماذا فعل بها .. ؟!

صرخ ذلك السؤال يبحث عن إجابة عاهدت نفسها ألا تفقد الوعي أبدا ..لكنها لم تستطع .. أغمى عليها .. !!

*****

هُنالك حُب خلق للبقاء ..

هُنالك حُب لا يبقي على شيء

لم ذلك القلب لا يهدأ ويشوش بذبذباته على وظيفة العقل في التفكير..! شعر بسم يجري في كل عروقه النابضة ... حرقة هذا السم .. تصل إلي قلبه .. فتشطره ...إلى شطرين...أوردته تمزقت من وقع الكلمتين .. أتاه الخبر اختطفها ضغط بقوة على هاتفه ..حتى أوشك أن يحطمه ..أنهى المكالمة، وهو ينطلق بسيارته بسرعة قصوى مخترقا عدة إشارات ضوئية بلامبالاة .. كان يعرف أين يجده .. فمروان تحت مراقبته المستمرة منذ أتى للقاهرة .. غضب هو كل ما يشعر به منذ أتى ..غضب وحقد و غضب لا يجد سوى الغضب يجيش بأعماقه

هدى يا طعنة بالقلب لا تهدأ ولا تبرأ لم يفارقه طيفها لخمس سنوات .. حين رآها لأول مرة .. كان في مهمة خاصة تستدعي السرية كالعادة لازال يتذكر ذلك اليوم كما لو أنه حدث بالأمس .. اتصل بآسر يخبره أنه جريح ويحتاج لمكان يستريح به، كان يدرك أن آسر يستطيع تدبير ذلك المكان له ..أعطاه عنوان منزلهم القديم في المنصورية .. فيلا جميلة لكن عتيقة

الطراز.. وسط الكثير من الأراضي الزراعية منعزلة و مظلمة .. أخبره آسر أنه في رحلة عمل لكن تلك الفيلا أمـان لا يسكنها أحد منذ انتقالهم لـ 6 أكتوبر من عامين

وجد المفتاح حيث وصفه له آسر.. كان الوقت يتعدي منتصف الليل .. والهواء يعصف بالأشجار بطريقة تبشر برياح لا تهدأ ولا تستقر .. برودة تكتنف الجو رفع الشال الصوفي .. يخفي نصف وجهه بحيث لم يظهر منه سوى عينيه و خصلات شعره التي عبثت بها الرياح توجه للداخل صاعدا للدور العلوي مباشرة حيث غرفة آسر لم ير شيئا من معالم الفيلا حيث الظلام مخيم أخرج قداحته بهدوء .. لتلقي ظلا شاحبا علي الدرج أمامه ، كان منهك والجرح بكتفه ينزف بغزارة، لكنه لا يستطيع الذهاب إلى طبيب .. ولقد تعود على ذلك الوضع .. رصاصة اخترقت اللحم ..وخرجت ..لابأس بها ..صر على أسنانه ، لو لم تخرج لكان وضعه سيئا للغاية .. التمع صف أسنانه اللؤلؤية بالظلام

(بركة دعا الوالدين) وصل لثالث حجرة شمال أول ممر صادفه كما وصف آسر..ضغط زر الإضاءة ..ليتضح له أن الإضاءه لا تعمل ..وصل لشباك دائري ضخم ..فتحه ليلقي بظلال من نور قادم من الخارج ..اكتفي بها ..وقف يستقبل هواء الليل البارد بوجهه الحار..توقف لثانية، وهو يشعر بهدوء لذيذ..ثم اتجه للسرير .. أخرج رباطا ضاغطا مطاطيا ومعقما أحضرهم من صيدلية في طريقه خلع جاكته والبلوفر الصوفي الأسود الذي يرتديه ليصبح عاري الصدر.. عالج جرحه ثم ارتمى بتعب علي السرير لينام وبداية حرارة هجمت عليه لا يدري متى شعر بحركة مريبة .. كان متعبا ..حاول أن يفتح عينيه لكن الصوت اختفى فعاد لينام مرة أخرى هسسة أو مواء أيقظه .. تلك المرة فتح عينيه على وسعهما ،وهو يري ذلك الخيال الأنثوي بالغ الرقة والجمال .. ظن أنه يهلوس .. أن

ما يراه أمامه خيالات .. حمى بعثتها حرارة تداعب خلايا رأسه .. لكنها كانت أروع من أروع طيف رآه في حياته ... صورتها الجميلة رسخت وتعمقت جذورها بخافقه .. لأنثى .. مليئة بجمال حتى ارتواء الوجع .. تأمل تفاصيلها الصغيرة.. خصلات شعرها الطويلة بلون العسل ..المهملة المنزلقة دون عناية .. تحيط بوجهها ببراءة بالغة .. تلك الأهداب الرائعة المقوسة بالغة الطول تلامس خدها الزهري كأنها تحنو عليهما .. رداؤها الأبيض يهفو ويتطاير بفعل النافذة التي تركها مفتوحة .. خصلات شعرها حريرية تتطاير .. صدرت عنها ضحكة أسرته حين ارتفع طرف رداء نومها لتمسك به كأنها خجلة من ملامسة الهواء لجسدها .. خوفها ورجفتها...أنوثتها المتفجرة...سحرتاه اتسعت ابتسامتها المرتعشة لتظهر صفين من اللؤلؤ المنثور على شفتين من الكرز المعتق ،وهي تغلق النافذة ..أخذت تصارع معها دون فائدة ..لم يتمالك نفسه ساعتها ،وهو يهمس بصوت خرج خفيضا أجشا بفعل الحمى والتعب :-" أتحتاجين مساعدة ..؟!! "

خرج من ذكرياته على صوت نفير عالٍ لسيارة كاد يصطدم بها ...ضرب بقوة على مقود السيارة بقوة وغضب تفاجأ حين لم تعرفه في البداية ظن أنها تنكر معرفتها به لخجلها .. لكن ومع الوقت تأكد له أنها حقا لا تتذكره ..اكيف ذلك أراد أن يعرف .. ولم يضيع الوقت كان يدرك بحكم خبرته أن ذلك قد يحدث نتيجة صدمة نفسية حادة ومما رآه وعرفه عن الحيوان مروان ومعاملته لها .. أيقن أن ظنه صحيح أزمة نفسية حادة أدت إلى فقدان ذاكرة انتقائي اختارت بلا وعي أن تنساه هو فقط .. ترجل من سيارته بخطوات حاسمة متقدة .. بدر الدين .. كان مسجى علي الأرض يحاول اثنين من رجاله معاونته على النهوض .. ما إن وقعت عيناه على نادر حتي همس برجاء :-" ابنتي .. سيقتلها ذلك المجنون "

الاشمئزاز هو ما كان يشعربه نادر نحوه ،كيف لأب أن يزوج ابنته من شخص مريض مجنون كمروان ..!! تركه وهو يستدير ..عنه أشعل سيجارة بيده أخذ يلهو بها دون شعور .. بطرفي سبابته والإبهام أشار لاثنين من رجاله أن يتبعاه .. حين نهض بدر الدين بخفة مناقضة لسنه وإصابته وهو يتبعه بلهفة :- " ستعيد لي ابنتي أليس كذلك ..؟!!"

لم يجبه نادر يشعر بغضب يفقده القدرة على الكلام "أرجوك أعدها لي "

حينها.. وحينها فقط التفت نادر له بعنف وقسوة وهو يقول بصوته الأجش الحازم :- " سأعيدها لي أتفهم لي أنا فقط "

الفصل الخامس

ذاكـرة .. قرار

وقف يراقبها .. تقدم بخطواته الطويلة للداخل ليقف على مقربة منها ..قطرات من العرق .. تتراقص على جبينها خصلات شعرها الطويلة بلون العسل ..المهملة المنزلقة دون حجابها المألوف له تحيط بوجهها ببراءة بالغة.. كل شيء فيها كما يعهده إلا أن ما قطع أوردته وريدا وريدا .. ذاك الشرشف الملقى على كامل جسدها يالله .. هذه الصورة قتل له لامحالة.! إزهاق روح..!

فتحت عينيها ببطء ودوار لتراه قريبا منها للغاية هل استجاب الله دعاءها أم هي تتخيل ..هو ذلك الغامض المتشح بالسواد دائما انصدمت تعرفت علي تفاصيله الغائبة الحاضرة... شعرت بصاعقة نزلت على رأسها شطرته لنصفين وجعلت منه آلاف القطع.. فوق رعبها وخوفها تسلل ألم يسري في عروقها... وجفاف لازم حلقها.. ليعتصرقلبها المثقل بالوجع والمرالذي نافس العلقم تعلقت كل الدموع بين أهدابها.. وبين بكائها المر، أنفاسها تتصاعد عانت من غياب أنفاسها..انقطعت ,ثم عادت لها فجأة, وقربه الصارخ من روحها يدنوفي كل لحظة قرب ، ارتفعت عيناها له ثم غرقت في بكاء مرير.. أراد احتضانها ليدسها خلف أضلعه.. وجعل تلك الدموع تتوقف على صدره..لكنه بدلا من ذلك تقدم لآخرالسرير.. كان يفك قيود قدميها بصمت ..توقفت لوهلة وهي تسترق النظر لتلك الملامح القاسية التي لاتعرفها إلا بسرق اللحظات .. فتقتلها تلك اللحظات..شرس جداً كماهو.. صامت جدا كما هو .. لكن بتلك اللحظة كان الأقرب لها .. التفتت بذهول لصوت والدها المتعب وهو يستند إلى الباب .. يراها مسجية أمامه بهذا الشكل أشاحت بنظرها عنه ،غصة تمنعها من مجرد رؤيته من ملاقاة أعينهما .. أو حتي احتمال تنفسه نفس ذلك الهواء الذي تتنفسه كره شديد .. كره تشعر به نحوه كره لذلك الأب الذي لا يستحق تلك الكلمة.. نادى والدها ببحة:- " هدى "

لم تجب .. حين اقترب نادر بذلك الصمت يفك قيد يديها انتبهت هدى له بذهول لازال يسيطر على حواسها حين انتهى ، مد يده لها قائلا بصوت أجش غاضب حازم به بقايا إحساس ما لم تستوعبه :-"تعالي"

مدت يدها له يسندها لتنهض ارتعشت بصدمة لتتوقف يدها وتعود فتسحبها ..جذبت الشرشف عليها بقسوة ما دعاه ليغمض عينيه بألم ، مد يده مرة ثانية.. تلك المرة ليحملها .. وحواسها تصرخ .. تصرخ بألم ..ألقت برأسها على صدره بتعب وإنهاك تستمع لذلك الذي يدوي بعنف وقوة وبلا انتظام بين أضلعها ، الأمـان هو ما شعرت به .. أمـان حتى من نفسها...ومن كل مايحيط بها ..من وجع وألم .. وخوف... اقترب والدها وهو يقول بغصة :- " هـدى تعالي معي "

نظرت له هدى بعينين متصلبتين لتعاود النظر لنادر بوجهه الغامض التعابير لتومىء من بين شهقاتها بالنفي التام..ليتراجع والدها بقهر ،التقت عيناهما وهو ينزل بها الدرج .. شعر بالوجع يدخل إلى حنايا روحه وينتزعها...على مهل...يتلذذ في انتزاع تلك الروح الميتة.. منذ زمن بعيد... والآن عادت لها الحياة...صورتها الجميلة عادت لترسخ من جديد وتعمق جذورها وترويها بعد الجفاف.. ازدادت جمالا حتى ارتواء الوجع ... خوفها ورجفتها رغم كل ما هي فيه أغمض عينيه بأسى يستعيد أنفاسه...نطق والدها اسمها..بخوف...فأوجعه الاسم والنداء...لن يدعها تذهب حتى ، ولو أرادت إلا أنها أحيت روحه المندثرة حين التفتت له قائلة برجاء حار وتلك اللآلئ عاودت الانهمار برجاء قطع نياط قلبه ونثر أوردته وريدا وريدا تحت قدميها وفدا لدمعة لامست هدبا من أهداب عينيها :- " خذني من هنا "

هُنالك في أعماقنا ركن لا يتوقف فيه المطر..

أخذ يقطع ممر العيادة ذهابا وإيابا .. لايدري بأي قوة استطاع الوصول بها لتلك المستشفي .. كادت نبضاته تتوقف حين غابت عن الوعي مرة أخرى بعد خروجهم من ذلك المكان .. أغمض عينيه بأسى يستعيد أنفاسه.. وضعها برفق علي المقعد الخلفي للسيارة ..خلع معطفه الأسود مدثرا إياها به .. أزاح خصلة من شعرها للخلف ،وعدل حجابها ببطء وألم ..تأمل وجهها بحزن اعتدل ، وهو يغلق الباب بقوة كشفت عن عذابه الداخلي.. التفت ملقيا بعض الأوامر للرجال خلفه ،ثم انطلق بها ..هز رأسه بشجن وتلك الذكرى لاتفارقه ..ذكرى حاول على مدار خمس سنوات محوها من باله وإدراجها غياهب النسيان..أسعد ذكرياته على الإطلاق

أسعدها وأكثرها جرحاً له ، هل يعقل أن تكون أسعد ذكرياتنا هي سبب عذابنا وشقائنا لأعوام لاحقة ..؟!! طيف ابتسامه لاعبت شفتيه حين انتفضت ردا علي سؤاله الأجش المتعب :-" أتحتاجين مساعدة..؟!! "

تطايرت خصلات شعرها الطويلة بلون العسل مع التفاتتها بالظلام، وهي تذكر اسم الله بخوف .. جعله يبتسم مرة ثانية كان يظنها هلاوس حمى .. لكن رد فعلها ذلك بشري للغاية ..ابتسم للمرة العاشرة، وهو يتأمل خوفها وارتباكها وهي تتلفت حولها .. أتى صوتها ليسحره ،وهي تهمس بصوت أبح موسيقي جعل طعنات لا يدري مصدرها .. تتوالى على قلبه ، وهي تقول بخفوت وخوف :-" من هناك ..؟!! هل هناك أحد ؟!! "

بدا له أنها ترتعش من شدة الخوف .. رأف بحالها فارتفع صوته الأجش المنهك قليلا وهو غير قادر علي النهوض من مكانه :-" لا تخافي أنا ... "

إلا أنها قاطعته بصرخة مرعوبة، وهي تهرول خارج الغرفة في الظلام اتسعت ابتسامته المنهكة .. لتتحول لتكشيرة حين سمع صرختها

واصطدامها بشيء ما .. ثم اختفى صوتها نهائيا ..تنهد ليعاود رمى رأسه على الوسادة بإرهاق

ليستيقظ مرة أخري علي شيء بارد حاد يلامس عنقه .. فتح عينيه بسرعة بديهية وتيقظ وحذر ليجد عينين بلون العسل تحدقان في وجهه ..عينان أعطاهما الظلام عمقا مربكا ..خصلات شعرها الحريرية .. تحيط بوجهها ببرائة بالغة ... خوفها وشجاعتها المزيفة ..أسرتاه .. همست ويدها المثبتة علي عنقه بسكين بارد " أأنت لص ..؟!!"

كانت سذاجتها منعشة ..لكنها أيضا جعلته حانقا ..لما عليها أن تكون بتلك البراءة ... خمن طبعا أنها إحدى أخوات آسر ..كيف أتت أو لما أتت وكيف لم ينتبه آسر لوجودها ..أسئلة لم يكن وقتها الإجابة عليها .. ضيق عينيه بتفكير .. دفعها لتضغط على السكين بغيظ ومزيد من الخوف .. دفع ببسمة لا إراديه إلى شفتيه القاسيتين أجابها بلامبالاة خطرة ولكنة بدوية جذابة :-

" ما تلك السذاجة .. لو كنت لصا ..فماذا أفعل في الفراش ..؟!"

ارتبكت لم تكن تتوقع منه ذلك ..تلك السخرية .. والصلابة واللامبالاة .. توقعت أن يرتعب أن يترجاها لتتركه وفي النهاية تدعه يخرج من الفيلا دون أذى وقد أخافته ..!! لكن إجابته اللامبالية المتهكمة أغضبتها فضغطت على النصل بحدة أكبر,كانت يدها ترتعش رغم ذلك .. فكر لثانية واحدة .. إن ترك تلك السكين بيدها قد تنتهي بإصابة نفسها لشدة خوفها ,تحرك بسرعة شديدة .. سحبها بقوة فجائية بحيث تهاوت على صدره والسكين لازالت بيدها .. مرفوعة فوق رأسيهما .. وهو يضغط عليها بجسده محاصرا إياها تحت صدره شهقت بخوف وذعر وحدة .. أخذت تحاربه بقسوة وعنف تحاول جذب ذراعها منه .. حتى ارتفع

السكين لوجهه ليجرح جبهته فوق عينيه مباشرة .. ممزقا جزءا من حاجبه .. صرخ بغضب .. لكنها ازدادت رعبا ومقاومة رغم وضعها الضعيف ..لتجرح خده مرة ثانية .. ابتعد بوجهه وصدره قليلا عنها لتشهق بقوة بحثا عن بعض الهواء لتعاود الهجوم ..إلا أنه كبلها بيديه وهو يقول بصوته الأجش الهامس بغضب :- " اهدئي .."

لكنها ظلت تقاوم بضراوة وشعرها يخفي نصف وجهها شهقت بعنف ، وهي تحول مسار نصل السكين من صدره لصدرها ..ضاغطة بقوة .. تريد إنهاء حياتها..إلا أنه أوقفها بيدين فولاذيتين ،وهو يسيطر علي اندفاع السكين تجاه صدرها .. نخزه ذراعها بقوة لكنه تجاهل الألم ببرود .. أخذ يتنفس بعنف .. أخيرا سيطر عليها، وإن كانت السكين لازالت بيدها لكن قبضته كانت تمسك تلك اليد بقوة مانعة حركتها .. تلك المجنونة .. بدأت قطرات من الدماء تتساقط من حاجبه على وجهها ..لتتابع انزلاقها تجاه صدرها الذي كان يعلو وينخفض بأنفاس ثائرة متحشرجة وخوف وغضب مكتومين ..تسمر مبهورا بجمال اللحظة، اغمضت عينيها بشده .. تأمل تلك الأهداب الرائعة المقوسة عالقة بها ندى عينها .. تاه بصره على قطرات من عرق .. تراقصت على جبينها..لتصل عيناه بذهول ساحر على خصلات شعرها الطويله بلون العسل .. المتناثرة ..الثائرة في كل مكان .. ليحبس أنفاسه بانبهار عند شفتيها ..يتأمل ضغطها على شفتيها بقوة .. ثم مدهما للأمام برفض بين لحظة وأخرى ..سحرته ..في تلك اللحظة ..أدرك أنه فقد قلبه وأصبح لها ..!أخذت تنشج بهدوء وقد استسلمت مقاومتها .. حين أتى صوته منخفضا , ببحة عميقة .. فيها لمحة قسوة بسيطة وهو يقول :- " والآن ..بما نفعتك تلك .."

وجذب منها السكين الصغير بقوة راميا إياها على أرضية الغرفة ليكمل بقسوة :- " إذا أردت إيذاءك فلن يمنعني شيء كتلك "

حدقت به برعب لتلتمع تلك الأهداب فجأة بلآلئ ليتساقط ....رذاذها على ورود وجنتها.. لتدخل بداخل ذلك الصدر.. رماح من حكاية رموشٍ بلون الحلكة.. زادت ضربات قلبه بجنون.. وهو يشتم بصخب رائحة عطرها.. القريب.. والقريب جدا... من أنفاسه ...كأنها أعطته أنفاسها ليتنشقها بعبق رجولته وثقله الدائم .. زادت عيناه غموضا ..ضعيفة هي...(لكنها كمائة فارسٍ أو يزيدون بتلك الأهداب ...!... انخفضت عيناها لمستوى صدره...ليستل ذلك الهدب المبلول...شيء ما بآخر نبضه... ناداه ذلك الهدب لمعانقته...لبى النداء ببساطة.. بطبعه قبلة على أهدابها بكل جرأة...جزء من ملوحة الدمع سكنت شفتيه وبللتها بملوحة...ليبلل شفتيه بأطراف لسانه... فيحاول ابتلاع جزء صغير جداً من طعم الملوحة التي أذاقها لها..)

تنهد ليفيق نت شروده الدائم بها عندما خرجت الطبيبه من عندها ووجهها متحفز قليلا ..سألت بصرامة :- " أأنت زوجها..؟!! "

انتابته غصة استحكمت مشاعره وحزن عميق .. وهو يفيق من شـروده ببحر الذكريات .. أومأ بلا ظهر الارتياب علي وجهها.. فقاطعها بصوت أجش ، وقد استطاع التحكم بأعصابه ونبضاته بسيطرة فولاذية :-" كيف حالها الآن ..؟! "

ارتدت الطبيبة لنبرتها العملية وإن تشبعت تلك النبرة بتعاطف واضح وشك أوضح :-" المريضة مصابة بانهيار عصبي حاد ..أعطيتها مهدئا .. ويجب أن تمضي الليلة بالمستشفي تحت المتابعة "

يجب أن يعرف ..:- "هل هناك شيء آخر بها..؟!! "

تنهدت الطبيبة قائلة بهدوء وتساؤل :- " يجب أن تخبرني بما تسأل عنه بصراحة .. لأستطيع إجابتك بصراحة مماثلة "

تنهد وقبضت يده تعصر أعصابه حتى توقفت الدماء عن الوصول إليهما أنزل عينيه عن عيني الطبيبه بألم قائلا بصوت أبح خافت كأن لسانه يرفض التفوه بتلك الكلمات المسمومة :- " هل تم الاعتداء عليها..؟!! "

بهتت الطبيبة وهي تنظر إليه..سألت بصرامة :- " وهل هناك شك بإمكانية حدوث ذلك ؟!! "

أومأ بالإيجاب بحزن ، هزت رأسها بألم وهي تأخذ نفسا عميقا قائلة بصرامة ومهنية :-

" يجب مراجعتها عن طريق طبيب نسائي لتحديد ذلك ..ويجب إبلاغ الشرطة في حالة الشك بذلك كما ينص القانون"

قاطعها بصرامة وهو يقول :- " أنا شرطي .. معك الرائد نادر فهمي بالحاج"

نظرت له الطبيبة الشابة بشك .. فتنهد وهو يخرج البطاقة المدون بها الوظيفة هزت رأسها ،وهي تقول بلهجة عملية :- " سأرسل الطبيب النسائي الآن للكشف عليها "

نظر لها بقوة، وهو يقول بأمر تلك المرة :- " طبيبة "

توقفت عن السير وهي تسأله :- ماذا ..؟!! "

قال بنبرة لا تقبل الجدل :- " طبيبة نسائية "

أومأت بالإيجاب ..أعطاها ظهره وهي تغادر، ما إن غادرت .. ضرب الجـدار بيده بقسـوة وألم جلس علي المقعد بنفاذ صبر ونار تشب بصدره

*****

تنشقت قاهرة بألم وأسندت رأسها على الجدار القريب .. وبيدها ضغطت علي الجوال أغمضت عينيها..كانت بحاجة لتلك الفسحة بعيدا عن آسر ..مرارة ..؟ وضعف ..؟ يخترقها كخنجر مسموم ... فتحت عيونها بضعف ..وحاولت تجاهل كل شيء فهي قاهرة القوية الشامخة الصامدة إلا أنها لم تستطع ،يرفض والدها رؤيتها أو محادثتها وذلك يؤلمها .. يقتلها .. يجردها من قوتها وشموخها عادت بخطوات ثقيلة باتجاه القسم الذي يمر من عند البوابة الداخلية للمستشفى، وذلك الكائن انتابها الغيظ والحنق الشديد..استغل صدمتها وتشوشها ..وتبعثرها ليخدعـها التوت شفتيها بشبه تهكم من نفسها، خـدعها ادعائه فقدان الذاكرة خـــدعها، تباطأت خطواتها في الممر قبل الوصول لجناحه " ربما لديه تبرير منطقي..!! "ابتسمت بسخرية" أو حتى غير منطقي "

ليبرر ماذا ...؟؟ يبرر خداعا ..! وكذبا ..! ونفاقا..! رفعت رأسها بشموخ غاب عنها لفتره ..لم يعد الأمر يعنيها كثيرا فتحت الباب بحزم ،وقد اتخذت قرارها .. سواء كان فقدان الذاكرة هذا صحيحا أو لا فهي أرضت ضميرها بقيت بجواره حتى شفي .. ولا يوجد بيدها ما تقدمه له أكثر من هذا ..!! برقت عيناها بإصرار اليوم ستذهب لوالدها .. سواء رفض والدها لقاءها أو لا .. لكنها ستجبره أن يستمع لها تغضنت جبهتها المرمرية بالقلق والأمل يجب أن يستمع لها ..!! تنهدت بصمت وهي ترفع رأسها لتلقي نظرة عليه .. لتتوقف بذهول وتبعثر لا تدري له معني ، توقفت في

صمت ككل مرة تتأمل محياه الرجولي الموجع ..غريب .. لم تعتقد في يوم من الأيام .. بوجود وسامة موجعة وغريبة .. لشخص قليل التهذيب .. نائم بأدب أمامها كما الآن ...!! تداركت تأملها الغريب من صوت الممرضة :- " لقد أعطيته المسكن .. يحتاج للراحة بشدة حتى وإن أنكرها "

تأملته الممرضة هي الأخرى باستغراب قائلة :- " لم أر في حياتي مريضا مثله .. شرس حتى في مرضه "

التوت شفتا قاهرة بابتسامة شجية.. شرس ..قالت ونسيت ماكر كما الثعالب .. ألقت عليه نظرة أخيرة، وهي تسحب حقيبة يدها بهدوء .. لترحل وقد عزمت أمرها

******

كوني ....قربي

هذه جل أمنياتي فقط

وضعها على السرير ببطء وحنان مددها بهدوء ولحفها .. جلس علي المقعد بجوارها ..وهو يتنهد .. حبيبته الصغيرة عانت الكثير ..الكثيـــر في غيابه لكنها لن تعاني بعد الآن ..!! طالما بـه نفـس يتنفـــسه يدرك أن المشوار بعيد وصعب للغاية .. لتعود صغيرته كما كانت يوما .. وكما رآها يوما .. نهض من جوارها ببطء وهدوء ..فهي الآن في أمان ،وهو لن يتخلي عنها أبدا ..أمـا ذلك الحقير ... فحسـابه سيكون عسيرا للغاية ..وهو يعرف كيف يحطمه ..!! كانت لديه حقائق سابقاً .. لكن الآن لديه الرغبة أيضـاً الرغبه في تحطيمه ومحـوه عن الوجود نظر لقبضته بهدوء، وقد بدء لونها يتحول للأزرق المحمر .. حاول فرد وثني أصابعه لكنها آلمتـه .. تنهد بصبر، وهو يتجاهلها ذهب لدورة المياه ليتوضأ .. صلي ركعتين شكرا لله ..

لسلامتها .. لم يستطع ذلك الحقير نيل مبتغاه منها ... كأن ماءا باردا أطفأ نيران صدره .. قبل أن يشب الحريق مدمرا الأخضر واليابس من أوردته .. حين طمأنته الطبيبه " إنها سالمة.." أنهى صلاته ورفع يديه بدعاء وشكر صامت لله

*****

فتح عينيه ببطء صامت ..هدوء...لاصوتٍ هنا..قطب حاجبيه بقسوة .. " أين ذهبت ..؟! "

التوت شفتاه بسخرية مريرة وعيناه تبحثان عن أثرها في الغرفة المظلمة نسبياً انتابه الغضب والضيق وهو يشعر بتلك الغمامة التي تشوش الرؤية عليه .. زفر بضيق يجب أن يبدأ بإجراءات سفره سريعا فهو لا يطيق حالة العجز أو شبه العجز تلك .. لا يستطيع أن يكون عاجزا عن فعل شيء ما فما باله بأهم شيء عينيه قطب حاجبيه بحيرة وغضب .. حين مر الوقت وهي لم تأت بعد .. " أين ذهبت ..؟ "

زم شفتيه الغليظتين بحنق .. كان يضغط بقسوة عليها حينا و بمكر أحيانا .. عاوده صداع ،بدأ يصبح سمة مميزة لألم عينيه ..اعتدل بنفاذ صبر لا يقوي علي عدم الحركة يشعر بجسده يشتعل من الضيق ..كان يشعر بالنيران تشب في صدره، كلما فكر بخداعها له .. لم يشف غليله منها تلاعبه بأعصابها بكل شراسة ومكر .. ما بين رقة وحب وقسوة طيلة الشهر الماضي منذ أفاق من غيبوبته وإقامته الجبرية بالمستشفي ...التوت شفتاه بقسوة وسخرية، هو يعترف لنفسه بأن أكثر ما يغضبه أنه اكتشف أنها حطمت اعتقاده بأنه يأتي أولا ومن بعده الطوفان .. إن أكثر ما يغضبه أنه أدرك أنها مهمة لديه .. لايدرى متى أصبحت بتلك الأهميه، وهذا ما يغضبه أنها تتسلل تحت دفاعاته بسهولة ..!! ضغط على الزر

المجاور للسرير، أتت الممرضة التي ابتسمت له بافتتان لم يخف عليه .. لكنه تجاهله فقد كان بمزاج عكر لا يحتمل الهزر حاليا .. ليسألها ببرود يناقض البراكين الثائرة بداخله :- " أين قـاهرة ..؟!!"

حين تأخرت في الإجابه لثانية .. رفع لها حاجبه ببرود ونفاذ صبر .. منتظرا إجابتها احمرت وجنتا الممرضة، وهي تقول بارتباك .. فقد تعودت ممازحته لها دائما " السيدة قاهرة .. غادرت المستشفى "

صرخ بغضب أخاف الممرضة الصغيرة :- " مـاذا ..؟!! "

ارتبكت الممرضة:- " لقد طلبت مني أن أخبرك أنها ذهبت لمنزل والدها ولن تعود "

لم يدعها تنهي جملتها ، نهض بعنف من السرير بقدميه الفارعتي الطول، ووجهه الشاحب قليلا نزع المصل المغذي من يده بقوة .. وهو يأمرها بصوت أجش :- " اعطيني قميصا ما "

تقدمت لداخل الغرفه تسأل بتوتر :- " إلي أين تظن نفسك ذاهب سيد آسر..؟!! "

لم يجبها التفت ببطء يبحث عن ملابسه ..جذب بنطلون جينز وهو يتجه للحمام .. صرخ عليها :- " اعطيني قميصا ما ..؟!! "

تجاهلته وهي تضغط على زر استدعاء الطبيب خرج عاري الصدر يبحث عن قميص بنفاذ صبر وعصبية، وهي تحاول أن تثنيه عما يفعل لكنه كان قد سحب قميصه بقوة وارتداه، سأل بصوت أجش وغضب مكتوم :- " أين أشيائي الخاصة ..؟! "

لم تجد الممرضة بد من الرضوخ لتلك النبرة المرعبة ... أشارت علي الدرج الصغير بجوار السرير فتحه بعنف أدى إلي تطاير أغلب الأشياء به إلى الخارج .. انحني يلتقط المفاتيح والهاتف .. حين شعر بدوار مفاجئ جعله يأخذ نفسا عميقا لينهض بعدها ،وكأن لا شيء به اتجه للخارج حين استوقفه الطبيب القادم بذهول :-" إلي أين تظن نفسك ذاهب ..؟! "

أبعده آسر بغضب ، وهو يقول بسخرية :-" كما ترى ..عائد لمنزلي "

همس الطبيب بنبرة حائرة، وقد وصل إلى جواره محاولا مجارات خطواته السريعة ..في محاولة أخيرة أملاها عليه ضميره المهني :- " وتقرير الطبيب النهائي ..؟!! "

أتاه الرد مع اختفاء آسر في المصعد :- " لاحاجة لي به "

*****

توقفت سيارة الأجرة أمام المنزل لتترجل قاهرة بصمت وحنين للبيت ومن فيه اشتاقت لعبق وجوده " أبي "

اتجهت للداخل ورأسها مرفوع بكبرياء وثقة بأنها تستطيع إصلاح الوضع لم تر أحدا بالبهو .. خطت للداخل لتتجه مباشرة إلي حجرة مكتبه العريقة ملاذه الدائم طرقت الباب بأدب وصمتت بشوق .. في انتظار أن يأتيها صوته الرخيم كعادته يدعوها للدخول ومشاركته ما يقرأ أو يكتب في أغلب الأحيان لكن طال انتظارها تنهدت بأسي وهي تفتح المكتب لتراه خاويا منه .. لكنه ممتلئ بكل أثر له ،بخطي وئيدة .. تلمست مقعده الجلدي بحب .. أدارت المقعد لها .. لتجلس ببطء تستشعر دفئه وحنانه ...فتح الباب بهدوء وأصوات مرحة متناثرة تأتي من خلفه لترفع هي رأسها بأمل لم يدم سوى وهلة واحدة.. ليخبو ذلك الأمل بألم وهي تري شذي

تخطو لغرفة المكتب والمفاجأة تتجلي علي محياها الجميل .. وأحمد الذي تسمر خلفها بذهول وغضب ،التوت شفتاها بأسى والفكرة تراودها بحزن " حتى أنت يا أحمد .. حتى أنت أسأت الظن بي "

تقدمت شذي للداخل بنظرة متوترة قائلة بهدوء يخفي خلفه الكثير من المشاعر المتفاوتة :- " ماذا تفعلين هنا قاهرة ..؟!!

ردت قاهرة بتهكم خفيف :- " لا يزال بيتي أنا الأخرى شذى حسب ما تأكدت آخر مرة ..!! "

تقدمت شذى للداخل وهي تقول بإحراج :- " بالتأكيد بيتك قاهرة "

أكملت بلوم خفيف :- " أنت تعلمين أني لم أكن أقصد هذا "

تقدم أحمد للداخل دون قدرة على التماسك أكثر فقد كان الغضب يجيش بأعماقه ..متى تزوجتيه ..؟!!.

ذلك اليوم كانا سويا ولم تذكر له شيئا .. علي مدار الأعوام كانا أقرب الأصدقاء .. من جهتها أصدقاء ومن جهته هو أحباء.. !!!الكل يعلم بـ حبه لها ،صحيح أنها لم تشجعه يوما ،لكنه كان يظن أنه خجل الأنثى الطبيعي .. جن حين سمع بذلك الخبر.. تقدم منها قائلا بغضب واحتقار :- " وأين زوجك المصون ..؟!! "

ارتبكت قاهرة إلا أنها قالت بصرامة :-" أحمد أنا لا أسمح لك بمحادثتي هكذا "

إلا أنه أكمل بتساؤل حاقد يخفي أمل وترقب :- " أم أنه اكتفى منك وطردك ..؟!! "

نهضت قاهرة قائلة بكبرياء مجروح وطعنه لم تتوقعها تتغلغل بثنايا قلبها :-" اخرس ..لا يحق لك محادثتي هكذا .."

صرخ بغضب شوه ملامحه اللطيفة :-" وكيف تريدينني أن أحادثك ..؟!! "

رفعت رأسها بشموخ وكبرياء تداري حزنها لسوء ظنه بها وتجريحه إياها .. تلتمس له الأعذار.. قائلا :- " لست مضطرة للتبرير لك أو لغيرك "

انسحبت شذى بهدوء للخارج تستدعي والدها .. حين رأت الوضع بينهم يخرج عن السيطرة، جذبها أحمد من ذراعها بعنف وهو يهمس بألم وغضب :- " لمن تبررين إذن ...؟!! ألا تظنين أن ذلك التبرير حق لي ؟!! "

رفعت رأسها له بقوة قائلة بصرامة :- " من أين لك ذلك الحق ..؟! من أعطاه لك..؟! لا أعتقد أنني أعطيته لك يوما ما..؟! "

ابتعد عنها بألم خطوة واحدة ..ألم دخل إلى أضلاع صدره ..قالت " ليس لك حق " ليعود وقد أعماه الحقد والغضب والألم ليرفع يده ويهوي بها علي وجهها ..!

*****

دخل لسيارته صفق الباب بقسوة شديدة رمى الهاتف بلامبالاة غاضبة .. يبحث عن علبة سجائره .. ليشعل سيجارة .. كما لو لم يكن ما زال بطور النقاهة أخذ نفسا عميقا من السيجارة اللعينة .. يحاول السيطرة على غضبه ..لا يدري ما يغضبه لتلك الدرجة ... لكنه كان يدرك أن غضبه .. موجه لها .. تريد الهروب من أسره و لم يستحكم حصاره حولها بعد ..!!لم يكن وقت تحليل المشاعر بالنسبة له لكنه لم يستطع منع نفسه .. فهي لم تخطئ كثيرا .. !!

بل وضعت نفسها بموقف صعب ووافقت على إجراء العملية له وإنقاذ حياته ،وإن حدث له شيء ،هو متاكد أن الوضع كان سيتحول لعقوبة وربما سجن ..! إذاً هي لم تخطئ سوى بالاستهانة به ! ولذلك انتقم لنفسه منه بتعذيبها شهرا كاملا حين أفاق ..وانتظارها بجواره عدة أشهر حتى يفيق من غيبوبته إذً لماذا يشعر بالغضب الآن .. لماذا يسعى خلفها..!

همس صوت صغير بداخله " لأنك لا تستطيع تركها تذهب .. أنت تحتاجها"

زفر وهو يقود السيارة ببطء بسبب تشوش الرؤية .. أغضبه أكثر وأكثر .. بدا أن كل ما حوله يحفزه علي الغضب حتي أوشك علي الانفجار .. لو يستطيع فقط إظهار مشاعره , لكانت أحرقت الأخضر واليابس .. يشعر أنه ضرير..عاجز .. فاقد القدرة على التحكم بما حوله ،وذلك يثير جنونه وهي السبب.. هي الســـــبب

أخرجه رنين الهاتف من بعثرة مشاعره القاسية المشتعلة الغاضبة تجاهله أول الأمر .. إلا أنه كان يرن بإلحاح مزعج رمي السيجارة من نافذة سيارته .. تنهد وهو يجيب .. أتى صوته أجشا مبحوحا من شدة الغضب :- " نعم "

ليأتيه صوت نادر الغامض قائلا بحزم وقوة :- " آسر .. سأتزوج هدى اليوم "

تشوش ذهنه وقطب حاجبه بحيـرة .. ماذا يقول ذلك المجنون ؟!! تنهد آسر وهو يكافح غضبه الذي يتزايد :- " نادر أمستيقظ أنت ..؟!! "

أتاه صمت من الجهة الأخري .. لم يدم طويلا إذ قطعه نادر بقوله : " حدث الكثير بفترة مرضك .. سأزورك لنتحادث .. لكنني فقط أردت إبلاغك "

أغلق نادر الهاتف بعد مكالمته المقتضبة الغامضة ... التي لم تزد آسر إلا غضبا يبدو أن ثلاثة شهور ما بين غيبوبة وتعافٍ ..نزل بخطوات قوية حاسمة ولا يوجد بذهنه شيء محدد عن أسباب مجيئه ..! فتحت له الخادمة .. دخل بلطف قدر ما يسمح به غضبه سائلا عن قاهرة تقدم عدة خطوات للداخل حين أتته صرختها المكتومة اشتعلت عيناه بالغضب توقف خطوة ليميز من أين أتى صوتها ..لينطلق بعدها بتصميم ..فتح الباب بقوة ليجد قاهرة الذاهلة، ويدها علي وجنتها و أحمد أمامها مصدوم مما فعل ،هي نظرة واحدة دفعت بمزيد من الغضب لعروقه إن أمكن ذلك .. لكن تلك المرة كان الغضب مختلفا، كان غضبا لها وليس عليها اتجه إلى أحمد بقسوة وشراسة وتحفز أرعب أحمد وأذهل قاهرة الدامعة العينين، ارتفعت وتيرة صوت آسر ..وهو يمسك أحمد بياقته موجه له لكمة صارخا بهدير غاضب :- " أيها الحقير "

أعطاه لكمة ثانية ..غامت بها الرؤية عند أحمد ..ضربها ..كان ثائرا بشكل خطير.. رفع يده ينوي بها السقوط على فكه ..حين أوقفت يده الممتدة .. يد ناعمة أحاطت بمعصمه لتسحبه بقوة...! بينما خلص أحمد نفسه منه بصعوبة .. ارتفع بصره ليتوقف على نظرات العيون القاتلة الموجهة من قاهرة... وبوتيرة حادة أنهت الموقف ... قائلة بصرامة وشموخ وكبرياء :- "غير مسموح لك التدخل بشيء لا يعنيك...! ...وغير مسموح لك أن تقلل من احترام هذا المنزل وأصحابه..وغير مسموح لك بأشياء كثيرة تجاوزتها....!

"وسط معمعة أريد أو لا أريد "

.. ضاعت أبجديات ..

(أنا أريد و أنت تريد و "الله" يفعل ما يريد)

حالة من الصمت..لفت المكان... حتى الشبابيك المفتوحة..الهواء الذي كان يحرك الستائر... هو أيضاً...أعلن السكون...! تراجع للخلف بخطوتين صغيرتين ..من تغير موقف الهجوم .. لموقف دفاع..وهو ينتبه ليدها الرقيقة .. تدفع صدره للخلف.. ليتراجع فقط من تأثير الصدمة....؟ ألجمته نظرات عيونها قبل كلماتها لم تلك العيون تبعثره ..تشتته .. تفقده صوابه..؟ لم تلك الرموش كما سيوف تتفنن في قتله.. وهي مسلطة عليه بنظرة صعب ترجمتها...آسر بارتباك لحظي وهو يخفي صدمته :-".. كان يصفعك ..!! "

قاهرةِ بشموخ " وبأي صفة تتدخل...؟!! "

هدر قائلا بتحدي :- " بأي صفة أتسألينني بأي صفة؟!!أتنفع تلك الصفة زوجـك "

عم الصمت المكان إلا من أنفاسهما ..بينما تقابلت العيون الغاضبة الهادرة المتحدية سحبت نفسا عميقا .. تعض شفتها السفلى غيظا .. وغضبا ..دون قدرة على مواصلة قتال العيون بينهما .. لتخفض هي عينيها باستسلام استدارت بصمت تبغي الابتعاد قليلا..لتتنفس ..لتفكر ..لتعيد شحذ همتها ..لترد عليه رد مفحم .. لكن وجود أحمد الغاضب المتفرج منعها ، فهمست بصوت شاحب وهي لا تستطيع النظر إليه : أَحمد هلا خرجت وتركتنا بمفردنا

اهتز جسدها قليلا على أثر صفع الباب .. حاولت الابتعاد قليلا عن آسر ،وهي تأخذ نفسا عميقا لكنه منعها بقبضة حريرية الملمس فولاذية النوايا صوته الحاد والجاف أرعبها... وخشونته ضربتها بالصميم... " لم تجيبي ..أتنفع تلك الصفة ؟!! "

ارتفع رأسها بقوة كاذبة وكبرياء .. قائلة :- " ومن أخبرك أنني زوجتك ..إنها خدعة .."

ارتفعت صوت ضحكته القاسية لتصدمها وعيناه تتألقان بمكر وقسوة :- " خـدعة "

تحولت لهجته إلى القسـوة والشراسـة :-" خدعـة .. وتظنين أنك ستفلتين منها بتلك البساطة .. "

همس بحقد :-" بتلك السهولة .."

انطلق غضبه من عقاله ،وهو يقترب منها بذبذبات عنيفة صرخت بها كل خلايا جسده حتى أخافتها ، وجعلت رعشة تسري بعمودها الفقري .. اقترب حتى أصبحت ترى مسام وجهه وعينيه اللتين اشتدت زرقتهما ،وهو يقول بفحيح هامس :-" تلك الخدعة أعرف بها منذ البداية .."

برقت عيناه وهو يراقب شفتيها الكرزيتين اللتين ارتعشتا بخوف وصدمة .. جعله يشعر بنشوة خفية .. استطرد :-" لكنك وقعت بشر أعمالك .. انقلب السحر على الساحر"

هزت رأسها بارتباك :- " ماذا لا أفهم قصدك ..؟! "

اقترب بأنفاسه حتى أصحبتا تمران على صفحة وجهها .. بدأت نبضاتها تتسارع لا تدري بخوف أم اشمئزاز أم ....ترقب .. أتت همسته صاعقة :-

" لأوضح لك أكثر .. تلك الخدعة زوجتي العزيزة .. لن تكون مجرد خـدعة بل ستتحول إلى أمر واقع ... فأنت أمام الجميع زوجتي .. وسيبقى الوضع على ما هو عليه "

أخذ نفسا عميقا، وهو يجاهد تغلغل رائحة عطرها السـاحر بمسامه :-" حتى أقـول أنا خلاف ذلك "

قالت بذهول وعدم تصديق وذلك الخافق لايكف عن الخفقـان داخل محاجر أضلاعها :- " مـاذا .. أأنت مجنون ..؟! لن يحدث هذا على جثتي "

ابتسم ساخـرا وهو يقترب منها أكثر .. حتى اصطدمت بالحائط خلفها .. فمد يديه يحبسها داخلهما ... ضاقت أنفاسها بصدرها .. ورغم أنها طويلة إلا أنها اضطرت لرفع رأسها حتى تتلاقي نظراتهما .. حاولت أن تشيح بصرها يمنة أو يسرة .. لكنها لم تستطع الفكاك من آسر..من عينيه .. بدا كأنهما محجوبان خلف جزء من الستائر الكثيفة بالغرفة .. خيم الصمت والهدوء المكان سوى من أنفاسها الخائفة المرتبكة بوجل .. ومن أنفاسه الخشنة الجافة المحملة بالغضب البارد والقوة البدائية التي تشع منه .. قال بتهديد بارد حاقد :" أخطأتي ..!!

نظرت له بتساؤل خائف ..فأكمل بثقة وتهديـد :- " لن يكون على جثتك أنت ... بل على جثة والـدك "

كان التهديد مباشرا رغم أنها لم تفهم الصلة فاضطرت للتساؤل بغباء أكثر، وهي حانقة على ذهنها المتوقف عن العمل :- " ماذا ..ما صلة والدي ..؟!! "

قال بنفس الهمس الشرس :- " والدك ..الذي أتيت اليوم لتفسير الحقيقة له .. لم يفق بعد من صدمة ادعائك زواجنا بالسر .. لتصدميه اليوم بنفيك ذلك الزواج "

أكمل ببسمة شريرة حين رأى شحوب وجهها :- " تخيلي معي ..صدمته حين يعرف مني أنك كنت عشيقتي .. ولست زوجتي "

شهقت باستنكار وغضب وإحراج لكلماته الجارحة المهينة :- " لن يصدقك .. والدي يثق في "

اتسعت ابتسامته بحقد وهو يرد عليها :- " ربما كان يثق بك سابقا .. لكن ليس بعد كذبتك تلك .. وبذلك الشأن .. ثم ما مبررك لبقائك معي لثلاثة أشهر بالمستشفى إن لم تكوني زوجتي أو عشيقتي ..؟!! "

قالت بتردد وارتباك وهي مصدومة من تفكيره القذر بذهن غائب :-" أردت الاطمئنان عليك .. "

لمع شيء ما بأعماق عينيه الا انه سخر ببرود رافضا تفسيرها :-" ذاك التبرير لا يقنع طفلة .. فما بالك برجل مثل والدك ..؟! وإن افترضنا أنه صدقك فلماذا بقيت معي بعدما أفقت ..؟! ولم لم تخبريه الحقيقة منذ البداية ..؟! لا أعتقد أنه كان ليمانع أن تأتي لتطمئني علي مريضك .. "

صمت لوهلة ليعود بتهكم بارد :- " ترضية لإحساسك بالذنب "

لم تعرف ما تقول له .. كيف تشرح لذلك الجلف البارد المغرور التافه أن خوفها عليه فاق خوفها من غضب والدها لها ..!! أن خوفها من تركه كان أكبر من خوفها من ترك والدها لتلك المدة ..!لمعت عيناها بضعف لحظي لينخفض رأسها بحزن و..أنين تشتت...و..ارتباك مشاعر وتخبط

في بئر من الحيرة.. بعثته كلماته والمعنى المراد بها وأن يظن والدها بها تلك الظنون همست بتحدٍ ضعيف بيأس .. ورأسها لازال على انخفاضته :- " لن تستطيع فعل هذا بي .. لن تستطيع..!!"

أمال أنامله الباردة على عنقها بانسياب متحديا لها، وهي ترتعش كورق هبت نسمات باردة عليه.. فجعلته يرتعش ! الاحمرار عانق كل أركانها ليدفع بابتسامة خبيثة لترتسم ببطء على شفتيه رفع وجهها إليه بلمسة بسيطة منه :- " انتبهي لكلامك ولاتقفي أمامي بتحدٍ لأنك بهزة خفيفة تخسرين..! "

صمتت وأعجبه خضوعها .. انحني بجرأة وتهور .. هم بتقبيل عنقها العاري.. حين أتت طرقة على الباب خلفهم ..لتنتفض مبتعدة عنه هامسة بصدمة :- " حقير.. لن تجرؤ ..!! "

فهمس بحقد وبرود :- " راقبيني وأنا أفعل ؟؟ "

ليظهر والـدها

*****

فتحت عينيها ببطء كانت دافئة محاطة برائحة لطيفة أدخلت أنفها مرة أخرى بين الوسائد تستنشق بعمق وشعور بالحنين يجتاحها حنين مجهول أخذت نفسا عميقا وهي تتمطي .. تشعر بصداع رهيب .. يا الله ياله من كابوس رهيب !!

ذلك الكابوس كان أغرب من الخيال .. نادر أنقذها مرة أخرى .. ابتسمت نصف ابتسامه بأسى .. حتي في أحلامها ينقذها .. فتحت عينيها على اتساعهما ،أحلامهـا انتفضت وهي تعتدل بالفراش لينتثر شعرها العسلي

بلا انتظام حول وجهها البريء ، وهي تتأمل الغرفة .. تلك ليست غرفتها ,ليست غرفة آسر التي قضت بها الأشهر الفائتة .. تلك الغرفة ,أخذت نبضات قلبها تتعالى، وضعت يدها على صدرها تسكن ذلك الوجع .. لم يكن كابوسا كان حقيقة, الأمس كان حقيقـة كذلك .. توقفت الكلمات على طرف روحها المهشمة ونـادر .. أبيها .. إنقاذه لها .. أغمضت عينيها بحزن ..بأسى ..بصدمة خجل .. طلبها .. رجاءها له أن يأخذها معه حـقـيـقـــة .

أتت طرقة خافتة لكن حازمة علي الباب لتجعلها تنتفض مرة أخرى .. حارت عيناها في المكان بفزع لتأتي طرقة أخرى بصوت أعلى يرافقها صوته الأجش :- " أتسمحين لي بالدخول؟!!"

حاولت الإجابة تنحنحت تبحث عن صوتها لترفض .. لتعترض .. لكنها لم تجده .. كانت تشعر بالتعب والإنهاك ,بالذعر والمفاجأة ,بالتشوش لتجيب بصوت أبح :- " لحظة ..."

تلفتت مرة أخرى حولها .. تسحب حجابها الملقى بجوارها على الوسادة وتضعه على رأسها كيفما كان .. همست بصوت مرتجف :-" ادخل "

ارتبكت ويداها تعتصر أصابعها حالما رأت هيئته السوداء الغامضة .. لحيته نابتة بعضِ الشيء .. ووجهه القوي يبدو عليه قليل من تعب ,غريب هذا الشخص..!! يرسم بعبق أنفاسه حضوره المهيب يجبر من يحيط به أو من يتواجد بمكان هو فيه أن تعلق عيناه به ويلتزم الصمت والصمت فقط...!! وكأن شموخه يملك المكان بأسره الغريب , بلعت ريقها وهي تخفض عينيها بتشتت تبعثره علي الغطاء أمامها حين أتى صوته الهادئ الرجولي الرخيم مستفسرا:- " أفضل حالا الآن ..؟! "

ابتلعت ريقها المغموس بشيء يشبه العلقم... هل ذقتم ذلك المرار...! أفضل حالا من متى ..؟!! لم تكن يوما بحال أفضل لتكون أفضل منه فيما بعد ..تشعر بأشواك ..أشواك تخزها وتحرق جلدها .. السرير يؤلمها .. ملابسها تكويها .. أرادت أن تخرج روحها من جسدها علها ترتاح .. حتى جسدها يؤلمها .،في النهاية أومأت بصمت بالإيجاب

تنهد وهو يسحب مقعده ليجلس بجوارالسرير مواجها لها يشرف عليها من علو بسبب طوله الفارع إلا أنها لم ترفع عينيها إليه , أصبحت كل مشاعرها محصورة بالخجل والإهانة !! لم هـو ,لم كتب عليها أن لا يراها دوما بأسوأ حالاتها إلا هـو ؟!! ناداها ببحة:- " هـدى

دوما اسمها بين شفتيه يجعل رأسها يرتفع لعينيه باستجابة لا شعورية .. كأن مناداته لها باسمها شيء لا إرادة لها للسيطرة عليه .. تسمرت عيناها بأشعة الشمس بعينيه دون إرادة بحيرة وانبهار و.....حزن فقال دون تردد دون مواربة دون ربما , دون إحساس بشعورها وعيناه تلمعان برغبة عمرها عمر الزمن :- " تزوجيني ..؟"

ماء بارد انسكب على جسدها واشتعل بذات الوقت ،شعرت بأنها توقفت تماماً ولم تعد تنبض

أوأن قلبها خرج من مكانه ,هرب من قفصها الصدري, أي كلمة ألقاها..نادر...؟!أي وجع..نثر عليه الملح ؟! ملامحها المصدومة وعيونها الجاحظة, وجهها الذي انقلب للون آخر قريب من الشحوب.. وصورته الضبابية تعود لها من جديد ،وهو يحملها في وضعها المهين بالأمس ,تترجاه مترنحة بجرحها متوسلة له أن يبتعد بها ، حاولت التنفس بعمق لكن شحب وجهها واختفي الهواء من حولها أكثر .. ذلك الجرح مازال طرياً ندياً.. كيف له أن يعيد إحياء شيء لم يمت بعد .. كيف يجرؤ على

غرس النصل بالجرح أكثر من ذلك .. كيف له أن يطلب شيئا كهذا ؟من يكون هـو ..؟!!سيغمى عليها , سيغـمى عليها .. تشبثت بالغطاء بشـدة، وهي تحاول تمالك نفسها .. حين أتى صوته يحمل رنة متوترة آمـره :- " اسمعيني "

هزت رأسها برفض لاتريد أن تسمع ..لا تـــريد قال بهدوء قدر إمكانه وإن ظهر العناد بصوته واشتعلت عيناه بألف شمس :- " يجب أن نتزوج إن أردت أن يبتعد عنك نهائيا .. أن يفقد أي أمل بك ألا يعود لمهاجمتك يجب أن نتزوج وأنا كفيل بإبعاده .."

كانت تهز رأسها برفض يقارب الهيستريا, إلا أن صوته كان يخترق ضباب عقلها بقوة .. حين لم يجد منها رد فعل يشير لتجاوبها مع كلماته ناداها بحنين حزين :- " هـدى "

توقف رأسها عن الحركة لوهلة بحيرة داخلية .. لم .. ؟!! لم يناديها دوما بتلك الطريقة ..؟!! كأنه يعرفها .. !! لم يناديها بتلك الطريقة التي تعبث بشرايينها وأوردتها بنبضهـا ..!

هبط بجسده مجاورا السرير علي ركبتيه أمامها ليصل لعينيها المزروعتين بالغطاء .. مد يده بتردد يلمس يدها إلا أنه تراجع بـألم حين انكمشت بقوة وعنف قال بصوت أجش وإصرار وقوة :- " سأحميك ,أعدك إنني لن أسمح لمخلوق بأذيتك مرة أخرى .. "

توقف لوهلة لتستوعب كلماته ،ثم أكمل بيأس غريب عليه :- " لكن ساعديني لأفعل هذا "

تساقطت دمعة فأخرى ..فأخرى بدأت تبكي بخفوت ,بخفوت أول الأمر ليتعالى صوت بكائها رويدا رويدا ليمزق أضلعه ..ضلع ..ضلع ونبضة

..نبضة أراد احتضانها بشدة ليزرعها بأقصى أضلعه .. يريد احتضانها ودسها خلف أضلعه لتهدأ روحها هناك .. يكره بكاءها .. فيضان من الوجع ينحر روحه .. لمعت عيناه .. يجب أن تتخذ قرارها .. ويجب أن يكون قرارها بالإيجاب .. لن يسمح لها بغير ذلك .. نهض ببطء ، وهو يقول في محاولة أخيرة :- " أدرك صدمتك وتشوشك .. أدرك كل ذلك ,لكن ثقي أن ما أطلبه هو لمصلحتك أنت أولا وقبل أي شيء .."

أعطاها ظهره قائلا بهدوء لا يعبر عما يجيش بداخله أبدا :- " في انتظار قرارك "

اتجه للخارج بثقة وقوة لا تكشف عن عذابه الداخلي وصل للباب حين أتته همستها الناعمة :- " أريد آسر .."

رفع رأسه بصمت وهو يقبض بيده علي الباب الخشبي :- " سيكون عندك اليوم .. لكنني في انتظار قرارك مهما كان "

خرج صافقا الباب بقوة لم يستطع السيطرة عليها ويداه ترتعش من تلك التيارات اللعينة التي تنحر أوردته ؛ تيارات تموج بجسده ، تتناول كل خلية في جسده على حدة لتوغل في وجعه ماعادت .. تلك الطفلة المبتسم لها بذكريات بل أصبحت امرأة محملة بالآهات بخطوات واسعة قاربت للتعثر ألما وصل حتى النافذة الضخمة المطلة على القاهرة الشامخة فتح النافذة يأخذ نفسا عميقا ،سحب الهواء لصدره ثم زفره كرر العملية عدة مرات يحاول أن يهدأ فقد فعل كل ما يستطيع فعله .. طرأت بباله محاولة أخيرة لمعت عيناه بإصرار فلقد طلبت آسر إذن فليأت لها آسر

*****

ابتعد آسر عنها خطوة بعدما رمى كلمته المدمرة لها .. لم يكن هناك وقت لتفكر لكنها أدركت وجوب حماية والدها من مزيد من الألم، مدت يدها بتهور تشد قبضة آسر القوية الدافئة، توقفه عما أراد أن يفعل ؛ تكهرب جسده للمستها وشيء آخر أشاع الاضطراب بروحه حين التفت ينظر إليها، وهو يرى تلك النظرة في عينيها مستعدة لفعل أي شيء وتقبل أي شيء .. إلا أذية والدها .. !! شعر بالغيرة .. بالغيرة اللامنطقية من والدها .. من يكون ذلك الرجل الذي تحبه تلك القاهرة لذلك الحد .. همس به صوت خافت ..إنه والدها ..لكن مشاعره لم تساعده في تلك اللحظه لتبرير رد فعله العنيف هذا .. تجاه حبها لوالدها رفع حاجبه بصمت وانتظار وشراسة لتأتي همستها الأجشة، وهي تقول وعيناها تلمعان :- " موافقة ,موافقة على ما تريد أرجوك .. إلا أبي "

للأسف لم يشعر بالانتصار فقط بالغيرة ,تنهد كل مرة يقابلها يحصل شيء...وهي أوهو..في مرحلة هجوم على الثاني..! إلا تلك المرة .. فهي تطلب منه العون .. !! حاول أن يتحكم في نبرة صوته لكنه لم يستطع فأومأ لها بصمت ،وهو يلتفت على صوت والدها المتوتر الأجش وهو يسأل :-" ماذا تفعلان هنا ...؟!! "

حاولت قاهرة سحب يدها من آسر والتقدم من والدها .. إلا أن آسر منعها بضغطة على يدها الرقيقة بين أصابعه الفولاذية بقوة .. فهمست قاهرة بحنين :- " أبي "

أشاح والدها بوجهه ،وهو يقول بشموخ أخفى ألمه :-" اخرجا من منزلي .. فأنتما غير مرحب بكما هنا "

شهقت قاهرة ولمعت عيناها بالدموع .. ألجمتها كلماته الموجعة لصدرها.. لتهمس برجاء :-" أبي أرجوك "

تقدم آسر وهو يضع ذراعه على كتف قاهرة بحماية .. ودعم مزيف تقززت منه وحاولت الابتعاد عنه إلا أنه منعها بقبضته الفولاذية .. قائلا بهدوء :-" سيد أحمد .. أعلم أنك غاضب وبشدة .. ويحق لك ذلك "

أخذ نفسا عميقا وهو ينظر له يدرس رد فعله :- " لكن إن كان هناك من أخطأ فهو أنا .. أما قاهرة .."

اشتدت لهجته وإن كانت لاتزال مشبعة بالاحترام :- " فأنا لا أسمح لأحد بإهانتها أو جرحها "

آلمتها كلماته الموجعة لصدرها والمدافعة بنفس الوقت عنها .. انخفض رأسها بألم ليختبئ وجهها الساحر خلف غيمة من العقيق الأسود .. كيف يجتمع الضد؟كيف يجتمع الوجع ومحبة ذلك الوجع..! ارتفعت عينا السليماني لتقابل عيني آسر ينظر فيهما يبحث عن شيء ما بحكمة .. !! فقابلتهما عينا آسر الرماديتان بعزم وقوة وتصميم وحماية لتلك القاهرة أكمل آسر حين رأى والدها صامتا :- " قاهرة يستحيل أن تفعل ما يؤذيك ويجرحك وأنت أدرى بذلك "

همس والدها والغصة تملؤه :- " لكنها فعلت "

هزت قاهرة رأسها برفض دون قدرة على الكلام ،وهي ترى الألم يتجلى بعيني والدها حيا موجعا ،لكن آسر كان هو من تكلم قائلا :-" كلا لم تفعل ربما أخطأت ,لكنها لم تفعل ما هو خاطئ "

نظر السليماني له باستغراب وحيرة كانت إجابته محيرة .." ربما أخطأت لكنها لم تفعل ما هو خاطئ "

لانت نبرة آسر وهو يستخدم كلمات قاهرة نفسها وإن أصبغ عليها كذبة أو اثنتين لأداء الغرض منهما :- " كما ترى سيدي .. أنا وقاهرة نحب بعضنا .. "

ألقى قنبلته بهدوء وثبات :- " لكننا لم نتزوج ...!! "

ظهرت الصدمة على وجه السليماني ،وشحب وجه قاهرة وحاولت الإفلات منه إلا أن قبضته اشتدت على كتفها تؤلمها وتأمرها بالثبات، وهو يكمل بنفس النبرة الهادئة :-

" لم نتزوج .. لكنها اضطرت للكذب في المستشفي لأنني كنت في حالة حرجة، ولم يكن هناك أحد من أهلي للموافقة على إجراء جراحة عاجلة لإنقاذ حياتي وبعدها... "

صمت بأسى مفتعل .. فكرت قاهرة أنه يستحق عليه الأوسكار لبراعة تمثيله :- " اضطرت إلى الاستمرار في تلك الكذبة .. لأن قلبها لم يطاوعها على تركي في الغيبوبة "

أجاب والدها دون إرادة منه جعلت آسر يتنهد بارتياح خفي فقد انطلى عليه الكلام :- " لم أكن لأمنعها عنك إن أخبرتني .. وإن كان غرضك شريفا "

ابتسم آسر بهدوء وهو يشعر بالنصر فقد بدأ يكسب أول معركة له تجاهها :- " أعلم سيدي .. وأخبرتها هذا ، لكن ما حدث كان بالغ السرعة، ولم يعطها وقتا لتفكر و... "

ازدادت ابتسامته قوة وحبا .. وتمثيلا :- " وأنا أحمد ربي كل يوم على أنه أكرمني بحب ابنة كابنتك .. عذرا إن كنت وقحا أو جريئا .. لكنني أحبها ..

وقد أتيت اليوم للاعتذار لك .. لسوء الفهم الذي حدث .. ولأتقدم رسميا لخطبتها كما تقتضي الأصول .. "

كانت قاهرة مذهولة ببراعته ونـذالته و تلاعبه .. حين أرادت هي التفوه بالحقيقة ..أخافها منها والآن حين خرجت من شفتيه ككذبة بدت منطقية للغاية، وحازت على قبول والدها كما تظن..لم تكن متأكدة، لكن من طريقة تساؤل والدها أدركت أنه على وشك القبول بما قاله آسر .. طغى الصمت لدقيقة أو اثنتان أو أكثر حتى أتى صوت والدها حنونا قويا شامخا كما اعتادته ينادي لها :-"قـاهرة"

رفعت عينيها بلهفة وحزن وهي تبتعد عن آسر بسرعة لتلقي بنفسها بين أحضان والدها المفتوحة لها و... بكـت بكـت لم تعبأ بأن آسر يشاهدها تبكي ..لكنها اشتـاقت لوالدها اشتاقت لأحضانه ..وحنانه وتفهمـه، همست بين أحضانه حين ضمها إليه بحب :- " أنا آسـفة أبي "

وقف آسر مذهولا أمام تلك الدموع .. يشعر بشيء ينحـر أوردته حين يرى تلك الأهداب ندية يشعر بالحيرة لمشاعره تجاهها يريد الانتقام منها, يبغضها و لايريدها أن تصغر في أعين الجميع؛ وإن حاك الأكاذيب من أجل أن تخرج بأقل الخسائر تغيرت ملامحه لأخرى حاول أن يكتم الفضول الذي تسرب من صدره ، شيء ما يجذبه نحوها فضول يود استكشافه يحيط بها.. فضول ..!!! غيمة مرت بعينيه الرماديتين .. حين أدرك أنـه يريـدها .. !!

يقول شكسبير:

تحبني أو تكرهني جميعها مفضلة لديّ

إذا كنت تحبني سأكون دائما في قلبك ♥ وإذا كنت تكرهني سأكون دائما على بالك..!

*****

ارتفع هاتف آسر بالرنين ..تجاهله أول الأمر فهو لازال مسحورا بذلك المشهد لقاهرة في أحضان والدها ؛لكنه اضطر أن يجيب حين اتضح له إلحاح المتصل رفع الهاتف لأذنه بشيء من نفاذ الصبر ،وهو ينأى بعيدا عن ذلك المشهد الآسر تكلم بهدوء وصوت خفيض :-" نعم "

" آسر تعال حالا ..! "

صدم آسر وهو يتعرف علي صوت نادر .. كيف له أن ينسى القنبلة التي ألقاها نادر في وجهه منذ قليل ..! يا الله يبدو كما لو أن دهرا مر وليس بضعة ساعات فقط نظر آسر بغموض لتلك القاهرة التي أخذت تبتسم ،وهي تكفكف دمعها بقميص والدها بطفولية سحرته ليجيب بغصة لا يدري مصدرها :-" حسنا إعطنى نصف ساعة وأكون عندك.."

أتى صوت نادر بهدوء :-" آسر أحتاج مساعدتك .."

لم يكن لدي آسر وقت للتفكير ..فحين يطلب نادر مساعدته فهذا يدل على أنه شيء مهول فكر بقلق وهو شيء يتعلق بأخته ..هدى .. يبدو أنه أهمل أختيه كثيرا ..لم يشفع لنفسه إن كان هذا دون إرادة منه .. ضغط على الهاتف بقهر، وهو يقول بصوت قاطع :-" أنا في طريقى إليك "

هم بإغلاق الهاتف حين سأله آسر بسرعة :-" نادر..في المكان المعتاد..؟! "

" نعم "

تردد آسرعلى غير العادة :- " هـدى معك "

صمت نادر لوهلة ارتفع بها نبض آسر بقلق لكن نادر أجابه بهدوء وعزم :- " نعم "

فقط تلك الكلمة القاطعة كعادته تنهد آسر، وهو يقول بقلق لم يستطع إخفاءه :- " أنا في طريقى إليك "

أغلق الهاتف، وهو يتجه للسليمانى ونظراته لا تفارق تلك التى عاد إليها رونقها ولمعت عيناها ببريق القوة الذي يعرفه ..شيء بنبضه اختل للحظة، وهو يشعر بسرور خفي لكبريائها .. مشاعره كانت تحيره بشدة وقسوة تنهد وهو يرى نظرة السليمانى المتسائلة له اقترب منهما بخطوات هادئة متحفزة جعلت قاهرة تتوتر ..وهي تلتصق بأضلع والدها بدون شعور حين أتى صوته الهادئ :- " عمي .."

رفع السليمانى حاجبه استجابة للنداء بقليل من استنكار وشموخ ،فقال آسر بقلب بدأ يشعر به مثقل بالهموم :- " أتسمح لى بمناداتك عمى "

خفض السليماني عينيه لقاهرة التي ترفض أن تبتعد عنه أو ترفع بصرها لذلك الآسر الذي سبب لها اضطرابا لا مبرر بنبضات قلبها لتلك النبرة التي تحدث بها .. تشعر أن هناك شيئا ما علي غير مايرام .. قلبها يشعر بهذا ..وبخت نفسها ..أيتها الحمقاء .. انتفض قلبك لنبرة صوته بينما هو ....توقف تفكيرها حين أومأ له السليمانى، وهو لا زال يشعر ببعض التحفز بشأنه رغم كل المبررات التي ساقها ورغم منطقية أغلبها إلا أنه لم يكن ساذجا ليدرك أن هناك شيئا ما لا زال يخفي عليه ، أكمل آسر وعيناه مع تلك المتشاغلة عنه بزر قميص والدها وهي تختبئ أكثر وأكثر بضلع والدها ..التوت شفتاه ببسمة ..فأين قد تختبئ منه بعد..؟

قال بهدوء :- " أنا مضطر للمغادرة ..لكننى سأعود ليلا إذا سمحت لي .. هناك الكثير أريد قوله .. وأيضا للاتفاق على ميعاد الزفاف وخلافه "

ارتفعت عيناها له بصدمة .. جابهها بسخرية وتحدٍ غضت بصرها بقلق في حين أوما السليمانى بالموافقة :- " حسنا نحن في انتظارك .."

وشدد علي بقية جملته :- " أنت والعائلة علي العشاء "

توترت نظرات آسر لكن لم يهتز له رمش وهو يجيب :- " بالطبـع "

نظر لقاهرة ثم للسليماني ليقول بود يخفي خلفه إرادة حديدية :- " عمي ..هل تأذن لي بالبقاءَ قليلا مع قاهرة "

حين رأى الاعتراض على وجهه قال بسرعة :- " فقط خمس دقائق "

نظر السليمانى له برفض إلا أنه تنهد بحكمة وهو يجيب :- " فقط خمس دقائق آسر "

أومأ آسر بهدوء ،والسليمانى يبتعد عن قاهرة المتشبثة به بطفولية ليخرج ..عم الصمت المكان .. كان يشعر بالتعب والقلق يشعر بمزيج مخيف من المشاعر لا يستطيع تركها بعيدا عنه .. !!! أيا كانت أسبابه ومبرراته انتقام ..عناد ..رغبة فليكن..! ستبقى معه ..إلى أن يمل منها ..يشك كثيرا أن يمل ،لكن سخر من نفسه وصمت لن يحاول اليوم دونا عن كل الأيام تحليل تناقضاته ..! فهو يشعر بالإنهاك ..والتعب .. ناداها بصوت هادئ جعلها ترفع رأسها بتوجس التقت العينان لتقطب حاجبها باستغراب ..يبدو حارت بإيجاد التعبير الملائم ..يبدو .. !! يبدو هادئا مسالما على غير العادة حزينا قليلا ..ارقت ملامحها بلهفة مؤلمة إلا أنها حين تذكرت تهديده لها .. وابتزازه ..لمعت عيناها بالنفور منه التوت

شفتاه بسخرية ..فهو يدرك أنها تبغضه ..وربما بعد اليوم فاق بغضها له أضعافا مضاعفة نغزه قلبه بإحساس مجهول .. تجاهله .. قال بصوت صارم يحمل التهديد بين طياته :- " مضطر للمغادرة لكنني لا أريد لك أن تنسي اتفاقنا .. فمازال بإمكاني بكلمة أو اثنتين أن أدمر والدك وسمعته وحبه لك "

اقترب منها بشكل خطر ،وهي تحدق بعينيه بثبات وحقد..لفحت أنفاسه وجهها وهو يهمس بهدوء أشد وقعا من عاصفة:- " تذكرى هذا جيدا "

لمع الكره بالعينين العقيقتين وهي تنطق بنفس الهمس :- " حقير "

كان يوشك على المغادرة حين أتته همستها .. فعاد لها بخطواته الفارعة بغفلة منها..! و تيقظ دائم منه..! ليحكم قبضته على أناملها.. فتتألم بشدة.. ليقول بتهكم :- " لا تستفزيني صغيرتي ..فأنت بحاجة لدهور لمجرد مجاراتى إن أردت تحطيمك "

رفع أناملها له.. وهو يضغط عليهم بقسوة ..يريد ترك أثرا دائما بها حتى لا تنسى أنه مر بحياتها يوما ..كانت تخرج أسوأ ما به وأجمل ما به ..تثير غيظه وحنقه همست قاهرة بألم :- " اترك أصابعى ستكسرها .."

رفع أناملها حتى وصلت لشفتيه .. قبلها ...وبنبرة هادئة لكن مشتعلة أكمل وعيناه بعينيها :- " حاولي إهانتى مرة أخرى بهذا الشكل وسترين ما سأفعل ..! "

من ثم تركها وخرج.

*****

تنهدت بعمق وهي تستنشق رائحة الريحان التي ملأت الغرفة .. تنهدت بصبر كعادتها ..تبحث عن أنفاسها .. لم تدر ما دفعها لدخول غرفته ..؟!! لكنه شيء أقوى منها .. مر الشتاء .. وأتى الربيع .. وهو لم يعد بعد ..؟!! لاتستطيع أن تنسى ذلك اليوم .. مر عليه شهر ..!! عينيه .. تلك الغابة السوداء .. كان بها غموض .. وأشياء أخرى لم تفهمها !! كانت الحجرة صامتة ساكنة .. يغمرها الظلام سوى من شعاع ضوء يأتي من أسفل الباب ..لكنها كانت تشعر بإحساس غريب أنها مألوفة لها .. مألوفة لها رائحتها ..عبق أنفاسه بها .. منفضة بها بقايا رماد وعقب سيجارة محترقة .. ذلك السرير الصغير نسبيا .. الطاولة بجواره المرصوفة كتب .. زجاجة مياه وحذاء عالي الرقبة ملقى بإهمال بجوار الباب ..غرفة رجولية بحتة ..لا شيء فيها يشير للمسة أنثوية .. تقدمت بوجل تجلس علي السرير .. ويدها تتلمسان الغطاء الصوفي بدفء ولاوعي .. ليخالطها إحساس غريب .. كأنها تنتهك شيئا ما ... كأنها تأثم .. رفعت يدها ببطء ورجفة ..تعيد خصلة شعر وهمية للخلف .. نظرت للأباجورة الصغيرة بجوارها .. ومدت يدها بشرود تنيرها .. تأملت عينها الغرفة بحنين لشيء مجهول .. , ياالله..! كيف لهذا الحنين أن يصمت.. ولدقات القلب أن تهدأ.. باتت بين حين وآخر .. كقرع طبول..هي دقاته .. حتماً..سيسمعها..! من ينصت ..!! لم دخلت غرفته .. لم ..؟!! سؤال كان يطالبها بإجابة لم تكن تملكها ..لم ..؟!! دوما تشعر بذلك الاندفاع الغامض له ..والحنين .. رحل .. كما علمت من نائل ..رحل .. كما أخبرها .. رحل ولن يعود ..!! استشاطت غضبا منه ..كيف ..؟!! كيف له أن يرحل ..؟!! كيف له أن يترك أمه وأخواته .. كيف له أن يتركها ..؟!! انتفضت بعنف .. ماذا ..؟! كلا .. كلا من تكون هي ليتركها .. ؟! بل من يكون هو ليتركها ..؟!! نهضت من مكانها فجأة بذعر وهي تتجه للخروج من الغرفه قبل أن تفطن لها ريم إلا أن بصرها وقع على مفكرته السوداء .. وانتابها الفضول .. كعادتها تجاهه .. لمستها

بشيء من التردد والفضول تجولت أصابعها عليها بارتعاشة قلب .. لتبتعد أصابعها بذعر كأنها كانت تلامسه هو ..! وجف قلبها..وجف ..تلامسه هو ..تلامس وجهه وعينيه ذقنه النامية .. وشعره الحالك السواد .. تتوه عيناها بملامحه القاسية ..الغامضة ... مدت يدها مرة أخرى لا شعوريا تختطف المفكرة .. بلهفة .. لتعود للجلوس علي السرير الوثير تغوص بين حنايا الريحان .. تنهل منها .. وهي تفتح الصفحات البيضاء بعمق بفضول .. بأسى .. كأنها تدخل إلى عالمه السري الغامض الذي أحاط نفسه به بعيدا عنها .. كانت أولى الصفحات بيضاء لا اسم هناك مكتوب .. ولا شيء يدل علي صاحبها .. فقط تلك الجملة

" منَ المُؤلمِ أن نمضي كثيرا من الوقتِ في محاولة فهمِ الآخر، في الوقتِ الذي ننسى فيه فهم أنفسنا.! "

ابتسمت بشجن .. حتي مفكرته غامضة مثله .. ترفض أن تكون صريحة .. أو واضحة .. أو بسيطة كصاحبها أصابتها قشعريرة .. تركت المفكرة كالملسوعة وهربت خارجة من الغرفة وهي تدفع بشعرها للخلف .. بتوتر .. ليقابلها نائل المبتسم بود وألفه لها ..قائلا :- " آه ..أين كنت ..فقد بحثت عنك في كل مكان .. "

لم تجبه سوى بإطراق رأسها بارتباك ..تفكر في شيء ما لقوله .. لكنه صرف نظر عن السؤال بخلو بال قائلا :- " هيا بنا لقد إعدت ريم السفرة"

ابتسمت بارتباك وهي تتجه معه لغرفة المعيشة متمتمة بعذر ما ...كانت صداقتها لريم ..قد تعمقت كثيرا وقرب نائل منها زاد كثيراً.. خاصة بعد رحيل محمود ..إذ أصبح نائل أكثر تواجدا بالمنزل بحكم تواجد ريم بمفردها أغلب الوقت ..فكان نائل يخرج ويعود في أوقات معروفة .. لا

يتعدى السهر خارجاً التاسعة مساءا وأغلب الأوقات كان يعود ليجد شادن تذاكر مع ريم ..كان يوليها الكثير من الاهتمام والعناية .. وكانت شادن فرحة بذلك للغاية .. حاولت أن تطرد الجنون اللحظي الذي سيطر عليها منذ قليل ودفعها لاقتحام عرين الأسد ..لم تعِ سوى على صرخة ريم بحبور :-" محمـــود "

شحب وجهها وانتفضت ووجف قلبها كأنها ضبطت متلبسة بجرم ما ..؟ لم لم تنتبه للريحان الذي طغى على المكان ..؟!! نهض نائل مرحبا بينما .. هى لم تستطع السيطرة على ركبتيها المرتجفتين أخذت تهمس لنفسها ما بك يا حمقاء ..! انهضى يا حمقاء..! لكن لم تجد في نفسها القدرة على النهوض أو رفع رأسها حتى .. صمت ..طغي الصمت على المكان بتوتر بعد زوبعة التحايا بينه وبين أخوته..! ما اضطرها لرفع بصرها للأعلى..ليس للأعلى كثيرا فقط لترى تلك القامة المديدة المتشحة بالسواد ، أين ذهب كل من ريم ونائل ..ألم يكونا هنا منذ قليل ..!! هل تاهت أفكارها بحيث لم تدر متي غادرا الغرفة، كأن القدر يأبى إلا أن ينفردا ..على غير رغبة منهما ..! لم تسمح لعينيها بالتجول علي ملامحه..بل تعدته تبحث عن نائل أو ريم ..! لكنها لم تجدهما أصغت السمع إلى هرجهما بالمطبخ ..يجب أن تقول شيئا ..يجب أن تنهض ..أن ترحب به ..لكنها لم تفعل .. فقط ظلت صامتة أتى صوته بالصمت المطبق :-" كيف حالك شادن ..؟!"

يا الله كم افتقدت تلك النبرة .. مضطرة أن تنظر لعينيه، ابتسمت وعيناها تتوهان بملامح وجهه دون تركيز ترفض اصطدام نظراتهما لا تدرى لم ..؟!! همست بصوت أبح :-" بخير"

بدا أنه استقر علي المقعد العريض أمامها عادت ريم لتتعلق بعنقه كطفلة صغيرة عاد أبيها بعد طول سفر .. عاد نائل أيضا ..وهو ينظر

لشادن بتعبير غريب في عينيه .. لكنها لم تكن تعى نظراته .. عاد الحديث إلى طبيعته .. لكنها كانت تشعر بعزلة عنهم .. طنين بأذنها ..طنين لا تميز منه سوى إجاباته المختصرة المقتضبة التي يلقيها على ريم .. بينما خرج نائل بسرعة استجابة لطلب محمود لجلب شيء ما من الخارج ، بضع دقائق أو ساعات أو ثوان لاتدرى عددها .. ونهضت ريم هي الأخرى لجلب شيء ما لا تدري أيضا ماهو ..!! صمت وهدوء ..يطغى علي المكان سوى من أنفاس هادئة .. وفجأة انطفأت الأنوار .. انتفضت ببطء حين أتى صوت ريم من المطبخ :-" يبدو أن الكهرباء انقطعت عن المنطقة كلها..!! "

كان هناك شيء ما خاطئ في صوت ريم ..رنة خبيثة مرحة لم تعيرها انتباها .. ! عاودت الجلوس بمقعدها بينما لم تبدر أى حركة من ذلك الساكن أمامها .. كان يصلها صوت ريم وهي تدندن بالمطبخ أغنية ما .. مالت للخلف بهدوء تريح رأسها مغمضة عينيها بحزن ، اليوم عيد ميلادها، دمعة طفرت من عينيها بأسي على حالها بدأ صوت ريم يخفت ..والهدوء والسكينة يطغيان على حواسها ..رائحة الريحان جعلتها تبتسم بسمة بسيطة ..يبدو أنها أدمنت الريحان ..طغى الصمت مرة أخرى .. صوت اشتعال عود كبريت .. جعلها تنتفض لترفع عينيها فجأة لتؤسر داخل الغابة المظلمة المسماة عينيه.. بدا كأن سحرا ما لفهما ..وعود الكبريت استحال إلى رماد ليسقط عند قدميه بلامبالاة..الأنفاس ضاقت ..اختفت ..هربت منها .. نهض ببطء .. ليقترب منها فنهضت بتوتر .. بدا على وجهه التعب .. الظلال السوداء دائما تحيط عينيه .. لكن بهاء بريقهما يطغى على أي شيء وكل شيء، توقف على بعد خطوة منها ..أسير لشيء ما ..نظر لشعرها الذي عاد لطبيعته الثائرة .. والتوت شفتاه بابتسامة غريبة جعلتها تنسى نبضات قلبها ودقاته.. شعرت بدفء أنفاسه يبعثر غرتها عن جبينها .. ووجهه يدنو أكثر .. دائرة من السحر تلفّهما ..

لتنظر إليه فاقدة القدرة على النطق .. و كأن الهواء قد ولّى هاربا .. تاركا لها أنفاسه .. لتستنشقها بذهول وجوده ..! صوته كان أجشّا و عيناه تلمعان .. فيما همس :- " اشتقت لك ..؟! "

******

..الحزن..

هو أن تجبرني الصدمات على الصمت...فأصمت ...ويبقى الألم ينهش ما تبقى من روحي المعلقة !!

وصل آسر بعدما تخطى الحرس المحاطين لبيت عائلته القديم والذي أصر نادر علي شرائه .. حين عرضه والده للبيع بحجة عدم الحاجة إليه بعدما انتقلا لفيلا أحدث ..كان يدرك سبب تعلق نادر بذلك البيت وفي أعماقه شكره لأنه هو من اشتراه وأبقى عليه ..ذلك البيت هو المكان الوحيد الذي كان يشعر فيه بعبق العائلة الذي ضاع مع وفاة والدته وزواج هـدى ، طرق الباب ليفتح بعد ثاني طرقة، وقف الصديقان ينظر كل منهما للآخر نظرات تحمل الكثير .. تعانق الصديقان بود وحب وجدية، قال آسر بجدية وقلق :- " أين هى ماذا حدث ..؟! "

لم يكن هناك الكثير من الأسرار بينهما أجاب نادر بهدوء :- " نـائمة "

توترت نظرة آسر بقلق واستغراب ،إنه يثق في نادر بروحه لكن ما يحدث حوله أكبر من استيعابه هتف أسر بحدة وتساؤل :- " نـادر..؟! "

خفض نادر رأسه بهم لوهلة فقط .. لترتفع عيناه بثقة وإصرار وهو يقول له :- " تعال معى .. هناك الكثير الذي تحتاج لمعرفته "

وجف قلب آسر .. نبرة نادر لا تبشر بالخير أبدا .. توجها لحجرة المكتب بهدوء، صب له نادر فنجان قهوة فورية، وهو يجلس بجواره نظر لعينيه وهو يتحدث بهدوء ولهجة قاطعة :- " آسر أريد منك أن تقنع هدى بالزواج مني "

انفعل آسر بضيق :- " نادر .. أجننت يا رجل أنت تعلم أنها على ذمة رجل ثانٍ "

قال نادر بكلمات قاطعة :-" لم تعد "

همس بذهول :- " ماذا..؟؟ متى ...كيف ..؟؟

بدأ الحديث بهدوء وثقل .. :- وأنت بالمستشفي أثناء غيبوبتك .. "

انفعل نادر بغضب وهو يسأل بإصرار :- لمَ .. لمَ آسر لمَ أخبرتني أنها سعيدة ..؟! لمَ حين سألتك عنها أخبرتني أنها سعيدة ..؟! مروان الوغد كان يضربها "

ارتعش آسر والصدمة تتجلى على وجهه بينما همس بشحوب :- ماذا ..؟هي لم تقل شيئا أبدا .. أنت تعلم مثلي أنني لم أفهم أبدا سر زواجها منه .. تعلم أنني غضبت وثرت .. وتركت المنزل .. لكنني في النهاية وصلت لقناعة أنه اختيارها الشخصي فصمت "

شحب وجه نادر عند سماعه ذلك ، شدد من قبضته علي مسند المقعد يخفي غضبه وحزنه .. اختارت مروان وتركته .. كيف تفعل ذلك كيف ..؟!! سأل آسر بصوت متحشرج أجش من قوة الغضب والأسى والحزن والقهر :- أتدرك أنها لا تتذكرني ..؟!

تلون صوت نادر بالمرارة وهو يكمل :- لا تعرف من أنا ..؟!

شحب وجه آسر بذهول وهو يهمس :- كيف ؟؟

أجاب نادر بواقعية :- فقدان ذاكرة انتقائي نتيجة لصدمة نفسية شديدة

كانت الصدمات تتوالي على آسر الذي قال بعدم استيعاب :- ماذا .. فقدان ذاكرة انتقائي ..!

كانت النظرة على وجه نادر تخبره أن الموضوع لازال يحمل بجعبته أكثر من هذا .. همس بتحشرج " أين هى ..؟ "

قال نادر بهدوء :- في الأعلى

نهض آسر يصعد الدرج درجتين درجتين بسرعة قصوى .. حتى وصل لغرفتها.. توقف قليلا بتردد .. أخيرا تجرأ ومد يدا ترتعش ليفتح الباب بهدوء ، كانت نائمة بكل براءة ووداعة علي السرير .. وجهها يبدو ذابلا وشعرها منتثر حول وجهها ..طفرت دمعة من عينيه .. وهو يتقدم للداخل وقف نادر علي الباب لوهلة بسيطة بعدما لحق بآسر وحين اقترب آسر من السرير أغلق الباب خلفه بهدوء وأسى انحنى بجوار سريرها عند يديها يقبلها ، أختـه منذ متى وهي تعاني مع ذلك المخبول ..؟!منذ متى ..؟!ادعا بصمت وقهر فليسامحك الله يا أبي ..لم يجرؤ بالدعوة عليه ..فدعا له بحرقـة فليسامحه الله على ما فعل بهم ..! حـــزن لا يستطيع الفكاك منه.

منذ متى وهي تعانى ..؟ أسند رأسه بألم والصداع يجتاحه بقوة، عيناه تؤلمه بقسوة، وكل ذلك الضغط العصبي يؤثر عليه..أغمض عينيه يضغط بجبهته على يدها بألم وقهر، فتحت عينيها على ذلك الجالس علي ركبتيه عند يدها ..لتطفر عيناها بالدموع في صمت حتى شعرت أنها على وشك الاختناق فشهقت بألم لم تعد تستطيع كبحه لينهض جاذبا إياها إلي أحضانه

آااااااااه

نطق بها لسانه ..بعدما مرت علي قلبه المشتعل لتفتته ..نار بصدره ..نار تشب بين أضلعه ..لا يعلم السبيل لإطفائها " آااااااااه يا هدى "

أخذ بكاؤها يتعالى للوجـع بصوته دفنت وجهها في صدره وهى تصرخ بكل الألم الذى اختزنته سنين عمرها كله غرس آسر رأسها في صدره أكثر، والدموع تملأعينيه وهو يقسم بوحشية :- " أقسم لك ..أقسم أن أفنيه بيدي هاتين أقسم "

ازداد نشيجها وبكاؤها ..حتى وصل لذلك المتوتر خارج الغرفة .. كان قلقه عليها يعبث بأوردته ..أراد إخراج آسر من عندها ..أراد أن يكون هو من يحتضنها .. من يواسيها ..من يتشرب جسده دموعها .. لكنه وقف بدون حيلة خارجا ..! قبل أن يتنهد ويبتعد ليترك لهما الخلوة التي يحتاجان إليها ,احتضنها آسر بشدة ليدفنها في أقصى أضلعه وزاد بكاؤها .. لو تحكى له .. فقط لو تخبره .. بكل نبضة وجع عانت منه بكل ونة ألـم مرت بها.. بكل..! توقفت عن التفكير بألمها فلن تكفي مفردات اللغة لتعبر له عن ألمها ووجعها مهانتها وحزنها ، ربت بيده علي شعرها وهو يقول بصوت أجش يحاول أن يداري غضبه عنها ..وتوتره ..و رغبته في القتل ..حتي لا يخيفها :- " احكي لي .. أريد أن أعرف كل شيء .."

خانه صوته .. وهو يكمل بقسوة :- " كل شيء يا هدى .. لا تخفى عنى شيئا..!"

هزت رأسها بالرفض وهي تخفى وجهها بصدره أكثر وأكثر ماذا تحكي له !! تحكي لـه عن اغتصابها ..عن هوانها وذلها.. عن سجنها وحبسها وتعذيبها عن ...صمـــتت إلا أنه رفـع رأسها لـه .. ثبت عينيه بعينيها وهو يقول لها

بصرامة حنونة :- " لاسبيل أمامك للرفض يجب أن أعلم كل شيء ,كل شيء وأهم شيء كيف ..كيف وافقتي من البداية على الزواج منه ..؟! "

شدد على حروفه وهو يضغط بدون شعور على وجهها بين أنامله :- " منذ البداية هدى .."

عاودت البكاء وهي تبعد عينيها عن عينيه..ماذا تخبره ؟!شدت علي قميصه..وهي تهمس بوجع :- " لا أستطيع ..آسر لا تجبرني أرجوك .."

بدأت تعاودها الهستيريا و صوتها يعلو :- " لا أستطيع ..! "

همس بثقة وعيناه تلمعان بقطرات علقت بأهدابه ترفض الهبوط :- " أدرك أن والدي أجبرك ..لكن كيف ..؟!

هدى أقسم إن لم تخبريني لن أكون مسئولا عن تصرفاتي .. سأخرج من هنا لأقتـلـه "

شهقت وهي تنظر له بفزع كل ما حدث لها .. كل ما تحملته كان حتى لا يصل آسر لتلك النقطة كل ذلك العذاب مستعدة لتحمله أضعاف مضاعفة وآسر يظل بخير شدت علي قميصه بفزع وهي تصرخ بهستيريا :- " كلا .. كلا أرجوك "

نفض يدها بشراسة عن قميصه وفكرة واحدة برأسه ألا وهى قتل ذلك الحقير مروان صرخ بتوتر:- " إذن إخبريني .."

أخذ بكاؤها يشتد وهي تصرخ دون وعى :- " بما يفيد إخبارك .. فما سأخبرك به لن يؤدى إلا لضياع مستقبلك "

صرخت بحرقة " لم أتحمل كل ما تحملت لتأتى أنت في النهاية وتصل لنفس الطريق الذي أردت إبعادك عنه ..تحملت كل ما فعلاه..هو وأب.."

صرخت وهي تقبض بيديها الصغيرتين علي موضع قلبها بألم :- " أتريدنى أن أخبرك ..؟!

لم تكن بوعيها .. وصلت لمرحلة الهذيان وآسر تسمر في مكانه .. " أتريدنى أن أخبرك .. "

صرخت مرة أخرى :- " أخبرك بماذا ..؟! أخبرك باغتصابه لى ،ذلك الذي لم يشفع لى عنده أنني ابنة عمه ..أخبرك عن أبي حين...

كانت الكلمات تخرج منها متقطعة لاهثة متألمة :- " عاد و.. و...جدنى ... بين الحياة ....و ... الموت وكان رد فعله .. آاااه ...رفض حتى أن يأخذني للمستشفى خوفاً من الفضيحة "

انخفض صوتها قليلا بإنهاك وإن لم تختف منه نبرة الهستيريا :-

" أخبرك أن أبي طلب مني أن أصمت .. وأقبل بتلك الزيجة ذات المنافع الكثيرة .. فأنا تدمرت على أية حال ، ومن الأفضل أن نستفيد مما حصل .. أخبرك بتهديده لي أنني سأكون السبب في تدمير مستقبلك إن علمت بما حدث لى ,أخبرك أن والدى أجبرني على الصمت..أن أمي ماتت قهرا على ابنتها ..بتعذيبه لي كل ليلة بهوسه .. بحبسي .. بخوفي حتى من الدمعة.. ومن الذكرى.. من الألـم أو السعادة من التعبير .. حتى لا يشعر هو أنني حية فيغتالني.. أخبرك بماذا ...؟!! آسـر"

وانهارت ببكاء عنيف ..تبكى ..حياتها..وأمها وأبيها تبكي ذكرى ما يؤلم قلبها أنها لا تتذكرها ..! الصمت كان سيد الموقف لكنه لم يدم كثيرا ..خرج من

الغرفة كالاعصار ..وقد طار كل تعقل كان لديه يوما ..لم يكن يرى أمامه من القهر والألم والحزن .. فتح الباب بعنف وهدف واحد أمامه أن يقتل مروان ، أسرعت خلفه بفزع تغالب دوارها لا تعي بمظهرها ..وهي ترتدي بيجامة ما وشعرها منتثر حول وجهها :- " آسر ... أرجوك "

وصلت له لتتشبث بيديه بأقصى ما تستطيع من قوة متهالكة تهتف برجاء حار:- " أخي ..لاأريدك أن تضيع مني ... أرجوك

لكن آسر كانت أذنه صماء ..نـــار تشب بصدره ...نار ستحرق الأخضر واليابس .. وقعت عيناها علي نادر ..الصامت ..رغم اسوداد وجهه ، وتلك النظرة المنطفئة في عينيه ..كما لو أن الشمس تحولت بهما إلى رماد .. نظرت له وهي تفكر بجنون

هــو

هو حاميها .. منقذها.. هو فقط من يستطيع دوما تحقيق المستحيل همست له برجاء وقلبها في عينيها :- " أرجوك ... أوقفه أرجـوك "

الفصل السادس

ذاكره من... رصاص

هناكَ جروحٌ كَقلم " الرصاص "

... نمحيها و كأنها لم تكنْ ..!

و هناك جروحٌ كَ " الرصاصْ"

تمحينا و كأننا لم نكنْ ....!!

صرخ نادر بآسر المندفع يحاول أن يوقفه بعدما وصل للسيارة :- " توقف أيها المتهور إلى أين تذهب ؟!!"

جذبه نادر ليوقفه، لكن آسر رفض النظر إليه وبداخله يشتعل ..فهتف نادر بحنق :- " أتظن أنك ستجده ينتظرك في بيته مثلا ..! "

دفع آسر يدي نادر القويتين ، وهو يصرخ بحقد وغضب يضرمان النيران بصدره :- " اتركني يجب أن أقتله .."

صرخ نادر وهو يقف أمامه بطوله الفارع ، والنيران تشتعل بشمس عينيه ،ونيران تشب بمعدته من شدة ما يحاول ادعاء الهدوء :- " كلا لن أتركك ..توقف "

أفلت منه آسر .. حاول نادر إمساكه مرة ثانية إلا أن آسر عاجله بلكمة قوية على فكه محملة بالغضب والقهر .. ذهل لها نادر للحظة لكنه تجاهلها ..فإن كان آسر يشعر بهذا الغضب والحزن ويريد تفريغه به فهو أهلا لها .. لكمه آسر لكمة أخري ببطنه دون وعي منه يفرغ غضبه وقهره بنادر الصامد الساكن المتلقي لضربات آسر بقوة جلد وصبر وحزن حتي خارت قواه تقريبا .. ليصرخ بحزن صرخة خرجت من أعماق روحه المجروحة .. وهو يتهاوى أرضا بضعف ويأس تنهد نادر بأسى لحاله وحال صديقه .. ظل صامتا لدقيقه .. ثم اقترب منه مطوقا يديه الاثلتين

بذراعيه الصلبتين ..حاول آسر دفع نادر بعيدا رافضا لتلك المواساة ..رافضا الاعتراف بضعفه ..وفشله لكنه لم يستطع بأي حال أخرى ، كان آسر لايستطيع الفكاك بسهولة، لكنه كان لا يزال يعاني الضعف الشديد بعد خروجه المبكر من المستشفى ما مكن نادر من السيطرة عليه بسهولة، همس نادر بصوته الأبح الأجش وقهر الكون يعتمل بكلماته :- " اهدأ آسرأقسم لك لأجعله يتمنى الموت كل لحظه يحيا بها على ما فعله بها ..!!".

دفعه آسر بعيدا عنه بغضب .. همس بفحيح قاسٍ :- " ومن تكون أنت!!"

طعنة أصابت نادر، محاولاته باءت باالفشل وهو يسرق هدوءه المعتاد..لتنفجر بغضب وهو يلكمه علي كتفه بعدما تهاوى إلى جواره مفترشا الأرض يسند ظهره بحزن إلى السيارة ممدا قدميه الطويلتين أمامه :- " تباً...عليك اللعنة..."

نظر له آسر بالم ..وهو يقول :- " عليَّ اللعنة فعلا ..بئس الأخ أنـا "

تنفس نادر بعمق يجبر أعصابه الثائرة على الهدوء وعقله على العمل قائلا بيقين ودون تردد " بل ونعم الأخ آسر إن كنت أنت نسيت فأنا لم ولن أنسى أبداً "

حارت النظرات بينهما لتنم عن نظرة مشتركة فهمها آسر دون كلمة ..كلا لم ولن ينسى وكيف له أن ينسى

ذلك العام غيرهما كثيرا ..كثيـراً

حين اعتقل آسر ومروان، وتم اقتيادهما للسجن ما بين تعذيب وترهيب .. ستة أشهر مرت علي آسر ومروان في عذاب .. حتى ذلك اليوم الذي

استطاع فيه نادر أخيرا من استغلال كل نفوذه ومعارفه بالمخابرات العامة لإخراجهما .. حاول إخراج مروان .. صدقاً حاول لكن التعليمات كانت واضحة .. يمكنك إنقاذ شخص واحد فقط

وبالطبع اختار نادر صديق عمره .. آسر

تلك الفتره غيرت آسر بشدة حتى وإن كان يرفض الاعتراف بهذا .. بعدها بفترة أفرج عن مروان، تقريبا بعد عام آخر ..كان مروان قد تغير ...بدا أن هناك شيئا ما تغير به لم يضع آسر يديه عليه أبدا .. بدا غريبا باردا أحيانا ..عنيفا ..شرسا أحيانا أخرى ..لام آسر نفسه بشدة ..لم يدرك أبدا حجم الأذى النفسي الذي تعرض له مروان في المعتقل .. لم يعرف ما به ..؟! ولم يسأل فحتى هو تغير بعد ذلك العام أصبح الماضي لا ينفك يطارده .. كما أدرك أنه لا غد بدون ماضي ولا حاضر بدون أمس ،وعليه اليوم تحمل تبعات ذلك الماضي بكل قسوته ، التفت لنادر وهو يتساءل بتشوش :- أتظن أنه ينتقم منا ..؟!

تحاشى نادرالنظر لعيني آسر فنفس التفكير كان يراوده منذ فترة فما فعله بهدى كانت الطريقة الوحيدة لينتقم بها من نادر وآسر

همس آسر بتوحش :- " يجب أن أجده نادر .. يجب أن أجده "

أومأ نادر بهدوء أصبح سمة ظاهرية له :- " لا تقلق سنجده."

أخذ نفسا عميقا وهو يربت علي كتف نادر الصامت كعادته قائلا :- " هيا بنا "

التفت إليه نادر بهدوء لا يظهر ما يجيش في أعماقه ولا معدته التي أصبحت تؤلمه بشكل غير طبيعي أكثر وأكثر :- " إلى أين ..؟ "

نهض آسر وهو يشعر ببعض الدوار، والصداع يفتك بعينيه :- " إلى الأعلى .. إلى هدى يجب أن أتحدث معها..؟! "

برقت عيناه بالتصميم هو يكمل :- " ثم لكل حديث بقية !! "

*****

" اشتقت لك ..؟! "

" سنة حلوة يا جميل ..سنة حلوة يا شادن ..سنة حلوة.. سنة حلوة.. سنة حلوة ياجميل"

تهادى صوت ريم ونائل بتلك الأغنية خلفهم في الظلام ليقطع أسر عينيها بين ظلال الغابة السوداء بعينيه .. انتفضت لتتراجع للخلف بذهول ،كانت وجنتاها تشتعلان حرارة ونظراته لا زالت تأسر عينيها .. رفعت يدها لوجنتيها بذهول عل برودة أصابعها تخفف من وهج وجنتيها الفاضح ..بسمة لاعبت طرف شفتيه .. وريم تحتضنها بحب مهنئة بعيد ميلادها قائلة بمرح :- " أظننت أننا نسينا عيد ميلادك صديقتي .."

همهمت بشيء ما وهي تخفي وجهها بكتف ريم المحتضنة إياها بحب .. بدأت الدموع تتساقط من عينيها ،وحمدت ربها أن لديها عذرا لذلك .. عيـد ميـلادها .

رفعت وجهها لريم التي تاهت نظرتها في عيني شادن بإدراك لطالما أخافها ..بدت ريم تشبه ذلك الغامض المتشح السواد ..بشدة .. إلتفتت تبتعد عنها بهمهمة، حاولت أن تكون مرحة .. التفتت لتجد نائل لازال يحمل قالب الحلوى ..وبسمة عريضة تزين وجهه الوسيم . .ما دعاها للابتسام فجأة .. لطالما كان نائل بوجهه المطمئن يدفعها للابتسام .. خرجت

ضحكتها متوترة مهزوزة مرتبكة سعيدة، وهي تهتف في أسى :- " قالب حلوى بالفروالة "

انطلقت ضاحكة تحاول السيطرة على مشاعرها وتحديد كنهها دون جدوى ..طوفان من مشاعر يجتاح داخلها كالإعصار ..طوفان من حيرة وتشوش وخوف ...نعم خـوف ..! رفعت أصبعها تلعقة بعدما غمسته بالكريمة والفروالة لتضحك مرة أخري بكثير من دموع في عينيها آاااه تصاعدت من قلبها لعينيها حين وقعت عينيها علي محمود .. كانت نظراته قد خفت حدتها بل عادت عادية وأضيئت الغابة في عينيه بأنوار قالب الحلوى .. رفعت طرف كمها كعادتها لتمسح الدموع العالقة بأهدابها في سعادة .. فريم ومحمود ونائل ..عوضاها عن ابتعاد أسرتها ..أعطوها الجو الأسري الذي حرمت منه منذ وفاة والدتها وهي سعيدة للغاية بأسرتها الجديدة ارتعشت شفتاها بأسى سعيـــدة للغاية ..!

هتفت بهم وقد بدأت الشموع تخفت معلنة بدء انتهاء رحلتها القصيرة بالحياة :- " هيا ..هيا بنا .. هيا لنأكل قالب الحلوى اللذيذ هذا .."

ابتسمت ريم بينما ضحك نائل، وهو يتقدم للطاولة المستديرة ..أخذت نفسا عميقا وهي تلتفت لمحمود قائلة بهدوء وابتسامة صادقة علي شفتيها :- " حمدا لله علي سلامتك "

عبر طيف ما بعينيه لكنه أومأ برأسه قائلا :- " كل عام وأنت بخير شادن"

*****

التفتت شادن لريم بعدما أنهيا غسيل الأطباق ، وهي تقول بهدوء لا يشف عما بداخلها :- " يجب أن أذهب فقد تأخر الوقت "

قالت ريم برجاء :- " فلتبقي هنا الليلة .. "

نظرت لها شادن برفض ..أمجنونة هي ..!! كيف لها هذا ..؟! هي تريد الهرب ..تريد تنظيم أفكارها ..وإدراك كنه مشاعرها ،هزت رأسها بالنفي وهي تجيب ريم بخفوت :- " كلا .. يجب أن أغادر "

جذبت حقيبتها حين قالت ريم بصوت أعلى قليلا:- " إذاً دعي محمود أو نائل يوصلك علي الأقل .. لا تذهبي وحدك هكذا ..الوقت متأخر "

كان إصرارها تلك المرة للرفض أشد فهي لا تستطيع التعامل مع محمود الآن .. لا تستطيع يجب أن تفكر..! قالت بصوت قاطع لا يقبل الجدل أو النقاش :- " كلا سأذهب وحدي "

ما إن خطت خارج المطبخ حتى توقفت ،وهي تري محمود جالسا على الطاولة يتسور الصمت .. ويداه تعبث بمفكرتها .. شعرت بفزع .. بشيء غامض غير معروف ..كأنه يقرأها..هي .. ككتاب مفتوح ..أرادت الاعتراض وسحب مفكرتها منه بقوة وقسوة ..حين تذكرت أنها فعلت نفس الشيء سابقاً ..حين اقتحمت خصوصية غرفته ومفكرته ،فلم أعطت نفسها ذلك الحق ،أخذت نفسا عميقا وحسمت أمرها ..تقدمت خطوتين ..ثم جلست مقابلة له بهدوء .. لترتفع عيناه ..بتلك النظرة الغامضة بهما كأن الظلام يرفض إلا أن يحيرها بعينيه وهو يقول بصوته ذي البحة :- " لا أفهم من أين لك القدرة على مواصلة الكتابة وكأن شيئاً لا يحدث...!! "

ارتعشت أوردتها لسماع صوته بذلك الهدوء .. خلت الغرفة إلا منهما كالعادة الغريبة التي تجمعهما دائما ..أين ذهب نائل سؤال مر بخاطرها سريعا نفته من أفكارها وهي تسأله بفضول :- " ماذا تقصد ..؟! "

أكمل هو ببعض المرارة :- " لا هذه الأرض التي تتحرك تحت قدميك ولا هذا الدمار الذي ينتظر أمة بأكملها .. منعاك عن الكتابة ..أجدك رومانسية ..خيالية ..جدا .. توقفي ..تأملي ..ما يحدث حولك ثم أعيدي الكتابة .. "

أجابت مدافعة عن نفسها :- " أنا لست رومانسية لكنني متفائلة ..متفائلة بغد أفضل ..ألا تؤمن أنت بهذا ..؟!! "

حين لم يجب أكملت بهدوء:- أؤمن بوجود أمل .. بأن الغد يجب أن يكون أفضل وبإذن الله سيكون أفضل

طفحت المرارة علي وجهه وهو يبتسم بسخرية :- أي أمل .. أنتم لازلتم في البداية .. لاتدركون أن ما ينتظركم أخطر وأفظع من مجرد ثورة .. ظننتم أنكم حققتم ما تصبون إليه لكن كلا ..

اتسعت ابتسامته المريرة وهو يكمل :- أنتم لا تعون شيئا.. لن أتحدث عن نظريات مؤامرة متعددة الأطراف لأنها حقيقة لكن أنتم من تجعلونها بتلك القوة أي أمل تتحدثين عنه .. هاااا

اندفعت دون وعي تريد محو تلك المرارة من وجهه وصوته لتهمس :- " الأمـل .. أجـده بـك أنت .."

تسمرت نظراته عليها ..تلك الطفلة .. التي تتفنن دون إرادة منها باللعب بأوردة قلبه ..بكلمات سخيفة حالمة .. إلا أنها تحرك شيئا ما بداخله، أصعب شيء أن القلب الذي قرر ألا يخفق عمره كله ..يتغابى ويخفق ..دون إراده من صاحبه حينها تحل الكارثة .. ولهذا كان عليه أن يبتعد كثيرا ..كثيـرا .. استغرق لحظات..ليتمالك نفسه...فيتحكم بزمام نفسه..ظاهرياً...وانفلتت منه كطفل تائه باطنياً " ألازلت هنا ..؟!!"

أتي صوت ريم من المطبخ ليجعلها تقفز فزعة، وهي تغمغم بارتباك :- " كنت راحلة الآن "

نهض محمود بطوله المهيب ،وقد عادت عيناه لظلامهما وصوته لغموضه مرة أخرى قائلا بهدوء :- " هيا شادن أنا سأوصلك .."

نظرت لريم برعب جعل بسمة تظهر على شفتي ريم ،وهي تقول :- " ها قد حسم الأمر محمود سيوصلك "

حاولت شادن الرفض بارتباك :- " لكن ا ..اا "

إلا أن محمود كان قد سبقها للخارج تاركا إياها تتبعه بصمت وقلب واجف

*****

" أأحببته قاهرة ...؟!!"

أتى السؤال المفاجئ لينتشلها من استغراقها باعترافها لنفسها بتلك الحقيقة.. متزامنا مع ذلك الألم الذي أعادها للواقع المر ..! رفعت عينيها بارتباك لشذى المجابهة لها قالت شذى بتساؤل وبلهجة تحمل الكثير من غضب :-

" أجيبيني ..هل أحببته ..؟!"

ارتبكت وبدأت تعتصر أصابعها بقوة لكنها قالت بشموخ أخفي توترها :- " اسمعيني شذى"

وكأن شذى كانت تنتظر فقط سماع صوتها لتنفجر :- " كلا لن أسمعك .. بل اسمعيني أنت "

اقتربت منها بخطي مترنحة قليلا وحقد قديم ينبعث من عينيها :- " أنسيت ما فعل بي ..أنسيت .."

انخفض صوتها بألم :- " أنسيت كم أحببته..!

أنسيت كيف سخر مني .. واستهزأ بحبي .. وكم من الليالي التي قضيتها باكية ... أنسيت ماذا قلت لي أنت ..؟! ماذا قالت لي أختي الصغرى حين تقدم توفيق للزواج مني ..؟؟!!"

كانت قد وصلت إليها وتوقفت أمامها مباشرة ..أمسكت كتفيها تهز قاهرة قليلا :- " أخبريني ..أنسيـت ...؟!! "

أتت همسة قاهرة شاحبة خافتة، وكأنها عادت طفلة صغيرة مرة أخري ..فتاة علي أعتاب نضج وسني مراهقة .. وهي تقول :-" كلا لم أنـس .."

ارتخت يد شذى عن كتفي قاهرة ..وهي تقول:- " إذا لماذا ؟؟ "

عاد صوت شذى ينخفض بألم :- " أخبريني لماذا ..؟ "

رفعت قاهرة عينيها لعيني شذى بألم وهي تقول :- " لا أدري ..أنا فقط لا أدري "

اقتربت منها شذى حتي تلامست جبهتيهما، وهي تهمس لها :- " إذا احذري لئلا يفعل بك ما فعل بي .."

حدقت بعينيها وهي تقول بثقة مجروحة :- " وهذا ما سيفعله .."

ابتعدت شذى بخطوات قوية مليئة بالمرارة.. دون أن ترى كتفي قاهرة اللذين انخفضا بألم كمن لا يقوي علي الشموخ في حضرة ذلك الضيف المهيـب المـاضي

" ما بك شـذى ..؟!! "

هتفت قاهرة حين دخلت غرفة أختها الكبرى .. لتجدها تبكي بشدة وحرقة .. اقتربت فزعة وهي تلتصق بها تهز كتفيها ..:- " شذى ما بك .. ماذا حدث .. هل حدث شيء ما ..؟!! "

هزت شذى رأسها بالنفي بينما تعالي نشيجها الذي تحاول أن تكتمه بالوسادة .. لكن قاهرة، ورغم صغر سنها إذ كانت تبلغ آنذاك السادسة عشرة .. أدارت وجه شذى لها بقوة وإصرار، وهي تحدثها بصرامة حنونة :- " لا تخبريني أن لا شيء حدث .. بينما أنت تبكين كل ذلك البكاء .. أخبريني أنا لم أعد صغيرة حتي تخفي عني أي شيء ..!!"

لمعت عينا شذي ببقايا دموع علقت بأهدابها ،وهي تقرر أتخبرها أم لا لكنها في تلك المرحلة كانت تحتاج لإخبار أي أحد .. لمشاركة أي أحد لقرارها.. لصدمتها .. همست من بين دموعها :- " توفـيق..!!"

وصمتت كأن ذلك يكفي لتفهم قاهرة منه كل شيء ..! قالت قاهرة بصبر :- " ما به ..؟!!"

ارتفع صوت شذى تلك المرة بالبكاء :- " تقدم لخطبتي "

اتسعت أسارير قاهرة بالفرحة الحقيقة وهي تهتف :- " حقاً .. ألف مبروك"

ثم صمتت حين رأت عبوس وجه شذى.. لتسألها بقلق :- " أنت لست موافقة ..؟! "

أجابها الصمت أيضا ..! فهتفت قاهرة بثقة :- " إذن أخبري والدي .. لا أعتقد أن والدي سيجبرك علي شيء لا تريدينه .. كوني واثقة من هذا "

قالت شذى بتردد :- " ليس هذا هو الأمر .."

كانت محتارة .. تريد آسر .. لكنه يتجاهلها تماما ولا تريد أن يضيع توفيق من يديها .. فتكون خاسرة .. فتوفيق به كل المميزات التي ترغبها .. لكن آسر حلم كل فتاة بوسامته ومستقبله المبهر حتى ولو كان مغرورا ..!
تساءلت قاهرة في حيرة :- " إذا اخبريني ماذا هناك شذى ..؟! قد أستطيع مساعدتك ..!"

هتفت شذى ببطء ويأس كإقرار أمر واقع :- " أنا أحب آسر بدر الدين .. أخو هدى صديقتي "

وكأن قاهرة بحاجة لتعريفه .. وكأنها لا تعرف من هو أسر بدر الدين .. حتي في تلك السن الصغيرة .. وكأنها لم تجعله فارس أحلامها كل ليلة تحلم به يأتي علي حصانه الأبيض لينتشلها من قصر أبيها لعالم سحري تبقي هي وهو به فقط .. صدمة أصابت قاهرة فحتى هي كانت قد علقت بشباك جاذبيته .. التوت شفتاها بسخرية مبطنة بالذات .. إذا كانت شذى الكبيرة العاقلة تبكي حبه .. إذن يحق لها هي الصغرى أن تنبهر به .. لكنها لن تدع أختها تضيع فرصة سعادتها مع شاب رائع مثل توفيق لمجرد وهم ،فسألتها بهدوء شديد وبعض حنان :- " أخبريني شذي هل يحبك .. آسر أقصد ..؟!!"

أجابت شذى باندفاع :-" بالتأكيد "

لكن حين واجهت عيني قاهرة الصريحتين ترددت ،وهي تقول :- " أعتقد ذلك .. لم أسأله .. لم يخبرني ..لم يسبق لنا الحديث .. أوووه لا أدري ..!"

قالت قاهرة بثقة :- " اسأليه .. يجب أن تسأليه لتعرفي .. قبل أن تتخذي أي قرار بشأن توفيق .."

قالت شذي بتردد :- " أتظنين هذا ..؟ "

أومأت قاهرة بالإيجاب :- " نعم أنا واثقة "

اختفت الدموع من عيني شذي في لمح البصر ،وهي تنهض بلهفة إلى هاتفها المحمول تجذبه إليها قائلة في تسرع :- " إذن اتصلي أنت به قاهرة اسأليه..؟ "

صعقت قاهرة :- " مـاذا ...؟! أجننت أنت كيف لي أن أسأله .. ..؟! أنا .. هو لا يعرفني ..؟"

قالت شذى بترجي :- " أرجوك .. أرجوك قاهرة .. أنا لا أستطيع سؤاله .. سأرتعش وأتوتر"

ثم أكملت بلهفة وقد خطرت لها فكرة :- " ادعي أنك أنا .. وتحدثي معه .. أخبريه أنني أحبه وأنني أستطيع انتظاره حتى يعود من سفره .. أخبريه حتي ولو أراد سأنتظره عمري كله ..!!"

لم تمهلها شذى لترفض مرة أخرى إذ ضغطت علي زر الاتصال ..وهي تلصق الهاتف بأذن قاهرة .. ليصدح صوت آسر بنعاس شديد مجيبا:- " ألـو"

توترت قاهرة وهي تنهض فجأة من على السرير تبتعد لا إرادياً عن شذى قليلا .. لعقت شفتيها الجافتين وهي تهمس :-" ألـو"

صمت وجهها لثانية ليأتي صوت آسر ببحـة ناعسة :- " نعم من معي..؟!! "

تلعثمت قاهرة بتوتر:- " أأ أنـا "

" نعم يا حلوة ..؟ "

بدأت تظهر في صوته نبرة ناعمة مغوية حين تعرف علي الصوت النسائي .. جعلتها تعاود الجلوس علي السرير بعدما نهضت .. تبحث عن داعم لركبتيها المتخلخلتين ،أكمل هو بنفس البحة وأثر النوم بدأ يتلاشي قليلا :- " ألن تتحدثي .. أريد أن أحصل علي بعض النوم "

هتفت قاهرة بتوتر قبل أن تخونها شجاعتها :- " أنا شذى .. "

لم يجب فهتفت :- " آسر ألازلت معي .. هل نمت..؟! "

ضحكة أجشة رقراقة دغدغت أعصابها ،وهو يقول بنعاس :- " معك .. وتعرفين اسمي أيضا شذى ..؟!! "

كان يبدو واضحا أن لا فكرة لديه بتاتا من تكون شذى كما اتضح لقاهرة فهمست قاهرة ببطء :- " أنا شذى السليماني ..؟!!

تحولت نبرته للجد وقد بدا أنه اعتدل في سريره :- " شــذى.. مـاذا هناك ... هل هناك خطب ما ... هل هدى بخير..؟!!"

سارعت بالنفي :- " كلا .. كلا .. كل شيء علي مايرام لكن آه لكنني ..أمممم ..علمت أنك ستسافر قريبا.. لمدة طويلة نسبيا وأنا "

صمتت .. لا تجرؤ علي التفوه بتلك الكلمة .. نسيت شذى المنتظرة .. نسيت الموقف والمراد منه .. تراءت لها صورته الضاحكة الباسمة .. عيناه الزرقاوان اللتان زارتها في أحلامها طويلا وكثيرا .. عطفه عليها .. ونظرته الغامضة لها أحيانا حين يمر .. أفاقت من أحلامها حين أتي لها صوته باسما كعادته .. كأنه يدرك سرها .. كأنه عرف أن ذلك هو صوتها هي قاهرة وليست شذى .. تهادت إليها نغمته التي يحادثها بها كلما رآها

كطفلة .. صغيرة بضفائر .. يعطف عليها ويمثل دور الأخ الأكبر لها :- " نعم .. ماذا هناك هل تريدين أن أجلب لك شيئا ما معي ..؟!!"

أجابت بسخط بدا طبيعيا للغاية، وقد نسيت أنها تدعي أنها شذى :- "كلا .. آسر"

أصابها نفاذ صبر وهي تهمس :- " اسمعني أرجوك ... أنا أحبك "

لا شيء .. لا صوت واحد .. ولا نفس .. حتى شذى لم تعد تسمع لها صوت .. حتى أتى صوت آسر، وقد اختفى كل أثر للنوم به :- " اسمعيني شذى أنت مثل أختي .. وأنا .. لا أفكر فيك أبدا بتلك الطريقة ..!!

ارتياح أصابها في البدء لا تنكر أن جزءا صغيرا للغاية منها كان يخش أن تكون تلك المشاعر متبادلة لم تكن لتحيا ..إن كان يحب أختها .. كانت ستفرح لها بلاشك .. لكن لن تستطيع العيش معهم مرة ثانية ..!إلا أن ارتياحها سرعان ما تحول لصدمة وإحراج وكره ..حين تلونت نبرته بالصرامة وشيء من الاحتقار الخفي والتهديد وهو يقول :-

" وأنا لم أكن أعرف أن لك مثل تلك الألاعيب والتصرفات .. أنا أثق بهدى أختي .. لكنني لم أظن يوما أن صديقتها المفضلة في الكون كله .. لها مثل تلك الحيل والألاعيب .. فتاة تحادث الشباب بالهاتف .."

انمحي كل لون من وجه قاهرة، وكأن الإهانة موجهة لها شخصيا ... وكأن ذلك الاحتقار موجه لها هي .. وممن ؟! من شخص معروف عنه تلاعبه بالبنات في كل مكان .. يأتي الآن ،ويمثل دور القديس، لم تكن تستوعب باقي كلماته التي بدا أنها مهينة للغاية فقد أغلقت الهاتف .. ليسود الصمت القاتل الغرفة .. لم تدر كم بقيت هي وشذى على ذلك الوضع

حتي التفتت هي إلى شذى التي بدأت الدموع تترقرق مرة أخرى من عينها ،وهي تقول بإصرار وقسوة وصرامة تفوق سنها بمراحل :-

" أعتقد الآن يا شذى أنه قد حسم الأمر.. يجب أن توافقي على توفيق .. لن تجدي خير منه يحبك منذ الصغر..

ولتثبتي لذلك الأحمق أنك أفضل مما كان يتمنى أن يحصل عليه في حياته كلها ..!!"

*****

توقف آسر ما إن صعد للأعلى توقع أي شيء إلا هذا المنظر ..! خفض رأسه بتنهيده ارتياح.. وهو يرى هدى مسجاة علي سجادة الصلاة .. بخشوع ووجهها يطفح بدموع .. لطالما كانت هدى قوية ..قوية حتى ولو لم تدرك هذا ..تراجع بنفس الصمت ينظر لنادر ،ووجهه يشع قليل من ارتياح .. وطمأنينة، قال له بهدوء :- " إنها تصلي .."

أومأ نادر بصمت ... أفلتت نظراته لها لأول مرة منذ دخل ، و شعر بحرقة في عيونه منظرها ،وهي تصلي رافعة يديها كأنما لتصل عنان السماء .. سحره يجب أن يبعد عينيه عنها .. يجب عليه ذلك .. لكن بدا أن عينيه لا تطيعانه .. أخيرا قرر أن يبعد عيونه .. لكنه ثبتها أكثر حين رأى دمعتها التي نزلت من طرف عينها اليسرى لتفتت بقايا قوة يتمسك بها .. شعر بوجع في قلبه .. ونار تزداد اشتعالا بمعدته .. مد يده يمسك معدته عل الألم يخفو ؛لكنه كان يزداد اشتعالا تمنى أخذها لأي مكان و جعلها تفقد ذاكرتها .. لايريدها أن تتذكر شيء من وجعها ، ليت كل هذا الوجع يصير به ..و ترتاح هي .. ولو قليلاً فقط !التراجع بأسى يجبر نفسه على الصبر والقوة ، بينما انتظر آسر مستندا على الباب يتأملها لا ينكر كمية الراحة

التي اعترته حين رآها في هذا المنظر .. يدرك أنه لازال أمامهم الكثير ..الكثيـــر لتخطي تلك المحنة لكن بدايتها هنا عند هدى

ما إن أنهت صلاتها حتي تقدم للداخل .. جالسا بجوارها متربعا الأرض .. أمسك بيدها بين يديه الاثنتين مطالبا إياها بالنظر إليه .. رفعت وجهها في صمت لكن عينيها امتلأتا بالدموع .. همست بصوت مبحوح:- " خشيت عليك "

قاطعها وهو يحاول أن يسيطر على ألمه وعذاب ضميره :- " هششششششش "

همس آسر ببحة ..وهو يبتلع غصة :- " هـدى .. أتذكرين حين قلت لي .. الماء مثل الأحلام يتبخر حتى ينتهي.. "

انتابتها الحيرة قليلا لكنها أجابت :-" نعم أذكر"

ابتسم بشجن قائلا :- " أنت مخطئة حبيبتي .. الماء لا ينتهي .. يتبخر ليعاود الانهمار مرة ثانية على شكل مطر

ومثله الأحلام لاتمـوت.. بل تعاود الانبثاق مرة أخرى ... تلك سنة الحياة.. فـبدون أحلام نحـن أمـوات "

طفرت دمعة من عينيها بإيمان عميق ..وهي تجبر نفسها على الابتسام ..فهو محق .. لم تفكر يوما في هذا .. لكنها يوما لم تيأس من رحمة الله .. لا تنكر أنها فكرت كثيرا في حلول كلها تغضب الله ،لكنها كانت تستعيذ به من الشيطان .. وتؤمن بأن ما يحدث لها وإن كان في ظاهره سوء .. إلا أن باطنه أكيد خير لها .. أخيرا قالت بأمل :- " أعلم آسر.. أنا أعلم .. لا تقلق علي أخي .. سأكون بخيـر"

شبح ابتسامة واثقة لاح على فمه ،وبرقت عيناه الرماديتان وهو يقول:- " أنا متأكد من ذلك "

أخذ نفسا عميقا، وهو يقرر الإقدام على الخطوة التالية .. أمسك بوجهها بين أصابعه يمسح بقايا دموع علقت بأهدابها وهو يقول بحنان يطوي داخله حزم وإصرار شديدين :- " أريد منك طلبا وعديني أن تنفذيه"

ارتبكت ويداها تعتصر أصابعها ..تسأله قلقة، وهي شبه متأكدة ما هو طلبه :- " ماهـو..؟!"

قال بهدوء :- " عديني قبلا "

ظهرت الحيرة في عينيها ..كان يدرك أنه لا يلعب لعبة عادلة لكن ما يفعله في النهاية لمصلحتها ... وقد حان الوقت ليهتم بمصلحتها قليلا ..قالت ببطء وثقة به :- " أعـدك"

برقت عيناه برقة، وهو يقول ببحة علت قليلا عن الهمس :- " تـزوجي نادر"

سحبت يدها من بين أصابعه بسرع، لكنه لم يسمح لها بل شد عليهما قائلا :- " أنـا لن أطمئن عليك إلا معه هو .."

هزت رأسها بالرفض فما يطلبه كثير .. حتى عليها .. هي لا ترفض نادر لشخصه لكنها ... خائفة .. اكتفت ..لا ترغب في المزيد أكمل آسر بإصرار :- " أنا أحتاج للاطمئنان عليك .. أريد السفر وإجراء جراحتي .. وأنا مطمئن عليك"

أكمل بقوة ..:-" ولن أطمئن عليك إلا معه.. لا مجال لتعودي للبقاء مع والدنا ..ولا مجال لتركك وحيدة ..ولا مجال لأخذك معي حاليا، فسأكون أنا من يحتاج للرعاية ..وأخشى عليك من ذلك الحقير أن يحاول أذيتك مرة أخرى ..هدى إنه مريض ..!!"

وكأنها لا تعلم كم هو مريض ..آلمها ..إنهاؤه لكل الخيارات رغم صحة ما قاله ..ويبدو أنه يثق بنادر كثيرا ..هتف هاتف بداخلها ..ألا تثقين به أنت أيضا ..! شعاع من أمل وأمان أشرق بداخلها حين وصلت لتلك النقطة؛ لكنها لن تغامر ،هزت رأسها برفض شديد ..لن تغامر .. مرة أخرى بالبقاء مع جنس رجل .. " لكن نادر وعدك أنه سيبقى فقط لحمايتك ..سيرحل حين يتأكد من حمايتك .."

غصة انتابتها لكنها تجاهلتها .. فليرحل أنّى يشاء هي ليست في حاجة لجنس رجل بعد اليوم ...لكن يجب أن تتأكد من وعده

بنبرة رجاء :- " لأجلي هدى اقبلي"

تساقطت دمعة من عينها وهي تومئ برأسها بالقبول بتردد اتسعت ابتسامته ،وهو يحتضنها بحب وحنان :- " أحسنت أختي ... أحسنت"

هم بالمغادرة ..ليخبر ذلك المنتظر خارجا حين جذبت هي يده تلك المرة بشدة، توقف ينظر لها حين قالت بنبرة أجشة تحمل تصميما وإصرارا وقوة بعينها :- " لكنني أريد الحديث معه أولا "

*****

تأخر آسر تأخر كثيرا ..قرر أن يشغل نفسه بأي شيء بدل ملابسه الجينز قديم يرتاح به , وتي شيرت أسود بهت لونها، ففك سلاحه الخاص

..ثم بدأ يعيد تركيبه , هذه العملية صارت تلقائية من بعد ما كانت تتطلب تركيزا شديدا منه , إعادة تفكيك وتركيب السلاح ،أفكاره أخذت تتلاعب به ..بينما يداه تعملان بسرعة قصوى تكشفان توتره الداخلي

" وماذا بعد ..ما هي نهاية ذلك الوضع"

إلى متى سيظل هكذا ..صامتا ..يكتم ما يعتمل في روحه .. متي يستطيع النوم ... يشتاق بقوة للنوم ..لكن لن يغمض له جفن حتى يطمئن عليها ..حتى تصبح ملكه وله ..أمنية طال انتظارها ..أمنيـة كلفه الكثير والكثيـر من تماسكه وسيطرته الفولاذية على نفسه حين فرط فيها ، وإذا رفضت بدأت يده تعمل بطريقة سريعة , مع ازدياد قلـقه إذا رفضت .. ؟!!

يجب أن توافق ..بأي طريقه كانت يجب أن توافق ..إلى متى لا تتذكره ..إلى متي ؟؟ رمى السلاح بعدما أتم تجميعه بمهارة وسرعة بقوة تدل على غضبه الشديد كيف لها أن تنساه .. ؟! مره أخرى ...أمسك السلاح يعيد تفكيكه بآلية...

يجب أن توافق ..! تعتمل المشاعر في داخله ثوران ..ثوران وغليان يفور تحت السطح الهادئ ،توقفت يده وأنفاسه تتعالى بغضب من نفسه مد يده بحنين يتلمس الجرح بحاجبه .. حبس أنفاسه لثوانٍ ..من ثم زفربعصبية...وحاول العد لعشرة يتذكر ..بقايا من ذكريات وتسكنه...بمهدئات..قاربت على الانتهاء...تهدئه ونوبات جنون...تجتاح ..خلاياه

" إذا أردت إيذاءك فلن يمنعني شيء كتلك "

قذف بالسكين الصغير بعيدا .. وهما لازالا على تلك الوضعية .. ضاغطا على جسدها بقوة جسده الفولاذية محاصرا إياها ..شعرت بأنفاسها

تضيق وجسدها يتوتر بخجل وخوف وحرارة لأول مرة تشعر بها ..غريب إحساسها في تلك اللحظة، مرعوبة تعترف ..لكن هناك شيء آخر تشعر به ..منعها رعبها من إدراكه ، أوقفها رعبها عن الإتيان بأي حركه فحتي تنفسها أصبح عسيرا عليها .. تشعر به حتي الأنفاس يحسبها عليها ..لم تكن يوما جبانة ..! هذا ما أخبرت به هدى نفسها ..لكن وضعها يدعو للخوف وحماقتها هي السبب ..لم.. لم تترك المنزل وتهرب حين أدركت بوجود لص به ..! كلا .. بل عادت كالحمقاء تريد إرهابه ..خاطبتْ نفسها بجزع .. وانظري أين أنت الآن ..؟!

شعرت بالدموع تبلل وجنتها فخفضت عينها لا تريد أن تريه ضعفها أو خوفها حتى وهي في ذلك الموقف ..الترجي ..لم يكن شيئا معروفا بقاموسها ..! انخفضت عيناها لمستوي صدره...ليستل ذلك الهدب المبلول...شيء ما بآخر نبضة... ناداه ذلك الهدب لمعانقته... لبى النداء ببساطة.. بطبعه قبلة على أهدابها بكل جرأة ،جزء من ملوحة الدمع سكنت شفتيه وبللتها بملوحة...ليبلل شفتيه بأطراف لسانه... فيحاول ابتلاع جزءا صغيرا جداً من طعم الملوحة التي تذوقها ..) شهقت .. بخوف لم تستطع السيطرة عليه ،وهي تصرخ تلك المرة، وقد شاب صوتها ذلك الترجي الذي لم تكن تعرفه :- " ابتعد عني أرجوك .."

ارتعش صوتها بالبكاء ليصبح بحا مزق البقية الباقية من أوردته :- " أرجـوك.."

أفاق من تلك النشوة أصابته لمجرد ملامسة شفتيه لأهدابها ..ورائحة الخزامي ..تعبق بأنفه من خصلات شعرها الملامسة لوجهه.. أقسم علي صوته أن يبقي علي شيء من رزانته وهو يهمس بنفس همسها :- " لا تخافي لن أؤذيك .. لكن عديني ألا تأتي بأية حركة مفاجئة لو تركتك "

لم تقو على الرد بل ابتلعت ريقها وهي تومئ برأسها إيجابا ترك يديها بطيئا .. بطيئا وهو يبتعد بجسده عنها ..لم يبتعد كثيرا .. بل فقط ما يتيح لها الابتعاد عنه، ما إن شعرت بابتعاد صدره عن أنفاسها حتى سحبت قدميها بشدة، وهي تبتعد لأقصى ركن في السرير متقوقعة على نفسها ... تضم قدميها لصدرها ورأسها يستريح عليهما بخوف بينما تهدل شعرها العسلي محيطا بوجهها ..آاه وضع يده على قلبه يتلمسه يتأكد إن كان لا يزال في موضعه .. وأن ذلك الصخب المدوي آتٍ من داخل قفصه الصدري ..تلك الرائحة (الخزامي) قتل له لا محالة ..يجب أن يستعيد توازنه ..! همس ببطء وهو يمد يديه للأمام يريد طمأنتها .. لكنه أعادها لموضعها حين تراجعت هي بخوف .. قائلا :- " اهدئي .. من أنت ..هدى أم شادن ..؟!"

شهقت وهي تنظر له بقوة من أين له معرفة أسمائهم .. ظهر في عينيها مزيج من خوف وفضول وتفكير .. كانت تضغط علي شفتيها بتوتر تلوكهما للأمام والخلف كطفلة صغيرة خائفة ..حين هتفت " أنت تعرف أخي ..؟!!"

ابتسم قائلا :-" أخبرتك سابقا لكنك لم تنتبهي في محاولتك قتلي .."

تلمس حاجبه الذي بدا أن الدم تجمد عليه معطيا إياه مظهرا خطيرا .. صرفت نظرها بصعوبة عن مظهره الشبيه بالقراصنة بصدره العاري وتلك الضمادة تحولت للون الأحمر القاني في ذراعه .. عينيه .. لم تتبين لونهما في الظلام إذ بدتا سوداوتين .. ذقنه تبدو نامية بعض الشيء وإن كانت مهذبة كلحية خفيفة جدا .. بدا خطيرا .. همست :- " من أنت..؟!!"

وكان ذلك سؤالا هو أكثر من مستعد للإجابة عنه حاليا ..وإن أجاب بلهجة قاطعة :- " نادر.. "

فقط نادر وكأن هذا يكفي كما فكرت رفعت حاجبها بتساؤل فقال على مضض :- صديق أخيك "

لمعت عيناها مابالة شحيح الكلام ؟هكذا هتفت بتسرع :- "آهه .. آسر ليس لديه أصدقاء "

ثم صمتت بغباء ..أليس الأفضل لها لو لم تعترض .. إن أظهرت له أن خدعته انطلت عليها .. ليأمن لها ولا يؤذيها ..

التوت شفته السفلى بشيء من الغموض وهو يكمل:- " وما يدعوني للكذب عليك أنا صديقه ربما لم يحدثكم عني .. لكنني أعرف كل شيء عنكم .."

نهض فجأة ما أثار خوفها لكنه أشار لها يهدئها ..:- " انتظري سأريك الإثبات "

ما إن تقدم خطوتين في الظلام حتي اصطدم بشيء ما أطلق تأوها .. دعاها لإطلاق ضحكة خافتة لا إرداية .. فقد بدا بشريا وضعيفا في تلك اللحظة مثلها .. همس بخشونة رغم إرادته حين سمع ضحكتها المنخفضة :- " لا تضحكي .."

ألجمتها لهجته وتلك النبرة، الصمت .. عاد إليها وهو يتمتم : " أين ذهبت الإضاءة اللعينة "

كان غاضبا من نفسه بشدة ..كيف لضحكة خافتة منها ..أن تجعله راغبـاً .. راغباً في أشياء تتخطى العقل والمنطق ..راغباً في تخطي كل

الحدود وضمها إلى صدره ..لم يكن يوما متهورا ..وكان يحيره بشدة ذلك الانجذاب المبهر ..لها .. ! غاضبا من نفسه لفقدانه سيطرته الفولاذية عليها لمجرد ضحكة خافتة ..جلس على حافة السرير مرة أخرى وهو يقدم لها هاتفه المحمول ..ضغط علي ملف الصور لترى العديد من الصور له هو وآسر .. في عدة مواقف وأماكن .. يضحكان ..يبتسمان ..ظلل الإدراك عينيها .. وبدت الراحة تدب بحركات جسمها شيئاً فشيئاً ..بدأ الاطمئنان يساورها قليلا قليلا .. فهو صادق ..ويعرف آسر .. ولا خوف منه ..اخاطبت نفسها بصمت أخبرك منذ البداية أنه ليس لصا .. وهو لم يؤذك ..خاطبت نفسها بعنف " وجرأته عليك .." لازالت تشعر بوجنتيها تلتهبان لتلك الجرأة .. ارتفعت عيناها إليه مرة أخرى قالت بتردد كمحاولة ضعيفة متوجسة للاعتذار:- " الإضاءة مقطوعة عن الفيلا ... لأننا لا نسكن هنا .. ألا يفترض بآسر أن يخبرك بهذا ؟! "

رفعت عينيها إليه ..ليتوه بهما ..لم لا يكف ذلك الأحمق عن الخفقان .. يجب ألا يتأملها كثيرا أو أبدا كما أخبر نفسه ..

" نادر..!

نــادر...؟!! "

أتى صوت آسر لينتشله من ذكرياته ..رفع عينيه إليه ببطء وهدوء لا يكشف أبدا عما يعتمل بداخله من توتر وقلق ..سأل ببطء وأمل :-" وافقـت..؟!! "

لا رد يصله من آسر المستند على الباب بصمت ووجهه غامض .. قفز قلب نادر...حتى كاد يخرجه خارج جسده تقدم آسر خطوات إلي الأمام بصمت حتى أصبح أمامه .. هز كتفيه بأسى ،وهو يرتمي علي المقعد

ملاصقا لكتف نادر العريض ،سأل نادربحه وهويقسم على ثقله ورصانته أن تبتعد الآن ولولبرهة :- " أجبني .. أحادثتها...؟ "

أجاب آسر وهو يرخي ظهره على المسند مغمضا عينيه :- " نعم حادثتها"

نادر بنفس البحة والثقل:-" أرفضت ؟!! "

فتح آسر عينيه ونظرة مسروقة وابتسامة خبيثة تصاعدت لتعانق شفتيه:- " وافقــت "

عادت الحياه تدق طبولها في صدره وتلك الرائحة الخزامي تعبق بأجوائه ،لكم نادر آســر في كتفه بقوة .. جعلت آسر يتأوه ضاحكا في حين هتف نادر متخلياً عن رصانته لأول مرة أمام آسر :- " تباً.....توقفت خفقات قلبي للحظة "

استمرت ضحكة آسر في الارتفاع .. تفصح عن ارتياحه هو الآخر لموافقة هدى .. التفت لصديق عمره قائلابخبث ومكر :- " لا أكذبك القول .. احتاجت لكثيرمن إقناع لتوافق "

كانت السعادة تشع من عيني نادر الذي همس بـ " لا يهم .. المهم أنها وافقت .. وكل شيء سيحل من تلقاء نفسه .. أنا على يقين من ذلك .."

ابتسم آسر ابتسامة باهتة بشيء من الشك والضيق وهو يقول :- " أتمنى لو كان عندي شيء من ثقتك تلك ..!"

تنهد نادر في صمت .. التفت مواجها لآسر، وهو يقول بثقة طبيعية تشع منه .. يقينا بالله تعالي .. يقينا أن كل ما يحدث وأيا كان ما سوف يحدث هو خير، وإن كان في ظاهره مكروه ، ربت علي كتف صديقه وعيونه

متعلقةبأسر...وملامحه تبدو ملامح جديده لشخص آخر:- " مابك.. آسر ...أشعر أن بك شيئا لا أعرفه ؟!

ابتسم آسر بلامبالاة سائلا في سخرية :- " ..لماذا ..؟!! "

قال نادر بعمق ونظرة متفحصة :- " انت لست طبيعيا .. أشعر بذلك "

التفت له آسر بشيء من السخرية هو يهتف :-" وكل ما نحن به .. أهذا طبيعي ..؟!! "

أخذ نادر نفسا عميقا وهو يطمئنه قائلا بارتياح :- " اتركها على الله ،لكل شيء سبب وإن تأخر فهمك له ،كن على ثقة من هذا .."

أومأ آسر " ونعم بالله "

ثم هتف بفرح :- " دعك مني .. متى تريد الزواج بإذن الله ..؟! "

هتف نادر بتسرع :- " اليوم "

انطلق آسر يقهقه بمرح علي صديقه الرصين الصامت .. الذي يبدو أنه لم يعد يطيق صبرا .. كان يشعر بالغبطة رغم كل ما هم فيه .. فنادر هو الوحيد القادر بعد الله تعالى على إخراج هدى مما هي فيه ،تدرج وجه نادر بما يشبه الاحمرار تحت بشرته الداكنة، وهو يجبر نفسه علي الصمت والجلد .. لكنه لا ينكر أن فرحته كانت كبيرة .. أخيراً ..أخيرا ستكون له حتي وإن لم تكن تريده أو تتذكره ..! لكن يكفيه فقط أن يضمهما منزل واحد وعندها ..!!

برقت عيناه بتصميم ..قال آسر وهو يدرك ما يجول بخاطر صديقه :- " حسنا أنا موافق .. "

اتسعت ابتسامة نادر لتظهر أسنانه اللؤلؤية .. لكن آسر أضاف بتحذير خفيف :- " لكنها طلبت أن تتحدث معك أولاً"

أوما نادر بثقة وهو ينهض بطوله الفارع :- " حسنا سأصعد لها .. "

تقدم من الدرج وهو يكمل :- " وفي تلك الأثناء احضر المأذون "

ارتفع حاجب آسر بقوة ودهشة كان يظن نادر يمزح قليلا .. لكن النظرة التي رآها في عينيه أظهرت له كم هو جاد لم يستطع أن يلومه ،لكن هدى أخته ويكفي إهمالا في حقها قال بصرامة وإن شابها بعض الود :-" نادر يجب أن ترى ما تريدك أولا لترى إن كنت ستقبل بشروطها "

قال نادر بجدية وهو ينظر لآسر بتصميم :- " أنا موافق على كافة شروطها آسر"

استدار يصعد الدرج بقوة وعزم وهو يهتف بآسر :- " اذهب لجلب المأذون حتي أحادثها ! "

تجددت ملامح آسر بالابتسام وهو يوقفه للمرة الأخيرة مفاجئا إياه ومفاجئا نفسه أكثر حين قال:- " إذن اليوم .. قد يكون يوم زواجي أنا أيضا ما رأيك أن نجعله زفافا واحدا ..!!"

دهش نادر لتتوقف خطواته التي تلتهم الدرج لينطلق ضاحكاً بعد نظرة مطولة لآسر:- " زواج ..؟!! متي ..؟! ألم تكن ملقى في المستشفي لبضعة أشهر ..؟!!

توقف عن الضحك تماماً وخاطر ما يمر بعقله :- " و زوجتك ؟!صدقا أخبرني متي تزوجت؟!! "

انطلقت من فم آسر ضحكة أجشة مستمتعة :- " مهلا وسأخبرك بكل شيء .. إنها قصة طويلة .

*****

حطم نادر الصمت الذي طال بعدما انتهي آسر من سرد ملابسات لقائه بقاهرة وصولا حتى زواجهم المزعوم .. أخفي طبعاً عنه تضارب مشاعره بالنسبة لها ..! لم يصف له سوى غضبه منها ورغبته في تلقينها درسا ..لـ" إذا فزواجك منها هو فقط "

قال نادر بتساؤل وشدد على كلمة فقـط " لتلقينها درساً "

أومأ آسر بصمت ..وظهره لنادر يلقي نظرة على الجو خارجاً .. لطالما أحب بيتهم القديم بعيدا عن صخب القاهرة وفتنتها .. أخذ نادرنفسا وقال:- " إذن أنت لا تحبها ..؟!! "

التوت شفتا آسر بتهكم وقسوة :- " هـه "

ثم أردف بسخرية وهو يرفع حاجبه ملتفتاً لنادر بنظرة يعرفها نادر جيداً " قد أكـون أريدها .. لكنني لا أحـب أبداً ..! "

عقد نادر حواجبه بعدم فهـم واستغراب :- " وما الفرق آسـر بين أن تريدها لتلك الدرجـة وأن تحبهـا ..؟!! "

نظر له آسر ،ثم التفت حتي أصبح لا يري نادر منه سوي جانب وجهه قائلاً بجمودوعناد:- " الفرق .. أنا وأنت أدرى به يا نادر أريـدها ..أريد امتلاكها .. إخضاعها تحطيم تلك الكبرياء والغطرسـة أريد عقابها ..! وإن كنت سأحصل عليها في طريقي لذلك فلابأس بذلك "

قال نادر بإصرار:- " ليس هناك فرق بين أنك تحبها وأنك تريدها بهذا الإصرار! "

ابتسم آسر بسخرية وهو يلتفت له ليواجهه :- " لطالما كنت مثاليا يا نادر لكن هناك فرق.. وفرق واضح أيضاً إلا أنك أنت من ترفض رؤيته ..!! أنا أريدها .. و.. فقط !! "

قال نادر بغضب وشهامة لونت نبرات صوته :- آسر احذر أن تظلمها لن أسمح لك بذلك !!"

التفت آسر يواجه نادر والغضب يشتعل في عينيه ونار تحرق صدره ..صارخا بحدة :- " ومن أنت لتسمح لي ؟!! ابتعد عنها نادر أفضل لك "

انطلقت ضحكة نادر رقراقة أجشة وهو يهتف :- " أيها المجنون .."

ثم أضاف بمكر وهو يرفع حاجبه بسخرية خفيفة من آسر :- "فعلاً .. أنت لا تحبها أبدا. وهناك فرق بين أنك تريدها وأن تكون تحبها .. صحيح ..؟!!"

لم يكن آسر بمزاج يسمح له بالتجاوب مع مكر وهزرة نادر السعيد على غير العادة اليوم ، كان يشعربالضيق والحنق الشديد منهــا .. هي السبب في كل هذا ..!! حتى نادر ...!! حتى نادر يعرض عليها حمايته ..دون أن تعرف حتى !لما الكل يريد الاهتمام بها ..!! لم الكل يريد أخذها منه .. !! كانت مشاعره خليط.. خليط مضطرب لا يعرف له أصلا، رقت نبرة نادر حين رأى الصراع على محيا آسر فقال بإقناع وهدوء:- " آسر ..فقط تذكر .. الظلم الذي حل بأختك ..؟!

توترت ملامح آسر فلطالما كان نادر صوت ضميره .. لطالما ردعه عن العديد من الأخطاء .. خاطب نفسه بشراسة .. إلا ذلك الخطأ لن يسمح لأحد بالتدخل لمنـعه !! يـريدها .. ويريد التأكد ألا تكون لغيره ..! عناد ..جنون .. مهما كان الأمـر .. لكنه ليس حـبا .. لأنه لـن يسمح لقلبه بهذا الشيء ...!

*****

الفصل السابع

ذاكرة .. اشـتياق

فـلينفجر القلب يلحظة ذلٍ

تـعالٍ
إنني أكره كل ما فيك و أحبــك

أحبك

(غاده السمـان)

طرق نادر الباب بهدوء ليأتيه صوتها الشجي يأذن له بالدخول ما إن خطى للداخل حتى تسمرت نظراته عليها فاتنة ..هدى كانت بالنسبة له فاتنة .. لم تكن رائعة الجمال ..!ولم يكن هو يعشق جمالها .. أكثر من عشقه لتفاصيلها الصغيرة .. تلك ثلاث نمشات تزينان أنفها ظاهرات للرائي حت من بعيد ..تلك شامة حسن بجوار شفتها السفلى ملاصقة لها عند امتلاء شفتيها من الأطراف وانسيابهما من المنتصف .. ذاك التاج العسلي المتألق بإهمال على كتفيها..! كان يعشق بكل بساطة تفاصيلها .. لم يستطع أن يشيح عينيه عنها ولا أن ينكر رغبته بها .. مهما كانت تظنه مثاليا أو شهما إلا أنه بداخله يعلم أنه ليس أي من هذا ..!هو فقط رجل عــــاشق تنهد ببطء وهو يصمت وجيب قلبه ..فلا يحق له أن يعبر لها عن حبه .. لا يحق له امتلاكها رغم أن كل ذرة رجولة به تتوسله ليفعل .. لا يحق له حتى أن يجعلها تشعر بذلك

تقدم خطوتين للداخل قائلا بصوته الأبح المميز :-" أخبرني آسر أنك وافقت على زواجنا ..؟!!

لم يكن تساؤل بقدر ما كان تقرير أمر واقع نظرت له بوجل وهي تجبر نفسها على الخروج من خجلها وصمتها وترددها وخوفها وهي تهتف به بحدة :- كيف له أن يفعل هذا أنا لم أوافق بعد.. لدي شرط ..؟!"

توترت قبضته لكنه أخفاهما بجيب بنطاله ،وهو يقول ببرود وتباعد قدر ما يستطيع :- " لا مشكلة أيا كان شرطك أنا أقـبل به .."

لاح الاستغراب بـعينيها وهي تسأله :- " لماذا ؟! لمـاذا تفعل كل هذا ..؟! "

أكملت باضطراب، وهي تتقدم لمنتصف الغرفة تواجهه تاركة مسافة آمنة بينهما :- " لماذا تنقذني كل مرة أقع فيها بمشكلة .. ؟!

لماذا تظهر دائما في الوقت المناسب والمكان المناسب ..؟! اقتربت أكثر حتي أصبحت أمامه مباشرة متجاهلة خوفها ..متجاهلة رفضها للاقتراب من جنس رجل لـميل على الأقل .. لتـأسر عينيها بشـمس عينيه ،وهي تهمـس بترجي ويـأس :- " أخبرني لمـاذا ... أريد أن أعرف .. أحتاج أن أعرف ...! "

لاح شبح ابتسامة غامضة بعينيه وهو يهمس :- " لي أسبابي ..!"

ارتفع صوتها بشيء من الغضب الذي جعل ابتسامته تتسع أكثر :- " ألا يحق لي معرفة تلك الأسباب ..؟!! "

قال بوعد بطئ " ليس الآن .. لم يحن الوقت بعد "

توترت وعادت خطوة للخلف حين لم تعد تقوى على مجابهة عينيه المتفرستين بها .. توترها .. تشعر بملايين النملات تسري بعروقها .. تدفعها دفعا للرغبة بالتمليس على ذراعها وصولا لعنقها لتهدئة ذلك الجيش من النمل الصغير الزاحف عبر شرايينها، أعطته ظهرها بينما قبضت على أصابعها بتوتر كانت ابتسامته تتسع أكثر وأكثر ،هو متأكد أنها تلوك شفتها الآن حتى تكاد تدميها ..!كان يحيرها،يحيرها بشدة لو أخبرها أنه يفعل هذا لأنه صديق لآسر, أوشفقة بها! كانت ارتاحت لكن ذلك الغموض يخيفها ، وهي لا تريد الشعور بالخوف بعد الآن ..!طال

صمتها ليتقدم هو منها خطوة .. كانت اقتربت من النافذة تفكر بعمق كما لو كانت نسيت وجوده في الغرفة وضايقه ذلك بشدة، لا يريد لها أن تنسى وجوده مرة أخرى اقترب أكثر وأكثر حتى أصبح لا يفصل بينهما سوى عدة خطوات بسيطة .. سألها بصوت أبح :- " ألن تخبريني ما هو شرطك ..؟!! "

لا رد ,كانت تفكر بعمق تحاول التوصل لحل ما كأنها أمام معضلة عجيبة لا حل لها ..! اقترب تلك الخطوة حتى لم يعد يفصل بينهما إلا خطوة واحدة .. وبضعة أنفاس :- " هـدى"

انتفضت .. يجـب أن تمنعه أن ينادي اسمـها بتلك الطريقة ..!! ارتفع بصرها لا إراديا إلى عينيه ككل مرة .. يناديها .. قريـبا للغاية ..!! قريبا لدرجة أنها تري بؤبؤي عينيه يلتمعان بحلقات من الذهب تحيط الأحداق البنية.. يتخللهما شذرات خضراء تتوهج ثم تخبو لتعاود التوهج مرة أخرى .. لم تعد تتساءل .. لما يبدو اسمها بين شفتيه مميزا .. كانت تشعر بعد انفجارها اليوم ,بعد اعترافاتها لـآسـر أن هناك شيئا ما يتحرر ..! أن هناك سدا ما انفجر بداخلها.. إنها تريد .. ترغـب في رؤيته .. والآن وهو يناديها بتلك اللهجة تشعر بشيء مألوف للغاية بملامحه .. شيء فقط لو ركزت قليلا لتذكرته ..!! هزت رأسها بيأس .. وتلك الغمامة السوداء تحجب عنها تلك الذكري .. ذكرى ملحة تشعر أنها مفتاح للعديد من الأشياء!!

قالت بإصرار:- " شرطي الوحيد للزواج منك هو أن تعـدني ألا يؤذي آسـر مـروان!! "

توترت يده بشدة وشحب وجهه .. تحمي مروان ..!!.. خرج صوته قاسيا.. وهو يسأل:- " لـماذا ...؟!! "

لم يزد عن ذلك التساؤل كانت تستطيع أن تجيبه بمثل إجابته الغامضة، لكنه كان يستحق أن يعرف حتى وإن أبقى أسبابه لنفسه ،هو يستحق أن يفهم ويدرك..!! هتفت بألم :-" لـأحمي آسـر"

استطردت بهدوء والحزن يلوح في عينيها :- " ألم يكن كل ذلك لأجل أن أحميه وألا يضيع مستقبله"

كان باستطاعته أن يصرخ بها يهزها يخبرها كلا لم يكن عليك حمايته من أي شيء ..! لم يكن عليك التعرض لكل ذلك العــذاب ،هو رجـل كان يجب أن يتحمل هو أو أنـا ،أراد الصراخ بملء حنجرته ،أراد أن يقول الكثير والكثير من الأشياء لكنه لم يرد أن يمحي تضحيتها وعذابها هكذا ليس الآن ،ظل صامتا وإن كان صدره يجيش بالانفعالات حتى أصبح التنفس عليه عسيرا .. وألـم معدته يزداد ,فكر يجب أن يرى طبيباً ..! همست هي ببطء وقد بدا أن السكون والصمت قد عم المكان فجأة :-" أنا أريد أن أنسى أن أشفى أن أبدأ من جديد "

اقتربت منه بلاوعي حتى أصبحت أنفاسها تلفح وجهه :-" ســاعدني..!"

عــذاب .. ذلك القرب منها هو عذاب .. يريد أن يستنشق عن قرب .. تلك الرائحة التي ما فتئت تعذبه سنوات وسنوات .. يريد أن يكون بمحيط أنفاسها .. ليستنشق تلك الأنفاس ..يرفض رفضا قاطعا أن تذهب أنفاسها عبثا في الهواء .. توترت وهي تراه يتقدم منها بتؤدة الفهد لتتراجع خطوة للخلف، لكنه لم يوقف تقدمه حتى أصبح يشرف عليها ولم توقف هي تراجعها حتى أصبحت ملاصقة للحائط .. رفع ذراعيه ببطء ليحيط بها من الجانبين .. أغمض عينيه بشغف ووله مصفى .. حين داهمت أنفه تلك الرائحة أخيـرا الخـزامي ..!! لم يستطع تمالك نفسه أكثر من ذلك فهو بشــر وعاشق حد النخاع .. وانخفضت شفتاه بإراده من قلبه

لتعانقا ذلك العسل المصفى المسمى تاجها ..! لتنتفض هي كمن صعق بكهرباء ..لم كان يبدو قربه منها مألوفا هكذا ...!! لم يتحرك أيا منهما..!! بدا أنه راضٍ بهذا الوضع .. بينما هي بدت أسيره لشيء ما .. ربما كان رعبها القديم قد عاودها .. ربما كان عدم قدرتها على الحركة ربما كان ... لسبب آخر لم تستطع تفسيره يجبرها علي الخضوع لتلك الرائحة الغامضة المألوفة لها بشكل غريب .. لكن انتصر رعبها أخيرا على كل مشاعرها الغامضة الأخري ليخرج صوتها مبحوحا مرعوبا أجشا وهي تهتف باختناق :- " ابتعد أرجـوك "

لم تستطع فرد أصابعها التي كورتهما بشده تمسك بفستانها حتى كاد يتمزق .. " ابتـعد "

بدت كما لو كانت لا تعرف سوي تلك الكلمة..! طعنات .. طعنات متوالية أصابت صدره .. موضع القلب والنبض تماما .. ليتشتت ذلك الخافق بالألم من جديد .. تمالك نفسه بقسوة وهو يستعيد صبره وهدوءه المعتاد وإن كان يهلكه داخليا .. تراجع عنها حتى وصل للنافذة أعطاها ظهره ،وأخرج عبوة سجائره ليشعل إحداها في الفضاء بينما لازالت هي بموضعها نفسه وإغماضة عينيها تلوك شفتيها في رعب .. هزت رأسها بنفي وصوتها تعلو وتيرته :- " غيرت رأيي .. لا أريد مساعدتك .. لا أريد الزواج منك .. لا .. لا أريد "

كانت تقترب مرة أخرى من الهيستيريا .. كانت تنظر إليه فزعة .. غير قادرة على الحركة .. مرعـوبة انقبضت يده بعنف وهو يسحق السيجارة بباطن كفه .. عل لهيبها .. وألمها يطفئ ألم جوفه .. لم يشعر بيده تحترق .. التفت لها ببطء وهدوء ووجهه لا يدل علي شيء مما يعتمل بداخله هدوء وغموض فقط هو ما كانت تراه منه :-" لا تخافي مني هدى ولا

تقارني بيني وبين ذلك القذر الذي تزوجت منه أما شرطك .. فاعتبريه تم .. لن يؤذيه آسر"

هتـف لهـا بشراسة يحاول أن يثني أصابعه على الألم الذي بدأ يشعر به بيده :- " لكنني أقسم لك أنني أنا سأنتقم لك منه ..كوني على ثقه من هذا .."

لمعت عيناها بدموع رفضت النزول .. مزقت آخر نبض بخافقه .. وخرج صافقا الباب بقوة ارتجت لها الجدران

*****

أخذت قاهرة تروح وتجيء بعصبية .. ماذا تفعل .. ؟؟! سيأتي الآن في أي لحظة ويجب أن تكون مستعدة .. سألت نفسها بحنق مستعـدة لما تحديداً ...؟! لتمزيقه بيديك .. كــاذبة ..؟ لا تستطيعيــن ..! تشعر بكثير من حنق وغضب ورغبة في القتل .. لخديعته المستمرة لها لم تسقط بالفخ دائما.. خاطبت نفسها بضعف لأنك في أعمق أعماقـك تريدين ذلك بل وتسعين إليه .. أنت تريدين أن تقعي في فخه هو ..! لا تصدق أنها أصبحت زوجــته ,زوجة آسر بدر الدين ابتسامه لامست طرف شفتيها.. حتى في أقصى أحلامها جموحاً لم تتخيل أن ترى ذاك اليوم.. الذي تصبح به .. هــي .. زوجة آسر بدر الدين .. ! لملمت طرف فستانها الأحمر الدموي ،وهي تعاود الجلوس على طرف سريرها النحاسي العتيق .. والحزن عاد يلفها بغمامته السوداء مجددا .. لا تستطيع أن تنسى من يكون آسـر ولا أسبابه للزواج منها .. لا تستطيع أن تنسى .. شـذى .. لا تستطيع أن تنسى أنها إن سلمته قلبها سيحطمها ويرحل ..!لا شيء تغير ..فـهو لايزال كما تعرفه ..! مغوي .. فاتن ... مغرور .. أناني ..؟! تعالى غضبها مرة أخرى ببطء .. كلما تذكرت خديعته ومكره .. كان من المفترض

أن يكون اليوم خطبتهما كما اتفقا صباحاً .. اضغطت على أسنانها اللؤلؤية بغيظ تصحح لنفسها بل كما أجبرها لتتحول الخطبة إلى زواج مباشرة وضع والدها أمام الأمر الواقع .. أمام الضيوف المجتمعين حين أعلن بكل بساطة وحالمية جعلت نساء عائلتها يقعن بغرامة مباشرة :-" أنه لا يستطيع الاستغناء عنها .."

مزحة تعرف هي وهو أنها مزحة ساخرة .. وأضاف بمزيد من السحر .. أنه يجب أن يسافرا غداً لبدء رحلة علاجه .. فهو طيار .. وتلك الجراحة ضرورة قصوى قد تؤثر على مستقبله كله ،وأسقط بيد والدها أمام الضيوف ،ولم تكن هي لتحني أو تكسر هامة والدها أبدا حتى ولو على حساب نفسها .. وها هي .. تحترق غيظا .. وتستشيط غضبا ..لم تتفوه بكلمة حين دخل والدها عليها وبيده كتاب المأذون لتوقع اسمها إلى جوار اسمه .. أخذت تنظر إلى خطه القوي الثابت الحاسم تحت خانة الزوج لترتعش يدها دون إرادة منها وتدمع عيناها وهي توقع باسمها .. لترتفع رأسها إلى والدها الذي كان ينظر لها بكثير من حب وفخر وحنان ترك الدفتر من يده ،وهو يعانقها بحنان جعلها ترغب في الإجهاش بالبكاء وهو يهمس لها بكل حب :-" مبروك ابنتي .."

لم تجد ما تتفوه به .. سوى أن دست نفسها أكثر بأحضانه تشعر بالخوف من المجهول الذي وضعت نفسها به .. لا تعرف كيف تتعامل معه ..! كيف تستطيع حماية نفسها من نفسها أمامه ..!اختفت قاهرة التي ظلت 8 سنوات تبني بها .. لتعاود قاهرة الصغيرة المتيمة به ظهورها ..!ابتعد والدها ببطء وعيناه تتلألان بدمعة سعادة وهو يرى ابنته رائعة الجمال والحسن أمامه عروسا رائعة ..كان يشعر بالفخر بها .. الفخر والزهو .. ابنــته الحبيبة لامس وجنتها بأصبعه ،وهو يحاول أن يسيطر

علي نبراته لتخرج حازمة كعادته لكنها خرجت أجشه قليلا ،وهو يقول في محاولة للمزاح :- " لا تجعليني أبكي .. فلن يكون منظري جميلا"

ابتسامه شاحبة لونت شفتيها وهي تقول بفخر ونبرة أجشة بينما رفعت أظافرها المطلية أحمر دموي تمسح دمعة علقت بأهدابها الرائعة :- " ليس والد قاهرة هو من يبكي ولو حتى من فرط السعادة .. ما عاش من يجعلك يبكي أبي "

لتناقض قولها باحتضانه والإجهاش بالبكاء ..ليشدد والدها من احتضانها بحيرة :- " حبيبتي ..لمَ البكاء .. ؟! "

ثم وكأنه توصل لاستنتاج طبيعي ومنطقي لوضعها فقال بتساؤل حنون :- " أأنت حزينة لأننا لم نقم حفل زفاف لك كما كنت تحلمين ..؟! "

كان ذلك آخر شيء تفكر به .. فتلك الزيجة .. لايمكن لها أن تكون حقيقية .. وبالتالي لايمكن لها أن تفكر في حفل زفاف .. رغم أنها تمنته سرا .. رغم أنها لا تنكر حزنها لأنه حرمها حقها الطبيعي كأنثى بأجمل حلم تحلم به فتاة .. ! زفافها الأسطوري .. فستانها الأبيض النقي .. و أميرها الوسيم ..!إلا أنها لم تتفوه بحرف من كل ذلك بل رسمت ابتسامه علي شفتيها لم تصل لعينيها وهي تهمس له :- " كلا أبي بل أنا أبكي لأنني سأشتاق إليك "

رفع وجهها له يمسح وجنتيها ببطء وهو يمزح :- " آهه ستشتاقين لي .. ياللك من كاذبة .. فقط تذكريني بين الحين والآخر إن سمح لك الكابتن بتذكر من يسمى والدك الحبيب "

احمرت وجنتاها خجلا من تلميح والدها الصريح لحبها لآسر .. لكنه لا يدري أن ذلك القاسي لا يحبها .. ليكمل والدها بسعادة دون أن يشعر

بما يعتمل داخلها من فيضان وصراع وخوف وحزن وغضب :- " مبروك بنيتي مبروك .. والآن امسحي دموعك فلايصح لزوجك أن يراك باكية ماذا يقول.."

ثم أكمل بإيحاء باسم :- " أنك لا تريدينه..!! "

زوجك .. يالوقع تلك الكلمة على خافقها الضعيف .. زوجك آسر بدر الدين أصبح زوجها

قاهرة السليماني وآسر بدر الدين يا حمقاء كفي عن ذلك ..!

خاطبت نفسها بعنف لتنتبه لباقي جملة والدها تمتمت باضطراب :- " يراني أين.. متى .. لماذا ؟!!"

انطلقت ضحكة والدها سعيدة تزيد قليلا من توترها ،وهو يقول :- " الآن وهنا .. أنسيت أنك أصبحت زوجته .. جهزي حالك لأنك ستذهبين معه فسفركما غدا حبيبتي ..؟!

فجأة خامرها الخجل بغض النظر عن أي شيء هي تشعر بالخجل الطبيعي الذي قد تشعر به أي فتاة في مكانها أصبح زوجها رغم كل شيء وكل الاعتبارات والاتفاقيات بينهما رغم رغبته في الانتقام حقده وخوفها تشعر بالخجل فالوضع اختلف أصبحت زوجته همست :- " لا أبي لا تجعله يدخل "

لكن والدها لم يسمعها وهو يفتح الباب ليخرج .. سمعت ضحكاتهما خارجا .. صوته العميق الذي أصاب جسدها بشحنات غاضبة قوية .. صمت طفيف ... خطوات مخملية .. ثم إغلاق للباب ببطء هي ليست مستعدة لرؤيته بعد .. تشعر بالغضب الشديد منه ، وتشعر بالخجل في

نفس الوقت تشعر بالفرحة وتشعر بالحزن تشعر بالضعف ،وتبحث عن قوتها فلاتجدها ،فمكثت في مكانها صامتة متوترة ، تسمر ما إن وقعت عيناه عليها حتى وقف مذهولا.. لجمالها هيبة ..لا يستطيع إنكارها .. رائعة الجمال ..كأميرة أسطورية .. بالغة الحسن والجمال .. لم ينس .. ما فكر به أول مرة رآها .. أميرة أسطورية ست الحسن والجمال .. في قصة الشاطر حسن ! رائعة الجمال وصفها .. صعب .. ! صعـــب صعب أن يدع قلبه يصف ما تراه عينيه متألقة .. تشع كما الألماس حتى وإن لم ترتد الأبيض الذي تمنى سرا رؤيتها به .. ارتدت الأحمر الناري .. الذي تألق على بشرتها المرمرية ممتزجا بخصلات شعرها الليلية .. وتقاسيمها الغجرية ليبرزا لوحه من صنع الخالق ... لا يضاهي ربعها أعظم فنان .. أجبر قدميه على الحركة وهو يبدو مسحورا .. تقدم للداخل بخطوات خافتة كتم صوتها السجاد العاجي المنتشر على الأرضية .. حتى أصبح أمامها .. ليرفع أصبعه مبهورا يلامس صفحة خدها ..لتنخفض أهدابها بارتعاشة بسيطة أسرته .. وتتلون بشرتها بالحمرة المذهلة ليشعر فجأة بألم في موضع القلب تماما .. ألم جعله يصدر آهة مكتومة .. باستغراب .. هل لجمال أن يؤلم القلب هكذا .. ..؟! توقفت الأنفاس بحلقها .. لا تعرف ما أصابه.. انتظرت منه كلمة جارحة .. ساخرة .. تبين تفوقه عليها .. انتصاره في حربهما الصغيرة تلك .. لكن كل ما جابهها هو الصمت لهذا الصمت القاتل..؟ خطواته البطيئة كانت تدعوها لرفع عينها إليه بتحدٍ كعادتها لكنها فقط لم تستطع ..شعرت ببرودة قارصة.. ..وكفه تعانق ذراعهاالثلجي بهدوء..بطريقة دفعت بالدموع إلى عينها، همس ببطء دون إرادة منه ومشاعر مجهولة تسيطر على حواســه لرؤية رأسها منخفضا هكذا .. أثارت جنونه :- " انظري إلي .."

لكنها ظلت علي نفس وضعها .. وجهها للأسفـل .. بدأ يشعر بالجنون ..
يريد رؤية وجهها عينيها المتحديتين .. الغاضبتين .. لم يعتد منها هذا ..
دوما كانت تجابهه بالتحدي والعناد .. القوة والشموخ .. يدرك أن تصرفه
الليلة جرحها وبعمـق ..! هو لا يدري لم يفعل هذا .. ؟! لم يرد دوما تحدي
قوتها .. !! شجاعتها تجذبه إليها كما الفراشة لااللهـب .. لكن الآن حين رأى
رأسها المنخفض .. أصابه الجنون .. لا يريد لها الانحناء أمام أحد أبـداً..
ارتفع صوته الأجش بـأمـر :- " انظري إلي "

لترتفع عيناها دون إرادة منها لتعانق عينيه .. بـألم وجـرح .. لتصيبه تلك
السهام اللامعة من عينيها بمقتل .. بدا لعينيها رائعا .. بعينيه الرماديتين
اللتين تحولتا فجأة لما يشبه البحر الأسود متلاطم الأمواج .. خصلات
شعره حالكة السواد الندية .. وصفحة وجهه الحادة .. عظام وجنتيه
المرتفعة قليلا وأنفه الشامخ المتكبر المغرور.. اتحدت النظرات بغموض
لوهلة فقط لينحني عليها ببطء .. ببطـــء لم تستطع معه إلا أن تبقي
مسمرة، وقد كف قلبها عن الخفقان ..تفكر باستغراق .. أسيقبلها ..؟؟!
آسر سيقبلها .. ! مالها تقف هكذا كالبلهاء .. تنتظر قبلته .. اعترفت
لنفسها .. لكنها تريده أن يقبلها .. ! شعرت بشيء كالندي يرفرف فوق
جبينها.. شيء كالنار يمر عبر جسدها .. لم تتوقع تلك الرقة منه .. أغمضت
عينيها دون إرادة منها لتغوص أكثر في ذلك الإحساس .. لايدري ما حدث له
تحديداً ..كان يدرك أنها مختلفة .. لكن لم يكن يدرك أن حاجته لها
ستكون هكذا حارقة .. مميتة .. شعرت بقدميها رخوتين .. اتكأت عليه
ليحتضنها بشدة .. حتى أصبحت تشعر بعضلات صدره القوية تحت يديها
.. تشعر بخافقه كقرع الطبول .. أرادت أن تشهق .. تريد بضعة أنفاس
بعيدا عنه .. لكنها لا تستطيع .. لا تستطيع يأسرها داخل ذراعيه دون
إجبار.. يبدو إن الإجبار يأتي من جسدها هي .. لكن لا يجب لها أن تنسي

.. أنه يريد إذلالها .. يريد إخضاعها .. ! يريد عقابها علي شيء .. قصدت منه كل خير له .. ! لتنتفض مبتعدة عنه بأنفاس متقطعة .. بدا حائرا قليلا وهي تهمس:- " اخرج من فضلك..؟! "

قطب وقد بدا مذهلاً بشعره الأشعث قليلا ونظرته الغائمة .. أهدابها المبللله تدعوانه إليها .. رفع يده يعيد خصلات شعره للخلف ببطء ونظره ساخرة تعلو ملامحه الوسيمة وهو يعاود الاقتراب منها لتتراجع هي خطوه للخلف .. ارتسمت بسمة ساخرة علي شفتيه وهو يقول:- " لم يعد بإمكانك إبعادي عنك حبيبتي .. فأنت أصبحت لي .. زوجتي ... وأخيرا سأحصل عليك مثلك مثل أي امرأة "

لمس صفحة وجهها ببطء ليرتفع رأسها بذلك الشموخ الذي يأسره ويجعل قلبه يرتعش ،أثاره وهي تقول بصوت شامخ مرتعش قليلا :- " لن تحصل علي أنا فأنا أبعد من أبعد أحلامك .. وذلك الزواج أنا وأنت أدرى بأسباب قبولي به لا تنس ذلك أبدا ،استخدمت حبي لوالدي لتجبرني عليه .. كنت صريحا من البداية، واخبرتني احتقارك ورغبتك في تحطيمي واحترمت بك ذلك ،احترمت صراحتك في تلك الحرب بيننا فلا تأتي الآن وتكون منافقا أو متلاعبا كن نزيها في حربك .. "

شمخ رأسها أكثر وهي تقول ببرود يناقض طبول الحرب القارعة بين أضلاعها :- " سأسافر معك .. وسأبقي معك حتى تشفي .. حتى تنتهي عمليتك الجراحية على خير .. وبعدها لن تستطيع إجباري علي البقاء معك .. أبدا "

ارتفعت يدها بتحذيروكبرياء فـــتنة :- " لكن لا تظن أنك بقادر على كسري أو هزيمتي أنا قاهـرة لم أسمي هكذا هباءا "

أخرجها من شرودها طرقة خافتة علي باب حجرتها .. لم يكن مروان يطرق الباب أبدا .. نهرت نفسها بقسوة يكفي هدى أنت تعلمين أن نادر ليس مثل مروان أبدا ليهتف جزء صغير بداخلها: أعرف لكنني لا أستطيع أن أمنع نفسي من المقارنة والخـــوف، أخذت نفسا عميقا، وهي تهمس بصوت بالكاد سمعته هي :- " ادخل .."

ليفتح الباب بصمت .. ويتقدم بطوله الفارع للداخل رفعت عينيها إليه ببطء ،كان قد خلع جاكيت بدلته الرسمية وفك ربطة عنقه تاركا إياها ملاه علي عنقه البرونزي، بينما فتح الزرين العلويين .. كمي قميصه قد تم رفعهما للأعلي ليظهر ساعده الذهبي الشعيرات .. لتتوقف الأنفاس في حلقها .. بخوف .. كل شيء عندها يرتبط بالخوف والرهبة .. لكن شعورا آخرا صغيرا كان يطفو علي السطح ويهبط للقاع فجأة .. و لسان حالها يخبرها بكل واقعية إنه وسيـــم .. بل بالغ الوسامة .. لتنهر نفسها بشدة وما تريد هي من وسامته .. يكفي أن يفي بوعده لها فقط ..! آه لا يستطيع الاحتمال .. رؤيتها بذلك القرب .. بتلك الهيئة .. تلك الخصلات .. ذاك العسل المصفى المسمى شعرها .. اشتاق له ول رؤيته .. اشتاق لحد الجنون .. حد التطرف .. حد الألـــم اقترب خطوة أخرى ونيران بمعدته .. تؤلمه للغاية لكنه تحامل على نفسه ،وهو يقترب أراد لملمة عطرها بصدره الخزامـي كم يعشق تلك الرائحة ..!.. تاملها أشبه ببعثرةأضلع .. ذلك السكون الذي يملأ الأجواء.. صراخ اشتياق ..يصرخ به إذ ذاك النابض بين أضلعه.. تلك الروح...تصرخ بوجع يريد لمســها فقط ليتاكد أنها حقيقة .. وأنها هنـا تقف أمامه دون حواجز أخيرا أراد سؤالها آلاف الأسئلة .. لم .. وكيف.. ولماذا ..؟!! لكنه كان يعرف أن لا فائدة ..؟!! فـهي لا تتذكر.. هي ترفض التذكر ..! عبث بها ذلك القذر.. أتلفها تماما .. لكنه سيعيد للمتها .. سيعيد تجميع تلك البعثرة، ولو كلفه ذلك حياته ..

سيعيد هدى الحلم الذي فتنه، طال صمته وتأمله ما دعاها لخفض عينها بخجل .. توتر وارتباك .. مابالله ينظر إليها هكذا .. تلك النظرات .. يجب أن تشعرها بالاعتزاز .. لكنها توترها .. تجعل فراشات ترفرف أسفل معدتها .. تنهدت وهي تقطع ذلك الصمت بتوتر سائلة إياه ببحة :- " أين سأنام ..؟"

أجبر صوته علي الرزانة ليخرج بحا :- " أين كنت تنامين سابقاً.. ..؟! "

نظرت له في حيرة ليقول بأسى :- " هذا بيتك أتذكرين ..؟! "

رفعت رأسها له بتوتر .. كيف له أن يعلم أنها لا تتذكر ..؟! كيف له أن يعلم ما جاهدت لإخفائه عن الجميع أنها لا تتذكر العديد من الأشياء التي تخص حياتها قبل مروان ..؟! ارتعشت أهدابها ليقترب منها ببطء وهو يقول بحنين جارف :- " لابأس عليك أنا أتذكر "

توترت بألم وهي تفكر .. كيف له هذا ...؟!! كيف يعرف أدق تفاصيل حياتها لم لا يريد أن يريحها ويخبرها كيف يعرفها تلك المعرفة ..! ارتفعت عيناها دون إرادة منها تعانق صفحة وجهه ،وقد تلألأت بهما دمعتان .. ليؤلمه قلبه جدا .. هي كآنية زجاجية بالغة الهشاشة، يخشى عليها من التحطم لكنه لا يملك إلا أن يختبر قوتها ..!! مد يده دون إرادة منه يقبض علي أناملها بقوة وهو يجذبها خلفه :- " تعالي .."

لم تملك إلا أن تتبعه ونار تسري في عروقها لمعانقة قبضته القوية لأناملها الرقيقة، صعد الدرج بكل سهولة، وهي خلفه تتعثر بفستانها الحريري الزمردي اللون .. حتى وصل إلي حجرتها القديمة .. تلك التي تحوي أجمل ذكريات حياته له ولها ..! فتح الباب ببطء .. كانت الغرفة لا تزال كما هي لم يبدل بها شيء منذ اشترى المنزل ،تركها كما هي بقايا

زجاجة عطر , ملاءاتها الوردية .. صورة لها على الحائط .. دخل ببطء وابتسامه تتلاعب على شفتيه دون أن يشعر بمن توترت خلفه قد لا تتذكر شيئ لكنها تكره تلك الغرفه هي تشعر بانقباض .. واختناق .. بدأت تسحب يدها من بين قبضته بعنف ،وهي تهز رأسها برفض ترفض التوغل للداخل أكثر من هذا :- " كلا "

همست بها " لا أحب تلك الغرفة .. لا أحبها .. لن أنام هنا "

التفت اليها باستغراب ..!! ليتفاجأ بشحوبها البالغ .. اصفرار وجهها وعينيها الزائغتين .. يدها التي أصبحت قطعة ثلج بين يديه الدافئة .. فلم يتمالك نفسه وهو يجذبها إليه .. يريد تهدئتها .. يريد إعطائها شيئا من قوته .. يريد إراحتها بالطريقة الوحيدة التي يعرفها .. التي يرغبها .. التي أصبحت بإمكانه ..! ضمها إليه بسرعة وشدة دون إرادة منه .. يريد الشعور بها بين أحضانه , ملك له أخيرا لتنفجر هي ببكاء .. لم يكن بكاءا هيستيريا أو بكاء خوف؛إنما كان بكاء حزن يقطع نياط القلب ليزيد من ضمها إلى صدره الصلب بقوة .. ولتخفي هي وجهها بتجويف كتفه تتشبث بظهره .. بأظافرها .. بقوة .. بقوة حتى شعر بالألم جسديا .. آااه يا هدى ماذا فعلت بنا ..؟! " ضعفت قبضتها التي تشد على ظهره رويدا رويداً .. وتهدأ أنفاسها ببطء .. ارتخي جسدها فجأة بثقل علي جسده .. ليبعدها ببطء فزعا .. ليجدها نائمة .. غصة مرارة احتكمت حلقة؛ حتى أوشك على الصراخ قهرا .. لكنه ابتسم بأسي وهو يرفعها ببطء وحنان بين ذراعيه .. توجه بها إلى غرفته .. واضعا إياها على سريره الضخم .. ثم وقف يتأملها بحب وحنان .. أخيرا أصبحت له زوجته .. حبيبته .. يكفيه وجودها هنا يكفيه .. اختلاط أنفاسها بمحيط أنفاسه .. يكفيه شـذا عطرها .. الخزامي يداعب أنفاسه .. ويملأ كيانه تنهد بِوَلَه مصغى لها،

مد يده ببطء ليزيح حذاءها .. دثرها .. وأطفأ الأنوار .. ثم جلس بالمقعد المقابل لها .. يشبع عينيه من مرآها .

*****

أغلق عليهما باب واحد .. ليزداد توترها .. بعد انفجارها وتحديها له بمنزل والدها التزم الصمت تماماً ..! ولم يشعرها هذا بالتحسن أبداً .. ! حين رفعت أصبعها بوجهه تتحداه .. نظر لها ببسمة ساخرة غامضة وتركها وخرج .. بعدما ألقى لها بجملة باردة واحدة فقط .. " استعدي ..للرحيل .. وجهزي حقيبتك فغدا سفرنا "

وقعت عيناه عليها لتنتشله من شروده الغاضب .. هي السبب ..! كل ما يحدث حوله يمر مرور الكرام .. فقط ليحصل عليها .. ما تلك الرغبة المجنونة التي يشعر بها تجاهها ..لم يكن راهبا ولا زاهدا بمحراب النساء ليجن رغبة بامرأه ..! لكن معها يشعر بالتوق .. التوق الشديد لشيء طال انتظاره .. كالظامئ في الصحاري ،تلك النظرة التي لاحت في عينيها وهي تودع ذلك الأحمد قتلته .. وأشعلت النيران برماد ظن أنه بقى خامداً تفضل ذلك عليه هو .. تبتسم له وتسعي أناملها دوماً لضمه ..! كاد أن يقتلها وهي تتشبث بطرف كم أحمد تهمس له بشيء ما .. لم ير وجهها جيدا لكنه رأى وجهه هو .. وجه عاشق ..! عاشق لزوجته ..! زوجته التي لا يستطيع الحصول عليها ..! كرامته تمنعه ..! كبرياؤه يمنعه ..!! شيء ما أعمق من كل ذلك يمنعه ..! جالت عيناها على المكان بفضول .. شقة عازب من الدرجة الأولي بثرياتها الملونة بألوان قوس قزح .. الديكور البسيط الفاتن .. باللون الأسود .. شقة مغوي ..!! ما شدها بشدة للتقدم هو تلك النافذة الضخمة التي تلقي من ظلال القاهرة الساحرة ببريقها إلى الداخل المظلم .. تقدمت ببطء وحفيف ثوبها يصل إلى مسامعه ..

لتقف شامخة الرأس تنظر إلى القاهرة، رفع رأسه ينظر إليها بعدما كان قد قرر تركها ،والذهاب للنوم قبل أن ينفجر بها .. قبل أن ينفجر كل شيء .. كل ما يخزنه بها لكنه توقف بانبهار لا يكف عن الشعور به يتأملها.. لوحة سرمدية الخلود .. قاهرة تنظر إلى قاهرة .. انبهار سحر تام هو ما يشعر به .. بدت ساحرة .. لا ينفك يردد تلك الكلمة .. لكنها أصدق مثال عما يراه ، ظهرها له بفستانها الياقوتي المشع وأطرافه تتساقط حولها كالشلال علي الأرض ، شعرها الغجري الأسود منثور علي ظهرها وذراعها الثلجي .. رأسها مرفوع بشموخ .. والقاهرة أمامها متلألئة بالأضواء .. صورة لا يعتقد أنه قادر على محوها أبدا من ذاكرته ، أخرج نفسه بقسوة من حالة الانبهار تلك أجبر صوته على البرود قائلاً :-" هنا غرفتك .."

التفتت ببطء وعينان تتلألآن بألف شمعة ليبتلع ريقه الجاف بقسوة، يجبر قدميه على التحرك بعيدا قبل أن يتهور ويعيد تلك القبلة بينهما مرة أخرى .. وتلك المرة لن تكون قبلة هي ما يتوقف عندها .. ! تركها وذهب .. اختفي خلف إحدي الحجرات المنتشرة بشكل دائري أمامها ، الفظ البارد الجلف .. أوووووه تتميز غيظاً وحزناً .. ألم يتمكن من قول جملة ما جيدة .. أن يسألها إن كانت تحتاج شيئا ما .. أن يتجول بها داخل شقته الفخمة .. لكن كلا ..بل تركها واقفة كما هي .. كانت تناقض نفسها بشدة ،ذلك هو حالها .. تريد اهتمامه وتخشى منه .. تريد حبه وترفضه في نفس الوقت .. رفعت رأسها بشموخها المعتاد ،وهي تهمس لنفسها لا يهم لا أحتاجه .. أبدا.....! اتجهت لغرفتها التي أشار لها وهي تتعثر بحواف فستانها المتألق .. بغضب وعصبية .. لم تتأمل الغرفة .. فلم يكن بها شيء مميز .. غرفة عادية .. لا تدل على شخصية صاحبها .. غرفة ضيوف كما يقال .. أضاءت الأنوار، واتجهت إلي المرآة تنظر لنفسها .. بأسى لم يعلق

حتي علي جمالها .. الرجل الوحيد الذي لم يعلق يوماً علي جمالها .. هي لا تسعي للمديح .. فهي تعرف أنها جميلة .. لكنها تمنت منه أن يخبرها هذا ..! هزت رأسها بغضب من نفسها توقفي

توقفي قاهرة توقفي مابالك ؟! أصبحت غريبة عن نفسك حتي ..! تنهدت وهي تنزع الملاقط والمشط الماسي من شعرها لتشعر بحرية خصلات شعرها علي كتفيها .. مدت يدها للخلف تفك السحاب .. لكنها لم تطوله ... فالفستان دائري الظهر تحت عظمتي كتفيها .. فكرت ساخرة اختيار شذي .. التي دخلت إليها معتذرة بعد انفجارها صباحا .. معتذرة وباكية ومعللة .. كيف أن رؤيته مرة أخرى فاجأتها .. ! كيف يتم زواجها منه بينما كانت دوما تنعته بالمغرور الفظ المتعجرف ..فاجأتها .. !! لكنها احتضنت قاهرة .. تتمني لها السعادة ..! لا تعرف سبب تغير تفكير شذي بسويعات قليلة .. لكنها كانت قد وصلت لمرحلة عدم الاهتمام كثيرا .. يكفيها ما هي فيه من مصائب ..! يكفيها أنها لا تستطيع أن تخبر شذى أن كل أفكارها وكلامها لايزال كما هو فهو لايزال باردا متعجرفا مغرورا .. الفرق الوحيد أنها ادعت حبه حتي أصبحت تحبه فعلا ..! أووه ..حاولت مرة وأخري وثالثه حتي نفذ صبرها .. ستكون ملعونة إن نادت عليه .. ستكون ملعونة حتي ولو اضطرت للنوم بذلك الفستان المزعج .. ستنام به ..ولا أن تطلب منه مساعدتها!! حتى ولو اضطرت لتمزيقه إرباً.. برقت عيناها بالسرور لتلك الفكرة اتجهت للحمام وعيناها تبرقان بغضب وتصميم وعنـــاد لم تجد أي شيء يساعدها على تمزيقه .. خرجت من غرفتها بعدما لملمت أطراف الفستان بيدها .. ونظرت حولها .. ميزت المطبخ الأمريكي الطراز واتجهت له .. فتحت الأدراج بقليل من عنف .. لابد وأنه نائم الآن .. وما قد يشغل باله ..! وجدت سكينا صغيرا لتهتف بفرحة .. رفعت يدها وأمسكت صدر الفستان بيد ... وباليد الأخرى السكين

أخذت نفسا عميقا تتحسر على الفستان الرائع ،ثم بدأت بشق الفستان من عند الصدر ..! فكرت تواسي نفسها هو شق صغير فقط ما يكفي لأستطيع خلعه ..!

" ماذا تفعلين ..؟!! "

أتى صوته فزعاً .. وهو يرى السكين بيدها قرب صدرها تماما .. اقترب بخطوات سريعة منها في حين رفعت وجهها هي في صدمة .. لتكمل بارتباك وضيق .. :- "كنت أحاول خلع الفستان ...؟ "

هدر صارخا ..: كيف ؟! بتمزيقه أم بقتل نفسك

قالت بعناد وحنق من سخريته منها .. :- "لم أستطع فك السحاب"

اقترب أكثر وأكثر حتى أمسك بيده الحارة صدر الفستان الشبه ممزق لتخز أنامله جلدها بطريقة دفعت الاحمرار ليتصاعد مكتسحا بشرتها بينما بدا هو غافلا عن تأثيره عليها وهو يصرخ بها بغضب :-" ولم يخطر ببالك أن تطلبي المساعدة ..؟! "

صمتت ليكمل هو بسخرية أشد :- " لكن كلا بل أتيت بسكين تريدين تمزيق الفستان ،وقد تقتلين نفسك ولا أن تطلبي مني المساعدة "

ليخشوشن صوته بالمقطع الأخير :-" أليس كذلك ..؟! "

أخفضت عينها ببطء دون قدرة على الاعتراف بصحة ظنه .. أخذ نفسا عميقا يحاول أن يهدئ من خفقات صدره الفزعة .. فقد ظن حين خرج ليشرب .. ظن أنها..! منظرها والسكين بيدها قرب القلب تماماً .. لا يزال يشعر بالفزع .. الفزع والخوف وهو لا يحب ذلك الشعور لا يحبه أبدا ..!

سحب السكين من يدها ببطء وهو يهمس لها بصوت متحشرج :- " استديري .. "

رفعت إليه عينين متوترتين رافضتين لذلك القرب الكاسح منها .. لتلاحظ عينيها شعيرات صدره العاري الذهبية .. كان يرتدي البنطلون فقط .. بينما وقف أمامها بطوله المهيب وعضلات صدره القوية خصره الضامر .. لتشعر فجأة بتسرب الهواء من رئتيها تماما ..! التفتت ببطء لتشهق بخفة ما إن لامست يده الباردة صفحة ظهرها الحارة .. بدا أن يديه تباطئتا في رفع خصلات شعرها السوداء الغجرية قليلا ..ليزيحهما جانبا ببطء .. لامست أنامله عمودها الفقري ببطء .. فتح السحاب قليلا بمهارة .. ولم يبتعد .. تشعر بالاختناق يجب أن يبتعد .. فهو يأسر ذرات الهواء كلها له وحده .. وجيب قلبها بدأ يصم أذنيها .. لتختنق تماما حين حوطتها ذراعاه الحارتان ببطء من الخلف يشد خصرها الضئيل إليه .. يريح رأسه علي قمة رأسها دافناً أنفه بين خصلات شعرها يستنشق بعمق .. تسمرت لم تجرؤ على الحركة .. أو حتى التنفس .. وصدره الحار يلفح ظهرها بموجات كهربائية لذيذة أغمضت عينيها ببطء واشتياق .. تريح جسدها علي ظهره ليقفا صامتين .. لدقيقة .. وحين خرج صوته كان بحاً ،وهو يهمس مرغما :-" خفت عليك .. !!

لترتعش أهدابها بتلك اللؤلؤة العزيزة .. لم يفعل هذا .. ؟؟ لم يعذبها هكذا .. ؟! كيف يكرهها ويعاملها تلك المعاملة .. حاولت الابتعاد .. لتشتد ذراعاه حولها بقليل من حاجة همس بنفس الصوت الأبح :- " ابقي .. "

حاولت الابتعاد رغم ذلك لكنه أدارها إليه ببطء ..فكر ..شيء يدعوه للموت هاهنا ببراري عينيها ..!كان ينظر إليها بطريقة سمرتها .. وجعلت من الصعوبة عليها التنفس لتنفرج شفتاه عن بسمة ثقة وغرور ! لتشعر

بتلك البسمة .. الرقراقة .. كخرير عالي الضجيج .. كانت تلك الابتسامة هي ما أيقظها من هذا الحلم القاني الذي أغرقها فيه ..! لتبتعد شــاهقة دون حرف هاربة إلى غرفتها صافقة الباب خلفها بقوة ارتجت لها الجدران

*****

كان الصمت كالعادة شريكهما .. لكن الليلة طغى الصمت على الجميع .. ريم .. نائل .. و شادن ومحمود الذي طغي دخان سجائره على جو السيارة .. رمت شادن رأسها خارج النافذه تشعر بالاختناق .. ليس من السجائر لكن من كل ما يحدث حولها بينما كانت نظرات نائل محيرة .. وريم ضائقة .. تنظر لمحمود بشيء من الغضب و التفكير ..حتي همست شـادن باختناق ..:-أوقـف السيـارة .! توترت أعصابه، لكنه لم يتوقـف بل ازدادت يداه تمسكا بمقود السيارة .. ارتفع صوتها وهي تعبث بمقبض الباب

أوقف السيارة الآن حاااالا

.. فتحت الباب قبل أن تتوقف السيارة تماماً لتهرول راكضة منها .. كان الشارع يعمه الهدوء والصمت .. والسيارات المسرعة تمرق خلفها .. برودة تسللت إلي أطراف أناملها .. تدعوها للانهيار لتسقط ببطء علي ركبتيها باكية .. تشـعر بالاختنــاق ما عرفته الليلة .. يقتلها .. يقتلها ببطء .. ما أخبرتها به هدى ..! وجع انتشر بحنايا روحها .. والدها .. كيف له أن يكون هكذا .. ! لماذا نجت هي ..!آسر لا يعلم بنصف ما حدث لـ هدى .. آااااه لو يعلم ..!وهدى ..!!وذلك الـرائع ... الذي أنقذها ..!أرادت احتضانه .. أرادت شكره .. حمدت ربها أنه كان موجودا لأجل أختها .. بدت كل

مشاكلها كل مشاعرها تافهة، كل ذلك أمام ما مرت به أختها ..اهمت ريم باللحاق بها حين أوقفها محمود بخشونة :- " ابقي هنا.. "

ليترجل في صمت من السيارة .. اقترب منها وأصبح يشرف علىها بطوله الفارع ليقول بخشونة وقسوة " يكفي شادن .."

شهقت شادن وهي تبكي ببطء وألم موجع ..:_لا أسـ ـ تـ طيـع التـ ـو قـف ..! آآاااااااااه .. إااهئ هئ

ليعلو صوته بقسوة بالغة بينما اشتدت ملامحه تصلبا وعيناه جمودا وإن كانت طريقة وقفته توحي بالغضب الشديد ..حاول السيطرة على غضبه .. حاول كثيرا .. حاول ألا يهتم لكن رؤيتها بهذا الشكل .. دمرته..!

" قلت لك يكفي .. كفاك طفولية وانهضي إلى السيارة "

رفعت إليه عينين مجروحتين بالصميم ،وهي تصرخ بصوت متقطع :- طفولية .. أترى كل ما يحدث لي طفولية "

قال بقسوة وهو يضغط على أسنانه :- وماذا يحدث لك .. شادن..؟"

أكمل بسخرية :- كما أرى أنت لم ولن يحدث لك شيء أنت لم تر ما يمكن أن يحدث لفتاة مثلك حتى تنوحي هكذا

تلونت نبراته بالغضب والحزن ، وهو يكمل :- ما حدث كان لأسر , لهدى لكن لك أنت لا,لم يحدث لك شيء لم تر الفتيات في مثل عمرك وهن يقتلن ، يعتدي عليهن يمزقن كل يوم"

اخشوشن صوته والنيران تحترق بالغابة السوداء هادراً :- لم تر الأمهات ينتهكن يغتصبن .. يفقدن أولادهن وأزواجهن وأهلهن وكل عالمهن في لمح البصر"

انخفض صوته وهو يستمر :- لم تر أخاك وهو يقتل أمام عينيك .. صديقك يعذب حتي الموت .. لم تر منزلك وهو يشتعل ولا بنات قريتك يحرقن أحياء أنت لم يحدث لك شيء فانهضي واحمدي ربك علي نعمته "

كانت دموعها قد جفت تماما الآن .. بينما توقفت الأنفاس في صدرها رهبة وفزعا للصور التي أخذت تخيلها لما يحكي عنه خرجت أنفاسها متقطعة، وهي لا تري منه سوي ظله الباهت في الظلام السائد لتنهض بصمت عائدة إلي السيارة رافعة رأسها وقد تبدل عالمها تماما منذ تلك اللحظة .

*****

فتحت عينيها تشعر بشيء من الحيرة .. أغمضت عينيها مره أخري تقاوم النعاس الشديد الذي تشعر به ... غاصت بأنفها بين الوسائد ..ترتشف من عبق تلك الرائحة المسكرة الحادة التي تتخلل مسامها .. أخذت نفسا عميقا، وهي تغمض عينيها .. منذ متي لم تنم .. لا تدري يبدو أنها لم تنم دهرا من الزمن .. تثاءبت ببطء ،وهي تتمطي بأريحية وتلك الرائحة لا تزال تلفها كالمخدر .. شيئا فشيئا بدأ شيء من الإدراك والوعي يجولان برأسها الطافي فوق الضباب .. لتنهض فزعة والملاءات تتطاير حولها خصلات شعرها التي أفلتت من عقالها أعمت الرؤية عن عينيها .. ! أخذت أنفاسا سريعة متلاحقة ساقيان ممددتان أمامها .. رفعت يد ترتعش تزيح خصلات شعرها العسلية بعيدا بقليل من عنف .. تدقق

النظر ليتوقف قلبها عن النبض .. فقدت نبضة واحدة .. ليعاود الضخ عبر أوردتها بسرعة شديدة .. نـادر ..! نادر .. أمامها .. نائم .. بدون راحة كما يبدو .. يجب أن تشعر بالخوف والفزع .. ماذا يفعل هنا في غرفتها .. ؟! تساءلت .. هل هي غرفتها ..؟!تلفتت حولها .. هل هي غرفتها أم غرفته..؟!! الغرفة تبدو رجالية صرفة ..! كيف أتت إلى هنا ..لتتذكر ما حدث بالأمس .. لتتصاعد الدماء إلي وجهها بعنف .. غريب أمره .. من أين يعرف الكثير من الأشياء عنها .. أحيانا تشعر به يدرك أفكارها قبل أن تتفوه بها .. حتي وإن لم تتفوه بها يكفي أن ينظر لها ليعرف ما يجول برأسها ..! لكنها لا تخافه .. هزت رأسها باطمئنان ..هي لا تخافه .. هو وعلي غير عادة الرجال يعيرها الأمان .. ربما لأنه صرح لها أنه لا يريد شيئا منها .. لا تراوده أفكار الرجال القذرة وحاجاتهم البائسة ..! أصدقاء ..؟! تشعر به أقرب إلي صديق لها من زوج ..! زوج...! توترت من تلك الكلمة .. هزت رأسها برفض ..لكنه لايريد منها شيئا، هو فقط يرغب في مساعدتها .. يبقي أن تعرف لم ..؟!! لم يريد مساعدتها ..؟! أعادت النظر إليه تلك المرة بفضول حذر..يبدو وسيماً .. بالغ الوسامة ولحيته القصيرة قد طالت قليلاً .. لا يبدو مرتاحا في نومه علي ذلك المقعد الضيق وقدماه تطالان السرير .. لم تر رجلا بطوله من قبل ..! نهضت ببطء تقترب منه بخفة .. وشرارة غريبة تشتعل بداخلها .. شرارة مرحة علي غير العادة .. ! رموشه في غاية الطول .. ذهبية اللون .. حاجباه وذلك جرح بحاجبه الأيسر .. مدت أناملها ببطء ودون إرادة تقريبا تتلمسه لينكمش حاجبه ببطء تحت ملمس أناملها.. لتتراجع بفزع وخوف .. لكن حين لم يتحرك عاودت الاقتراب بفضول غريب وشيء ما يأسرها لملامسة ذلك الحاجب مرة أخرى .. شيء غامض .. صورة ضبابية .. لشمس أسرت عينيها قديماً ..لتتعالي ضحكة شقية بداخلها ..! كانت تشعر بالغرابة .. لم تعد تريد الشعور بالحزن أو الخوف .. أو القلق .. الرعب لمست ذلك الحاجب ببطء وانبهار .. وتأمل .. أخذت

أصابعها ترتبان تلك الشعيرات الناعمة ببطء حين انتفضت فزعة فجأة خارجة من بحر أوهامها على يده التي قبضت علي أناملها بقوة وهمسته الأبحة بتأثير النعاس:- ماذا تفعلين ..؟

سحبت يدها بشدة وهي تبتعد بوجل .. لتتسع بسمته الناعسة .. جذبت الشرشف بسرعة رهيبة تداري شعرها وجسدها خلفه حتي أصبح كرداء كبير للغاية عليها.. لتشتعل النيران بشمس عينيه ،وهو يهب فجأة ما أفزعها وجعلها تتراجع للخلف خطوتين .. لتشهق وهو يسحب الشرشف من حولها لايريدها أن تختبئ منه بعد الآن .. لا يتعمد معاملتها بقسوة لكن الكيل فاض به .. حتى رؤيتها تريد حرمانه منها .. منذ لحظات كان مسرورا لأنها تلمسه بإرادتها حتى وإن ظنته نائما ، همس بقوة .. مشاعره وكلماته المقتضبة تسبقه :- " لا تختبئي مني بعد الآن .. لن أسمح لك ..؟"

رفعت بصرها إليه بعينين مذهولتين وهي تهمس ..:_" ماذا ..؟!"

رمى الشرشف علي السرير وهو يتركها متجها للحمام قبل أن يتهور :-" كما سمعت تلك آخر مرة تخبئي نفسك مني خلف أي شيء ..!"

الفصل الثامن
ذاكـرة .. أحاسـيس

هُنالك كراهية لا يضاهيها حب ..

هُنالك حُب في شراسة الكراهية ..

هُنالك أنا..

هُنالك أنت..ّ

لا يدري كم بقيت داخل الحمام، يبدو له منذ الأزل يشعر بالقلق عليها ..القلق البالغ ..! عنَّف نفسه بشدة تهورت نادر .. تهورت على غير عادتك .. سخر من نفسه بشدة .. ومنذ متي كنت على طبيعتك..؟!! منذ رأيتها من خمس سنوات وقد أصبحت شخصا آخر..!! يحبها .. يحتاجها .. يشتاق إليها ..!كل تلك مفردات بسيطة متداولة .. لكنها صحيحة .. لم يكن يعرف ماهو الاشتياق حتى أصبح يشتاقها ..!ولم يكن يعرف ما هو الاحتياج .. حتي أصبح يحتاجها..! أما الحب ...!فهو لم يكن له تعريف بقاموس حياته حتى رآها .. حتى أهدته ذلك الجرح الأول .. وتوالت بعدها الجروح .. يقولون .. الحب ينمو بالبعد .. بالاشتياق .. بالاحتياج وهو .. مارس طقوسهم ..طقس .. طقس ..! أخذ يزرع الغرفة ذهابا وإيابا بتوتر .. لاحت بسمة علي شفتيه .. رفع يده يتلمس حاجبه .. يشعر بالجنون لأنه يحب ذلك الجرح .. أيعقل أن يحب أحدهم جرحا ما ..؟! رغم كثرة الجروح بجسده إلا أن ذلك الجرح هو الأحب لقلبه ..!ذلك الجرح هو ما كان يجعله يصبر .. هو ما كان يدفع بالحنين لقلبه العطش لها ولرؤيتها .. ثلاث سنوات كان يراقبها من بعد ..!يراها .. أحيانا كان يشعر بالجنون حين يراها .. يشعر بالرغبة بالصراخ .. يشعر برغبة في الهرب والابتعاد .. وأحيانا كثيرة ما كان يطيع رغبته تلك ويبتعد ؛فتلك ليست هدى التي أغرم بها ..!تلك أصبحت امرأة متزوجة ..! أحيانا كان يشعر بالنقمة عليها .. كم من الليالي استغفر ربه كثيرا وطلب منه نزع حبها

من قلبه .. كم من الليالي كان جرح حاجبه ذلك يؤلمه بشدة .. ينبض بالألم بطريقة غير طبيعية .. رغم صغره الشديد وعدم أهميته إلا أنه كان يؤلمه .. يشعر أن ذلك الجرح كان صلته بها في البعد ،كلما تألمت شعر به ينبض بالألم .. حاول إبعاد نفسه كثيرا .. قبل أكثر المهمات جنونا ..! وأكثرها خطرا .. أصيب في مراحل كثيرة إصابات مميتة لكن..دوما كان هناك شيء ما يحثه على الاستمرار علي المقاومة ..علي البقاء بالجوارجعل شغله الشاغل معرفة كل شيء عن مروان ..! تغير كثيرا عن مروان الذي كان يحكي له آسر عنه .. الذي طمأنه آسر أن أخته بأيد أمينة لكن الواقع كان مختلفا ...!مروان أصبح بطريقة ما مثيرا للشبهات .. ذا تعاملات مريبة..! يعمل بتجارة السلاح ..! يعمل بتبادل المعلومات السرية والخطرة مع جهات غربية ..! والأهم ما ورده عن شخصيته الملتوية المريضة وطرقه السادية التي كان يتعامل بها مع بعض فتيات الهوى الذي دائب على التردد عليهن ..! برقت عيناه للذكرى ،وكان يجب أن يضعه تحت نظره ..!هناك تغير غريب أصابه منذ تلك الفترة, تغير مروان كان بشعاً ،طرق الحائط بيده بشدة ولوم كان يجب أن ينتبه أبكر من ذلك ..!! كان يجب عليـــه ...!

*****

تململت شادن بسريرها .. لا تستطيع النوم .. لا تستطيع ...! نظرت إلى ريم النائمة .. تجولت عيناها بالحجرة المظلمة .. تنهدت بملل .. ستجن .. اصرت ريم ان تنام عندهم بعد انهيارها أمس !! فكرت بتشتت .. تحتاج جرعة ماء ..!! لكنها لا تستطيع الخروج .. فمحمود ونائل .. بالمنزل .. سيرحلان غدا بعد مجيء والدتهما .. نادت بصوت خافت :-" ريم ..! "

لكنها لم تجب " ريـم"

لا فائدة .. أوووف نفضت الفراش عنها ببعض الغضب .. ووقفت .. اتجهت للنافذة ..كان الهواء يعصف في الخارج والأشجار تتمايل بعنف .. أسندت جبهتها إلى زجاج النافذة البارد .. قلبها يؤلمها .. يؤلمـها بشدة ما مرت به في الفترة الماضية .. كفيل بجعلها تنضج .. تتغير .. يكفي سخافات وأحلام .. ومراهقة .. حين سمعت محمود يتحدث بتلك النبرة .. كانت تلك هي المرة الأولي التي تدرك أنها لمحت ولو شيئا صغيرا مما يعتمل داخل نفسه .. لتدرك أنها تافهة وأنها يجب أن تنضج ..! هدى أختها .. لازال قلبها يؤلمها لما مرت به .. لكن هدى قوية لطالما كانت كذلك .. وهي لاتخشى عليها .. آسـر ..أيضا قوي .. لم يعد هناك سواها .. يجب أن تدع الضعف والاتكال على الآخرين جانبا ..! الآن تشعر أنها ليست متوازنة .. تريد الابتعاد ..! فقط الابتعاد .. تريد للمة شتاتها .. والعودة قوية ..! محمـود لم يكن هناك تعريف لما تشعر به تجاهه ،لكنها الآن تدرك أنها تحبه .. تحب قضيته .. حزنه .. قوته .. صمته .. ولكي تكون جديرة به يجب أن تتغير .....! نقطة وفاصلة توقف ..! ابتلعت ريقها .. تشعر بالعطش الشديد .. تنهدت وهي تفتح الباب بصمت وهدوء شديد .. اتجهت على أطراف أصابعها للمطبخ تعرف طريقه جيدا .. كان الظلام يعم المكان .. فتحت الثلاجة .. ووقفت أمامها .. نسيت ما جاءت لأجله مشوشة .. وغصة تحتكم قلبها .. زفرت بعنف وهي تمسح دمعة حمقاء تريد السقوط ...! رفعت المياه إلى شفتيها .. لكن ما إن لامست المياه الباردة شفتيها حتي أعادتها .. لم تعد تريد الشرب ..! أغلقت الثلاجة والتفتت ببطء .. لتشهق حين واجهتها تلك الهيئة المظلمة همس محمود ببطء :- " مرحبا شـادن "

لم تجب .. هزت رأسها برفض ،وهي تتجه للخارج .. حين نهض محمود بسرعة من مقعده ليسد عليها طريق الخروج بطوله الفارع وعينيه المظلمتين كأغوار بئر عميقة بلا قرار وهو يهمس بإصرار :- " انتـظري..!"

تسمرت مكانها حين أصبح بذلك القرب منها .. لم يكن يوما قريبا منها هكذا .. يفصل بينهما بضعة أنفاس فقط .. همست بصوت مبحوح :- " دعني أمر.."

بنفس الهمس والبحة هتف :- " كلا .. يجب أن أعتذر لك ..؟!

انتفض قلبها وهي تهمس :- لم تعتذر ..أنت لم تخطئ فيما قلت .. أنا كنت سخيفة "

هز رأسه برفض لمنطقها لكنها قاطعته بغصة " والآن دعني أمر"

" شـادن .."

أتي صوته بتلك اللهجة .. المذهلة .. بحنانها ..وهو يطالبها :- " انظري إلى ...؟!!"

هزت رأسها برفض .. لتقترب أنامله من صفحة وجهها بتردد حتي لامسها .. كانت اللمسة بخفة الفراشة لكن تأثيرها كزلزال مدمر .. ارتعشت وهي تشهق بحثا عن الهواء .. لتتخلل رائحة الريحان المميزة أنفها .. لم تقو على التراجع ..الابتعاد أو الصراخ ،فانوس مقاومتها يندثر هنـــا .. بين يديه ...! سأل بنبرة غريبة :- " هل سامحتيني ..؟!"

أويسـألها ..؟!! هزت رأسها وهي تهمس بخفوت " نــعم ..!"

لتسقط أنامله الملامسة لوجنتها بخفة، وهو يأخذ نفسا مرتعشا .. قائلا بحنان :-" إذن ليلة سعيدة صغيرتي ..!"

ترقرقت الدموع في عينها بمرارة وهي تومئ بيأس لتنطلق بسرعة قصوى .. من جانبه بعدما أفسح لها الطريق بتثاقل ..!

مُتعبةٌ ..

فَمعه هوَ فقط .. لا وجود للعقلانية ..

وكأنما بخطواته .. أجراس نهاية لحكمتي واتزاني ..

يرسل إلي سهام النظر .. سهماً فآخر

لا سبيل للمقاومة ..

فَماهي سوى لحظات فقط .. لأمتليء به من جديد وأنظاره

وكأنما قد زرع شيئاً من أنفاسه في صدري الصغير ..

لأُصاب بالحمّى اللذيذة

هدى العلي

*****

لا تدري كم ظلت مختبئة بالحمام لم تكن لتخرج لو لم يطرق علي الباب طرقات هادئة تناديها .. " هدى .. أأنت على مايرام ...؟!!

أهي على مايرام .. تشك بذلك نبضات قلبها تؤلمهامن شدة قوتها ..! لاتدري كيف زجت نفسها بذلك الموقف .. لا تستطيع .. لا تستطيع الخروج أمامه بذلك الروب .. وهو كل ما وجدت بالحمام .. تشعر

بالخجل .. بالخطر ..! غسلت وجهها بشدة، وجمعت شعرها بقسوة في ضفيرة طويلة خلف رأسها نظرت للفستان الفيروزي اللون .. كان رائعا .. رائعا وجميلا وأنثويا ..! مضى زمن منذ شعرت بأنوثتها .. دون خوف .. دون توتر .. دون رعب من أن تكون جمـيلة ..! لازالت تتذكر البارحة .. تساءلت في حيرة وعيناها اللوزيتان تلمعان باستغراب أكانت البارحة ..؟! تبدو بعيدة جدا .. لازالت تذكر حين طرق بابها .. بعد خروجه العاصف من عندها بسويعات قليلة .. فتحت الباب بتردد لتجد صندوقا كبيرا للغاية ذهبي الشعر ذو شرائط فيروزية اللون ..أمام باب حجرتها .. جذبته للداخل بتردد فتحته بنبضات مترددة حائرة لتجد ذلك الفستان المبهر .. فيروزي اللون .. سقطت ورقة بسيطة من بين طيات الفستان، وهي ترفعه لتتأمله ،فتحتها بوجل لتجد بها كلمتين مقتضبتين

" استعدي للذهاب "

التوقيـع

" نـادر"

لترتعش شفتيها بابتسامة حزينة .. تلك أول مرة في حياتها يهديها أحدهم هدية بتلك الروعة .. وذلك الجمال .. تلك أول مرة يفكر أحدهم باحتياجاتها قبل أن تفكر هي بها .. !! لم تكن قد فكرت كيف ستذهب لزفاف آسر الذي أخبرها عنه بشيء من السرعة بعد عقد قرانها ..! أغمضت عينيها وهي تنظر للمرآة .. تشعر بالحزن رغما عنها .. لما لم تلتقيه سابقا ..؟! ربما حياتها كانت تغيرت كثيرا قبل أن تصبح بتلك الصورة المشوهة لأنثى محطمة من الداخل ..! أتت طرقته مرة أخرى، وصوته الوجل يخرجها من شرودها.. " هدى أأنت بخير..؟! "

مما اضطرها لتهمس بخجل :- " أنا لا أجد ما أرتديه "

لاحت بسمة سعادة على شفتيه فهي تحادثه .. كان يشعر بالسعادة لأقل رد فعل منها حتي وإن كان الخجل أو التردد همس بانشـراح :- " انتظري قليلا.."

فتح دولابه وأخرج منه إحدى بيجاماته .. اقترب من الباب ومد يده بها إليها قائلا :- " عذرا .. لم أجد سوى تلك ارتديها مؤقتا حتي نشتري كل ما يلزمك " مدت يدها بتردد .. سحبت البيجاما وأغلقت الباب بسرعة لتقف مذهولة بيجامته ...!!!ايريد منها ارتداء بيجامته ..اهزت رأسها بتوتر " كلا .. لن يحدث .. كلاااااا.. هي لا تستطيع .. لا تريد !! والحل هدى الحل أن تبقي محتبسة في الحمام حتي يخرج هو لشراء ملابس لك !! هزت رأسها بالرفض .. الخياران .. يصيبانها بالتوتر .. أن ترتدي ملابسه ..أو أن تدعه يخرج لشراء ملابس لها..البديل أن تعود لارتداء الفستان مرة أخري ..أو تستطيع.. برقت عيناها لتلك الفكرة تستطيع لف الشرشف الطويل على جسدها كعباءة ..! ساءلت نفسها بتعقل .. لـ متي هدى ..؟! لمتى تستطيعين البقاء بالشراشف ملفوفة كالمومياء حول جسدك ..! فكري بتعقل تلك البيجامة لن تعضك .. نظرت لها بخوف ..! ألن تعضها حقـاً..؟!! قربت البيجاما من أنفها لتصعقها رائحة عطره التي لازالت متشبثة بذرات القماش مختلطة برائحة المنظفات ..! احمر وجهها بخجل ..صححت لنفسها .. بل باشمئـزاز ..! لا تستطيع ارتدائها .. طرقة أخرى :- " هـدى ..!هل انتهيت أريد استخدام الحمام "

همست بتردد :- " .. حسنا انتظر"

لا مفر .. ارتدتها علي عجل ودون أن تترك لنفسها وقت لمزيد من التردد .. غمرتها رائحته العذبة لتشعرها بالدوار وشيء من النفور .. جذبت

الشرشف للفه حول رأسها حين تذكرت تحذيره أوووف زفرت بسخط ،وهي تأخذ نفسا عميقا .. نظرت لمنظرها بالمرآة شدت البنطال جيدا حول وسطها .. رفعت الأكمام قدر استطاعتها .. وثنت البنطال قدر المستطاع .. هتفت بسخط .. فهي لم تر رجلا في طوله من قبل .. تبدو كالمهرج بتلك البيجاما .. لا تستطيع .. تشعر بالمرض .. خلعت البيجاما بسرعة رهيبة .. لن تسمح لأحد بإخافتها بعد اليوم .. لن تسمح له أو لغيره بإخافتها .. لا تريد ارتداء شيء لامس جسده ، ولن تدعه يجبرها قالت لنفسها بحزم .. بعزيمة لن تدعه يجبـرها ..!.. كانت تشعر بالرعب بداخلها خوفا من ردة فعله .. لكنها لن تضعف .. فبقرارة نفسها تدرك أنه لن يكون أبـدا مـروان

لفت الشرشف حول نفسها ربطته علي شكل ساري ، فكت ضفيرتها حتي غطي شعرها كتفها ومعظم ذراعها .. تنهدت .. تشعر بالضيق والخجل والخوف والعنـاد فتحت الباب خرجت منكسة الرأس .. يرتعش قلبها في انتظار تعنيفه .. صراخه إجباره لها أو ساديته .. ليجابهها الصمت ! رفعت عينيها ببطء بعناد وخوف.. لتقابلها عيناه ونظرة سائلة تلمع بهما .. تاه في تلك النظرة بعينيها ،ذلك العناد الذي يشع خلف الخوف بعينيها .. تلك الفتنة المتمثلة أمامه تدفعه دفعا للتهور ما تفعله به صـعب لا يستطيع التحمل يريد احتضانها .. فقط احتضانها ..! لكنه لم يتحرك من مكانه الخوف في عينيها كان يجبره علي الثبات إن أراد استعادتها .. استعادة هدى القديمة، فيجب عليه الثبات حتي تدرك من هو !! لكنه خالف كل أوامره لعقله بأن همس ببطء :-"أنت جميلة للغاية !"

توقف الهواء حولهما .. رفع يده ببطء يلامس خصلات شعرها بانبهار تام .. وتسمرت هي ..! اقترب منها خطوة بالحيز الضيق لباب الحمام .. زفرت بتوتر وخوف وكلمة ابتـعد تتكون علي شفتيها انحني مقتربا من وجهها

ببطء .. الخوف يشل أطرافها .. تريد الصراخ .. تريد تمزيق وجهه بأظافرها .. لكنها تقف مسمرة ..تشعر بالرغبة في التقيوء .. لو تجرأ فقط ولمسها .. ستفرغ ما في جوفها بوجهه ..خائفة، ولا قدرة لديها علي الرد .. همست لنفسها جبانة .. لازلت جبانة هدى .. ولن تتغيري .. من تخدعين ..الم يفته ارتعاش شفتيها .. أنفاسها المتسارعة .. ارتعاش يديها وشحوب وجهها .. اقترب أكثر .. حتي أصبح فمه الدافئ ملامسا لأذنيها ليهمس بكل هدوء :- " تستطيعين الصراخ في وجهي وأمري بالابتعاد ..تستطيعين تمزيق وجهي بأظافرك .. اخمشي واقتلي .. لكن لا تقفي هكذا .. لا تخشي شيئا أبداً وأنا معك "

أنهي جملته واختفي خلف باب الحمام

*****

استيقظت علي صوت شيء ما أو هي رائحة تعرفها جيدا .. رائحة القهوة السوداء اللذيذة .. بدون شعور أو تفكير ولازال النعاس يداعب جفنيها .. اتجهت للخارج .. حافية القدمين .. مشعثة الشعر قليلا .. تفرك عينيها .. تلمست طريقها بعين واحدة نصف مفتوحة .. لازالت مشوشة .. مدت يدها لتزيح المقعد جلست على الطاولة ببطء .. تثاءبت وهي تهمس بصوت لازالت بحة النعاس واضحة به :- " صباح الخير شذى .. هل لي بفنجان من القهوة من فضلك .."

أعادت التثاؤب وهي تضع رأسها علي الطاولة تكمل نومها ..غير منتبهة للعينين الزرقاوين المحدقتين بها باندهاش بالغ .. وبسمة رائعه تشق فمه .. ضحكة أخذت تتعالي لم يقدر علي كبحها ..لتنطلق جذابة أجشة قوية من فمه وهو يقول بمرح :-" و صباح الخير لك أيضاً "

رفعت رأسها بحدة وصوته يخترق نعاسها .. لتفتح عينيها علي اتساعهما بذهول ..يا الله كم هي جميلة ..!حتى وهي ناعسة .. حتي وهي ترتدي بيجامة صبيانية الشكل بخطوط طولية مقلمة أشبه بلبس المحكوم عليهم بالإعدام.. لكنها جميلة .. بشعرها الغجري الطويل حتى أسفل خصرها .. ينساب بطيات وطيات متعددة .. عيناها الذاهلتان ورموشهما الطويلة الرائعة .. جانب خدها المحمر من أثر النوم .. والأهم نظرتها انطلق يضحك مرة أخرى بصخب .. رؤيتها تشرح قلبه ..! تلك المتعجرفة المغرورة .. القاهرة ,منظرها الآن أشبه بطفلة صغيرة رائعة الجمال والبراءة، وهو يريد التهامها ، همست بصوت متحشرج وعيناها تجولان علي صدره العاري .. فكرت بسخط ، ألا يعرف ذلك الإنسان شيئا يسمى ملابس :-" مـ ماذا تفعل هنا ..؟!"

التوت شفتاه بابتسامة رائعة ،وهو يزج بقدح من القهوة أمامها تلقفته بدهشة وهي ترفعه لأنفها عل رائحتها تعطيها شيئا من الحس والوعي وتزيل غمامة النوم عن عينيها انحني نحوها بطريقه وترتها .. اقترب حتى أصبح أنفه ملاصقا لخصلات شعرها ما جعل رذاذ الياسمين المتغلغل بشعرها يخترق حواسه يريدها, همس بالقرب من أذنها :- " هذا منزلي زوجتي العزيزة ..! "

ضغطت علي ضروسها بغيظ ترفض أن يستفزها .. تلك الكلمة تستفزها بشدة .. يكفي حماقتها بالأمس .. احمرت وجنتاها حين تذكرت ما حدث بينهما أمس .. لازالت ناعسة لتفكر بشكل جيد تحتاج لقهوتها حالا .. رفعت الفنجان إلى شفتيها بتجاهل تام له .. أغاظه عدم ردها عليه .. يريد لمسها .. يريد ذلك بشدة .. جلس أمامها على الطاولة فنظرت له شذرا وهي تهمهم من خلف فنجان القهوة بخجل :- " ألا يوجد لديك ما ترتديه ..؟! "

نظر لصدره العاري وهو يدرك مقصدها لكنه تعمد أن يجيب بغرور :- " أرتدي ما يكفي "

أوووف همست بها ..حين مد يده فجأة ليضع خصلات شعرها خلف أذنها وهو يقول بمكر :- " أتخجلين زوجتي العزيزة ...؟!! "

لمسته لها جعلتها تنتفض بطريقة مخزية .. تراخت يدها عن فنجان القهوة الحار لينسكب على الطاولة ومنها إلى قدمها وبطنها .. صرخت بألم وهي تنهض فزعة تنفض ملابسها بعيداً ..صرخت :- " اللعنــة تؤلــم "

انتفض آسر بخوف غريزي عليها ..وهو يمد يديه بلهفة ليرفع الطرف السفلي للبيجاما .. حين تراجعت هي بسرعة قصوى للخلف .. وعيناها دامعتان من الألم .. ترفض أن يلمسها .. عادت إليها ذكرى الأمس بوضوح .. سيطرته على مشاعرها .. غروره .. تعجرفه .. كما الآن .. نفس الغرور بنبرات صوته ،وهو يهمس لها كأنه انتصر عليها .. نفس الغرور ميزته حين اقترب ليهمس لها ..زوجتي !! همست ببكاء وصوتها ينضح بالألم :- " ابتعد عني لا تقترب مني .."

صرخ بتوتر وهو يحاول أن يمد يده ليفكك أزرار بلوزتها ..:- " أيتها المجنونة .. يجب أن تنزعي ملابسك جلدك يحترق ..! "

صرخت بغضب والألم يتزايد :- " قلت لك ابتعد عني دعه يحترق .. لن تلمسني "

ثار بشكل غير طبيعي ،وهو يقترب منها ونظرة وحشية في عينيه ..يبدو أن التعقل لا يفيد معها .. مد يديه دون كلمة واحدة ليمزق البيجاما عليها ، شهقت هي بعنف ،وهي تمد يديها الاثنتين لتغطي جسدها وصدرها منه، لكنه كان بحالة من الغضب بحيث لم ير أمامه سوى البقعة الحمراء

الكبيرة المنتشرة على جسدها الأبيض المرمري .. تسمر بخوف بينما أخذت عيناه تتتبعان البقعة الحمراء المنتشرة من تحت صدرها بمسافة حتى أسفل سرتها .. بفزع .. ورأسه يضج .. هو السبب ... رغبته باستفزازها كعادته أصابتها بالألـم .. يبدو أنه لا يجيد سوى جعلها تشعر بالألـم .. همس بخشونة :-" قـاهرة "

جذبت أطراف البيجاما الممزقة حولها وهي تهمهم ضاغطة علي أسنانهامن شدة الألم :- " قلت لك ابتعد عني أيها المتوحـش "

أووه أصابه الغيظ الشديد منها ..لا فائدة .. لافـائدة من محاولة التعامل معها بتعقل رفعها بعنف بين ذراعيه وهو يتجه بها للحمام بينما أخذت هي تصرخ وترفس بشدة دون أن تعير التهاب جلدها الواضح أدنى اهتمام .. كان الحرق يؤلمها وبشدة واحتكاكها بصدره العريض يؤلمها .. لكنه لم يبال، بدا كحجر الصوان البارد .. لايوجد رد فعل ولا تعبير علي وجهه ،وكأنها نملة لاتستطيع أن تؤذيه حتي وإن أرادت .. صرخت بألم في محاولة أخيرة ليتركها ذلك المتوحش :- " اتركني أيها المتوحش .. اتـركـني .. !! منذ دخلت حياتي ،وأنا لا أرى سوى المصائب .. اتركني .."

آلمـته كلماتها .. ألم يكن يفكر بهذا منذ لحظات .. لكن وجهه ظل صفحة باردة قدر المستطاع .. خطى بها حتى وقف تحت الدش ، وهو لا يزال يحتضنها بقسوة .. ..نظرت في عينيه بذعر ،وقد أدركت ما سيفعل همست بصوت مبحوح وأثر البكاء قادم بالطريق :- " لن تجرؤ .."

لتهطل المياه على رأسهما بعدما فتحها .. شهقت بارتعاش وصـدمة حين لامست المياه الباردة جلدها الملتهب ..أنزلها من بين ذراعيه رويدا رويدا ببطء، وإن كانت أنامله لازالت تحيط بخصرها بقسوة .. هدأت تماما الآن .. بينما ظلا تحت المياه تتساقط عليهما .. تهدئ من أنفاسها المتسارعة ..

تلطف النار الحارقة المتصاعدة من جسدها .. ازداد احتضانه لها ببطء .. وهو يهمس بنبرة غريبة اخترقت وقع قطرات المياه المتساقطة برتابة لذيذة كادت تدفعها للنوم :- " أيتها المجنونة .. ستحرقين نفسك .. لمجرد كرهك للمستي ..! "

حاولت التملص منه ببطء إلا أنه لم يسمح لها بل زاد ضغط ذراعيه حولها ،وهو يهمس بينما أخذت المياه تتساقط منه إليها .. :- " اثبتي !!"

غصة احتكمت قلبه .. لهذه الدرجة تكرهه .. هو لا يريد لها أن تكرهه .. رغم كل ما يفعل ويقول .. إلا أنه لا يريدها أن تكرهه ..! تلك الحاجة إليها أصبحت تؤلمه لما لا تريد الخضوع ولو لوهلة .. منظر جسدها وذلك الحرق به يؤلمه بشدة، وجيب قلبه يؤلمه ظلا على حالهما ردحا من الزمن .. حتى هدأا تماما .. وبدأت مشاعر أخرى بالظهور علي السطح .. تلامسهما .. هدوءهما .. حزنهما .. وضعهما الغريب .. ارتخت رأسها بضعف على صدره العريض أنزل يده ببطء تلامس ظهرها حتي وصل بالقرب من المنطقة الملتهبة ببطنها لتشهق هي بارتعاش.. ستنهـــار.. أخذت تصرخ بداخلها .. ستنهار.. كيف لها أن تقاوم ذلك القرب والاكتساح منه .. كيف لها أن تبقى سالمة العقل والقلب وهي هكذا بأحضانه، صدرها ملامس لصدره .. عضلاته الناتئة مقابل صدرها اللين .. يديه تجولان بين خصلات شعرها وتنزلقان على جسدها شـبه العاري .. يجب أن تبتعد .. لكن كما يبدو جسدها لا يعرف السبيل لذلك .. أغمضت عينيها وتركت دموعها تسيل بصمت مؤلم .. اختلطت دموعها مع المياه المتساقطة على رأسيهما .. بصمت ،وهي تحبس شهقتها بداخلها حتى لم يعد بإمكانها التنفس .. لتخرج على شكل شهقه ضخمة مرتعشة .. همس آسر :- " يا للهول هل تؤلمك إلى ذلك الحد ؟! "

أرادت الصراخ به :- " أيها الأحمق أنت من يؤلمني ..؟! "

إلا أنها أومأت بصمت حفظا لكرامتها .. لم يدر ما يفعل سيصاب بالجنون بلاشك تلك أول مرة يري فيها قاهرة تبـكي هناك شيء ما يتحطم بين أضلعه .. الآن وفي تلك اللحظة .. هناك شيء ما يتحطم .. شيء ما يتحرر...!! " هششششش .. اهدئي حبيبتي لا تبكي "

توقف قلبها عن الخفقان هل قال حبيبتي .. آسـر قال لها حبيبتي ولم يكن يمزح أو يسخر أو يغيظها تدافعت الدموع من عينيها ،وعلا نحيبها مما أرعبه " قاهرة.. بالله عليك اهدئي سأصاب بالجنون .. "

رفعها بين ذراعيه ببطء، وهو يخرج بها لم يهتم لبللهما .. وضعها على السرير برفق .. أسرع بجلب منشفة كبيرة .. بينما لم تكف هي عن البكاء بخفوت وضعف ... جفف شعرها قدر المستطاع ..وهو يشعر بالخوف .. هناك شيء ما غير طبيعي بها كانت مستسلمة له بطريقة غريبة ..! أحضر مرهما ملطفا للحروق ،وبدأ بوضعه على الجلد الملتهب .. لم يكن الالتهاب خطيرا كما بدا له لأول وهلة .. لكنه فكر بالتأكيد يؤلمها .. مادام جلب كل تلك الدموع إلى عينيها .. أوشك أن يشعر بالجنون لا يعلم ما يفعل، لم لا تكف عن البكاء .. جلس بجانبها ببطء .. غير عابئ ببلل بنطاله ..مسح على شعرها ،بينما أخفت هي وجهها بين طيات الوسائد .. الغارقة برائحته :- " هششش حبيبتي .. هششششش "

أخذ يربت علي شعرها .. خرج صوتها مكتوما مبحوحا موجوعا وهي تهمس :- "يؤلـم"

ردد بمواساة ويداه تداعبان خصلات شعرها الندية :- " أعلم حبيبتي أعلم"

ارتفع وجيب قلبها وعلا نحيبها ببطء ،وهي تشعر بقلبها يؤلمها حد الموت:- " ..يـؤلم "

لم يستطع الاحتمال أكثر من هذا .. ضمها لصدره بقوة .. طفلته .. يشعر بها طفلته .. أكثر من شحـذ عليها لسانه .. وبين قدرته على التحطيم كان هي .. أكثر من ألمـها هي ..همس بألـم :- " أعـلم "

خفت بكاؤها .. لم يكن الحرق هو ما يؤلمها .. بل قلبها .. يـؤلمها وبشـدة، قالت بطلب للسلوى، وهي لا تهتم إن كانت تبدو بائسة :- " يؤلم آسـر "

دمره صوتها .. منظرها .. نطقها لاسمه لأول مرة بتلك الرنة .. بتلك البحة والحاجة ..لكنه لم يجد سوى كلمة واحدة ليجيب بها :- " أعـلم"

عجبي..
كيف لكلمة واحدة تلفظها شفتاه سهواً
أن تستقر بأحشائي..
وتنمو كطفل خطيئةٍ أخشى أن يلحظه من حولي
لكم أن تصدقوني إن شئتم .. ولكم أن لاتصدقوا.
ولكن عما قريب .. سأمتليء بما لا أعلمه منه
وسأُشرع بنحري إليه..
لـ يوصمه بما يريده هوَ
يأمر به هوَ
هدى العلي

*****

فقدت هدى دقة واحدة من دقات قلبها حين خرج نادر من الحمام ،وهو يرتدي بيجامته التي أعطاها لها .. شعور غريب اجتاحها لملامسة تلك

البيجاما جسده الصلب بعدما لامست جسدها اللين .. !! نهرت نفسها بشدة .. " هي بيجامته من الأساس .. توقفي عن الغباء " لكنها لم تملك أن تسيطر علي الاحمرار الذي غزا وجنتيها وارتجاف يدها البسيط وهي تحاول تجاهله .. يكفي أن وضعها غريب للغاية كل مرة يلقي بضع كلمات قاطعة ويتركها في حيرتها .. رفعت وجهها له ببطء وخجل لتجد ابتسامة رائعة تملأ وجهه .. سرعان ما أصبحت ضحكة رائعة أجشة رقراقة .. كان يشعر بالسعادة رغم كل ما هو فيه إلا أنه يشعر بالسعادة يريد الذهاب إليها واحتضانها يريد مشاركتها سعادته يريدها أن تدرك أن مجرد رؤيتها أمامه تدفع بالضحك لعينيه وقلبه ..! شعور من الراحة يتسرب إلى ذرات جسده لمجرد رؤيتها .. كطفل عاد إلى أمه لم يتمالك نفسه حين رآها تنظر له باستغراب بالغ وخجل أبلغ، فقال ببطء وبقايا ابتسامة تتلاعب علي شفتيه:- " آسف "

أكمل بتبرير وهو يتجه للتسريحة ليمشط شعره :- " لكنني تذكرت شيئا ما"

تنحنحت ببطء وصوتها لا يعلو علي الهمس تريد إخباره أن أيا ما تذكره لا يهمها :- " لابأس "

تقدم حتى جلس أمامها ينظر إليها بحب كبير بينما خفضت هي نظرها تلقائيا للأرض أنامله تحرقه .. تقتله .. تريد الهرولة إلى خصلات شعرها العسيلة لتغوص بهما .. لتستقر هناك ولا ترحل أبدا .. همس ببطء وحب :- " هدى انظري لي "

وكعادتها ارتفعت عيناها إلي عينيه لاإراديا ليبتسم هو ببطء ونفس مرتعش .. يجب أن يسيطر على نفسه .. لكنه فقط لا يستطيع ،لا يريد أن

يخيفها لكنه فقط لا يستطيع .. يحتاجها ويريدها يحبها ،همس .:- " أممم سأذهب لأجلب لك ما تحتاجين من ملابس ... "

لمع وجهه بقليل من ارتباك ،وهو يقول :- " لكن هلا كتبت لي ما تريدين من أشياء خاصة "

انتشر الاحمرار بوجنتيها حتى أقسمت على احتراقهما ، وهي تقول بصوت مرتعش :- " لا .. لا بأس ..فقط اعطني الهاتف وسأطلب من شادن إحضار ملابسي !!"

" كـلا ..! "

نار شبت بعروقه .. ملابسها .. لا يريد لها ارتداء شيئا كانت تملكه قديما .. شيئا رآه بها ذلك أو لمسها بها ..! قال بنبرة قاطعة :-" كلا هدى .. لن ترتدي ملابسك السابقة تلك أبدا ..ولو بقيت بذلك الشرشف مدى الحياه"

تلك الغيرة المجنونة .. لا يستطيع أن يسيطر عليها .. تلك الغيرة تقتله ببطء مهما ادعى سيطرته عليها .. هو يدرك ويؤمن أن ما حدث حدث لكنه لا يريد أي ذكر للماضي ..! الماضي انتهى بالنسبة له سينسى هو ويريدها أن تنسى :-" حـ حسنا لا بأس "

أومأت بتفهم حتي هي لا تريد ارتداء تلك الملابس مرة أخرى .. قالت :- " اعطني الهاتف وسأطلب من شادن أن تشتري لي ما أحتاج .. هي تعرف مقاساتي "

نظر لها باستغراب وقال بتساؤل:- " ولم لا تريدين مني أن آتي بهما ؟! "

خفضت عينيها وهي تشعر بإحراج بالغ .. كيف تفسر له شعو نادر ببعض الحيرة ..قد تكون محرجة بخصوص المال همس بإدراك :- " هدى أنا زوجك وأنت ملزمة مني لا داعي للإحراج "

أوه كيف تشرح له أنها خجلة أن يشتري لها ملابس داخلية غزا الاحمرار وجهها ،وهي تقول وقد بدأت تلوك شفتيها بخجل :- " ليس الأمر كذلك .. أممم كل ما في الأمر .. اا أنك لا تعرف .. أأقصد أنك لن تعرف .. ااإ "

اتسعت ابتسامته وقد أدرك هدفها .. عشق ذلك الاحمرار الذي يلون بشرتها .. أخذ نفسا مرتعشا وهو يهمس :- " لا بأس .. اتصلي بشادن .. "

مد يده لها بالهاتف وهو ينهض قائلاً :- اتصلي بها ريثما أحضر الإفطار "

*****

أخذت أصابعه تنزلق ببطء وبحركة رتيبة على شعرها .. تلامسه وتغوص به .. وتعود لتبدأ من جديد .. كانت متكورة بشدة على جسده .. بالقرب من صدره تماما .. حتى أن أنفاسها كانت تلامس شعيرات صدره بزفرات حارة .. تجرحه وتؤلمه من الداخل .. نامت وكأنها مزروعة بضلعه الأيسر .. يدها على خصره بأريحية، وكأنهم زوجان منذ عشر سنوات .. كأن ما يجمعهما هو حب عميق .. كأنها بدونه لا تستطيع أن تحيا .. واشتدت أصابعه دون وعي حول كتفها تجذبها إليه أكثر .. أصدرت أنينا خافتا .. وهي تحرك رأسها ببطء أقرب لصدره .. أنفاسه كانت تخرج وتدخل ببطء قاتل .. خوفا من ترك العنان لنفسه .. ليشعر بها وبوجودها .. وتنهد .. لم يعد بإمكانه أن يقاوم أكثر ....!! أن يجد المبررات والأسباب أكثر، هو لم ولن يسمح لنفسه بأن يحبها .. ولن يسمح لنفسه بأن يدعها تحبه ..!! لا يستطيع ...!!

لكنه أيضا لا يستطيع الابتعاد عنها حاول أكثر من مرة وفشل .. حاول لكن كلما قرر الابتعاد أكثر كان يجد نفسه يقترب أكثـــر ،تزوجها رغم أنه أقسم علي جعلها تكرهه ..!! تلك الفتره التي لا يرغب بتذكرها.. هي ما جعلته علي هذا النحو هو يدرك هذا نفسيا علي الأقل .. بات يخشى الارتباط .. الحب ..!! فلا شيء مضمون في الحياة ..!! لا يريد لامرأة أن تبكيه لا يريد لأحد أن يبكيه .. ولا يريد لقلبه أن يضعف ..! توقفت يداه عن العبث بخصلات شعرها .. أغمض عينيه بألم أقسى قرار يجب عليه اتخاذه هو أن يدعها تذهب بحال سبيلها على تلك اللعبة أن تتوقف بعدما أصبحت أكثر من لعبة قاهرة ليست كغيرها همس لنفسه بصرامة على هذا أن يتوقف وهنا يجب أن يدعها تمضي بحال سبيلها قبل أن يدمرها ..!

*****

فتحت قاهرة عينيها بتشوش للمرة الثانية في نفس اليوم .. لكن تلك المرة كانت تشعر بشعور رائع من الدفء ورائحة مسكره تحوطها .. تمطت ببطء حتي شعرت بألم جلدها يشتد لتطلق آهة خافتة، وهي تنتبه لحركتها .. رفعت يدها لشعرها وابتسامة رائعة تشق فمها .. تعيد خصلاته للخلف حين قابلتها عيني آسر الجالس بالمقعد أمامها ..مرتديا بنطال جينز أسود .. تي شيرت خريفي أسود ووشاح رمادي أبرز عينيه الزرقاويتين ما إن توقفت أنظارها أمام عينيه حتى خفضتهما بخجل جديد عليها فهمس كمن انتبه من شروده فجأة:- " صباح الخير"

همست بصوت أبح غافلة عن البرود الذي اكتسى ملامحه :- " صباح الخير "

قال ببرود ولامبالاة كمن يؤدي واجبا فرض عليه :- " كيف حالك الآن ..؟!! "

رفعت عينيها له باستغراب :- " بخير.. الحمد لله "

أومأ دون مزيد من الكلام وملامحه جامدة.. حتي عينيه بدتا كأن الشتاء قد عاد وسكنهما .. نهض من مقعده ببطء ، وهو يقول بعدما نظر لها نظرة غاية في البرودة :- " قاهرة يجب أن نتحدث .."

رفعت إليه عينيها بحيرة ليشعر بطعنة نجلاء بقلبه مباشرة إلا أنه أكمل بحزم :- " سأنتظرك خارجا من فضلك بدلي ملابسك واتبعيني "

ما إن أغلق الباب خلفه ببعض العنف المكبوت حتي ضيقت بين عينيها بحيرة .. أصابها التشوش ماذا أصابه ؟! لما يعاملها بهذا البرود ..؟! مدت يدها ببطء تلمس بطنها .. لازالت تؤلمها لكن الألم خف بالتدريج رمت رأسها للخلف تعاود النوم قليلا بكسل .. لتعانقها رائحته التي اختلطت بالملاءات .. أخذت نفسا عميقا والاحمرار يغزو وجهها لا تصدق أنها نامت بأحضانه .. وحتى ولو لم يحدث بينهما شيئا .. ابتسمت ببطء لكنها نامت بأحضانه وعلي صدره ..! رائحته لازالت مختلطة بعبق أنفاسها .. قال لها حبيبتي وليس مرة بل ثلاث مرات .. عاودها الأمل يبدو أن هناك أملابأن يشعر بها ..انهضت فجأة ليتناثر شعرها حولها لكن ماباله يبدو كئيبا .. مختلفا هكذا !!اهزت رأسها ربما كان قلقاً بشأن عمليته أوووه وضعت يدها علي فمها تكتم صرختها الضئيلة، لقد نسيت تماما أن سفرهم بعد سويعات قليلة.. نهضت بسرعة، وهي تجذب ما ترتديه من الدولاب فكرت ربما هذا ما يقلقه ..! صححت لنفسها كلا هذا أكيد ما يقلقه ..! نهضت بسرعة جعلتها تطلق صرخة مكتومة حين احتك جلدها لينبض بالألم من جديد ..! اتجهت للمرآة تنظر إليه .. تذكرت لمساته الحنونة .. احتضانه لها وتخفيفه عنها وحشيته وعناده حين وضعها تحت الدش لتبتسم بملء فمها تحبه ولا سبيل لديها لإنكار ذلك ..! بدلت ملابسها ببنطال جينز ذو وسط منخفض بعيدا عن الحرق وبلوزة قطنية بيضاء قصيرة نسبيا بأكمام قصيره .. جمعت شعرها

برباط مطاطي أبيض بعيدا عن وجهها .. لم تكن تحتاج مكياج لم تحتجه في عمرها فبشرتها والحمد لله صافية جدا .. تشبه بشرة الأطفال في نقائها ،عيناها مكحلتان طبيعيا .. وفمها وردي بدون أحمر شفاه ابتسمت لنفسها بالمرآة، وهي تحمد ربها على نعمته أخذت نفسا عميقا وخرجت له ..!

*****

خرجت قاهره لتجده شارداً .. برود سكن عينيه حين التفت لها .. أخذت نفسا عميقا، وهي تقول ورأسها يرتفع بكبرياء لتبرق الشذرات الزرقاء بحدقتيه بإعجاب خفي ..! "كنت تريدني"

رفع حاجبه وهو يقول بلامبالاة مصطنعة :- " آهه نعم .. طائرتنا بعد سويعات قليلة .. هل أنت جاهزة ..! "

أومأت بصمت ..فقال وهو يصرف النظر عنها ببرود حطمها :- " إذن استعدي فيجب أن نكون في المطار بعد قليل .."

تركها تحترق .. تشتعل .. حمقاء .. غبية .. غبيــة .. لماذا ظنت انه سيتغير لماذا ..؟!! ترقرقت عيناها بالدموع .. لكنها مسحتهما بعنف .. حقائبها لازالت بجوار الباب وسيظلان هكذا ..حتي سفرهما .. سحبت حقيبة يدها .. أخرجت هاتفها واتصلت بالغالي أتي صوت والدها دافئا مشتاقا .. ليدفع ببسمة مرتعشة إلى شفتيها .. لم تنتبه لذلك الصامت الذي ادعي التحدث بالهاتف .. يتأملها وهو يقبض علي هاتفه بشدة لنبرة صوتها المتداعية، وهي تهتف بحزن :- " أبـي "

*****

الفصل التاسع

ذاكرة تناقضـات

هُنالك نسيان أكثر حضوراً من الذاكرة ..

" أوووف هلا ابتعدت قليلاً .. "

همست قاهرة بهذا بضيق وغرور أثار تحفز آسر للرد عليها .. كان يدرك أن امرأة كقاهرة لن تتقبل ما يفعل بسهولة .. كان يدرك أن ما بدأ به يجب أن يسير به إلى النهاية ..! لكنه فقط وحين تجلس قربه بهذا الشكل ... وحين تكون غاضبة بهذا الشكل ... وحين تكون خصلات شعرها الغجرية ملقاة بإهمال أمامه بهذا الشكل ..!لا يستطيع أن يتمالك نفسه من العبث بها .. كانت خصلاتها من الطول أنها تناثرت بكل مكان خلف ظهرها وعلى طرفي المقعد ملامسه لأنامله رغم أنها ربطتها بشريط مطاطي خالي من الجمال .. ولكن هل كان تاجها المتألق يحتاج لمزيد من الجمال ..! أخذت أنامله تعبث بتلك الخصلات دون إرادة منه تتوغل وتغوص بين طياته شديدة النعومة ليفيق من تأملاته علي صوتها الحاد وهي تطلب منه الابتعاد .. ! اعتدل ليجيب بسخرية خفيفة ويده لازالت تتمسك بخصلة من شعرها :- " إلى أين أبتعد زوجتي العزيزة أم تريدين مني أن ألقي بنفسي من الطائرة"

كانت أنامله العابثة بخصلات شعرها تسبب لها وخزات من الألم اللذيذ كانت تتسرب إلى جسدها .. موضع أنامله .. حاولت ألا تتنهد .. لكنها لم تعد تتحمل .. كانت تشعر ببعض الصداع .. في الحقيقة الكثير منه ..اوجسدها ما انفك يرتعش ارتعاشات خفيفة .. ربما كان يجب أن تزيد من ملابسها قليلاً .. لكنها لم تكن بحالة نفسية تسمح لها بالتركيز ..!كيف لها أن تكون بهذا الضعف .. القاهرة لم تكن يوما بهذا الضعف .. ذكرت نفسها ،بل كانت حين أحبته من ثمان سنوات تقريبا .. حين انبهرت به من ثمان سنوات تقريبا .. إن كانت تظن نفسها كانت تحبه فماذا عن الآن

..!! همست بغضب وشراسة وهي تشعر بالاختناق مولية وجهها للنافذة :- " ياليت .. فساعتها أكون تخلصت منك مرة وإلى الأبد ..! "

نغزة ألم مرت بعينيه كان يتجاهلها منذ الأمس .. وهو يقول لظهرها الذي يواجهه :- " أإلى هذه الدرجه تكرهينني ..؟! "

ابتلعت ريقها بمرارة وهي تصر على عدم النظر إليه مولية إياه ظهرها قائلة بمرارة كاذبة تحاول بها أن تقنع نفسها بما تقول .. :- " لا تعرف إلى أي حد أكرهك .."

آلمته المرارة في صوتها ليجيب هامسا بحزن خفي :- " بل أعرف عزيزتي.."

استعاد صوته مرحه بسرعة، وهو يجيب بلامبالاة مؤلمة :- " على أية حال قد تستريحين مني إلي الأبد حقا تلك المرة .. فقط ادعي الله بإخلاص ألا تنجح العملية الجراحية وتكونين تخلصت مني "

شهقت بعنف لقسوته الساخرة .. للامبالاته الجارحة التفتت له بغيظ لم تستطع التحكم به وألم قلبها بات طبيعيا لها :- " أيها الأحمق لم أكن لأفعل هذا ولو كنت أكثر الرجال بغضا على وجه الأرض "

لتفاجئها نظراته المبتسمة بغموض .. صدر من حنجرته تمتمة أجشة اشعلت جسدها ،وهو يتأمل عينيها بطريقة غريبة ..أخذ نفسا عميقا، وهو يحاول أن يمنع يديه من الهرولة إلى وجهها .. إلى شفتيها المكتنزتين وتلك الصفحة المرمرية الوضاءة .. إلى حاجبيها المنمقين المرفوعين بإغراء لذيذ .. لكنه تجاهل كل ذلك الصخب بداخله ليقول باستهتار خفيف ومرح قرر أن يشوب لهجته :- " آهة أخيرا استطعت جعلك تنظرين تجاهي .. أترين أنا لست قبيحا إلى تلك الدرجة بل إن بعض النساء يجدنني جذابا حقا .."

وأشار بطرف عينه إلى المضيفات اللاتي أخذن ينظرن تجاهه ويبتسمن بينما يتحدثن ،شعرت قاهرة بحريق يجتاج معدتها ،وهي تهمس بحنق :- " لأنهن تافهات حمقاوات يعجبن دائما بالغلاف ولا يبحثن عن المحتوي ! "

قاطعها ليقول بخبث :- " وهل هذا ما كنت تبحثين عنه ليلة أمس بين ذراعي..!

ازداد ارتعاش ظهرها وبدأت تشعر بقشعريرة بغيضة تمر علي عمودها الفقري، لكنها حدقت في وجهه ، وهي تقول بكل ثبات وكبرياء وأنفها يشمخ عاليا ..! " أنت فقط تتمنى .. أنت لا شيء بالنسبة لي ولم تكن أمس أكثر من وسادة .. "

ارتفعت نبرة صوتها قليلا بسخرية خفيفة :- " أعترف أنها كانت وسادة مزعجة، لكنها كانت الوسادة الوحيدة المتوافرة فلا تخدع نفسك بظن غير هذا .. ولاتنس أنك كنت السبب الأساسي بإصابتي "

أنهت جملتها وهي تشعر أن الأنفاس قد انقطعت منها فقط لتبدأ بالسعال الشديد ،وهي تشعر أن حلقها يؤلمها للغاية .. ما إن انتهت نوبة السعال حتي رفعت رأسها له، وعيناها دامعتان لتكمل ببغض حقيقي :- " ارتحت الآن أيها البغيض .. ها قد أصبت بالمرض وأنت السبب .. أنت السبب بكل شيئ سيئ يحدث لي في حياتي .."

صرت علي أسنانها وهي تنوي الانتقام لنفسها وبشدة وهي تقول :- " أنا أكرهك .. أكـرهك ولن أكف عن كرهك ما حييت وأتمني اليوم قبل الغد أن ارتاح منك ومن رؤية وجهك البغيض هذا؛ فابتعد عني ولا تلمسني مرة أخري أبدا .. فأنا لا أطيقك ولا أطيق لمسك لي أتفهم ..؟!! "

*****

" أتحتاجين شيئاً "

انتفضت هدي بتوتر حين تهادى إليها صوت نادر ببحته المعتادة ..وهي تقول بصوت منخفض حاولت إخراجه هادئاً :- " كلا .. شكرا لك "

متوترة وبشدة .. ذلك القرب الكاسح يوترها يخيفها , ذراعه تلامس ذراعها وتحتك بها مما يثير في نفسها الضيق .. تشعر بحرارة شديدة تسري في ذراعها موضع تلامسهما .. كانت تأخذ أنفاسا بطيئة، وهي تحاول كل مدة أن تعاود العد لمائة .. لتسيطر علي توترها .. ليأتي الآن صوته ليبعثر ذلك الهدوء المزعوم الذي تدعيه ..! أحنى رأسه تجاهها ينظر إلى شفتها التي أخذت تلوكها .. ولم يستطع أن يقاوم أكثر من هذا كان يعلم حتي وهي تشيح بوجهها للنافذة منذ استقرا بمقعديهما .. كان يعلم .. ابتسامة شاحبة لامست طرف عينيه بغموض ، فهي عادتها اللذيذة حين تتوتر .. مد أصبعه ببطء ليضعه على شفتها السفلى هامسا ببحة :- " كفى .. مزقت شفتيك "

شهقت بعنف وهي ترجع رأسها للخلف ما استطاعت لكن المقعد الضيق لم يسمح لها بذلك .. شعرت بمس ناري يلامس شفتها موضع أصبعه .. ارتعش جسدها بشدة والحرارة تمر عبر عمودها الفقري صعودا رأسا إلى رأسها .. سعلت بشدة .. سعلت باضطراب غافلة عن النظرة السوداء بعينيه والعبوس الذي ظلل ملامحه، وهو يزيح أصبعه ببطء .. نظرة غاضبة تقريبا مرت بعينيه قبل أن يشيح بنظره بعيدا عنها لم يعتذر ..؟!! لم يعتذر كيف له أن يفعل هذا .. كيف له أن يلمسها بتلك الطريقة هكذا بكل بساطة .. من سمح له ..! أوضحت له ألف مرة أنها لا تطيق ولا ترغب بلمس رجل أي رجل أيا كان .. لكنه يتجرأ ويلمسها ، صححت لنفسها بغضب أخذ يشتعل بسرعة البرق .. بل يلمس شفتها ..! ويجرؤ

على إظهار نظرة غاضبة وتجاهلها ،وكأنه لم يفعل شيئا .. شعرت هي بالغضب في المقابل .. أرادت الصراخ في وجهه أرادت أن تخبره ألا يفعل هذا أبدا أرادت .. لكنها فقط لم تنطق بحرف .. رغم محاولاتها العديدة تخطى هذا الحاجز الوهمي من الجبن الذي تعيش به إلا أنها لا تجرؤ- هي فقط - لا تجرؤ ،لازالت جبـانة بيد مرتعشة رفعت كوب الماء البلاستيكي إلى شفتيها تسيطر على غضبها خجلها جبنـها ارتشفت بضع رشفات ،وهي تعاود السيطرة على هدوئها .. لتفاجأ به وهو يضرب المقعد الأمامي بقبضته لتنتفض فزعة مرة أخرى .. حمدت ربها أن المقعد الأمامي فارغ لم تجرؤ على النظر إليه .. لم هو غاضب بهذا الشكل لم تتعود أن يكون نادر الهادئ بهذا الغضب والأبشع أنها لا تجرؤ علي سؤاله هي تشعر أنها السبب بطريقة ما لكنها لا تعرف ماذا فعلت ..؟!! ليأتي صوته شرسا بانخفاضه وهو ينحني تجاهها مسيطرا علي نظرات عينيها الهاربة منه :- " اخبرتك من قبل ألا تخشي شيئا وأنت معي .. "

لم تجب فقط توقفت الأنفاس بحلقها .. كيف تخبره أنه وفي هذه اللحظه هو أكثر ما يخيفها .. يخيفها غضبه منها لم تعتد علي هذا .. لم تعتد أن تكون هي سبب غضبه بللت طرف شفتيها بتوتر وهي تحاول أن تجيب .. انخفضت عينيه إلى لسانها الوردي الصغير .. دون إرادة منه .. يشعر بالعذاب .. آاااه .. لا يريدها بذلك الشكل قربه .. أين ذهبت سيطرته الحديدة علي نفسه .. نهض بعنف .. وهو يشعر بالضيق الحيز الضيق للطائرة يخنقه .. بدا كالليث حبيس قفص. توجه إلى المقصورة الأمامية يبحث عن المضيفه يحتاج فنجان من القهوه حالا .. ! أخذت هدى تنظر إليه، وهو يبتعد عنها بـ توتر تشعر كلما اقترب منها بألم في معدتها وعدم قدرة علي التنفس .. لكنها تشعر عند ابتعاده عنها بخوف ألا يعود مرة أخرى !!

لم تستطع إشاحة عينيها عنه ،وهو يتحدث مع المضيفة التي يبدو عليها الانبهار التام به وبلهجته .. برصانته .. برجولته الساحقة .. وتلك الضحكة الغامضة التي تلون عينيه الآن .. لما يهزر معها .. لما يميل بجسده هكذا بتلك المسافة الضيقة نحوها .. ارتفعت نظراتها للمضيفة بشيء من البغض تبدو جميلة، قيمتها بسخرية إن أخذنا في الاعتبار كمية المساحيق والألوان التي دهنت بها وجهها حتى بدت كلوحة سيرالية لدالي تزيد ألم معدتها وضيق تنفسها ،وهي تلمح كيف تلامس تلك الوقحة يده بكل حرية وكأن لها الحق ..! كأن تلك المضيفة البغيضة لها الحق بملامسته واستقبال ابتسامته .. بالتحدث معه وجدت نفسها لا إراديا تنهض من مقعدها بإصرار وهي تتجه لهما .. لم تعرف ماذا تريد أو ما ستقول لكنها لم تعد تتحمل فنادر لها .. لها هي وحدها توقفت فجأة بمنتصف الطريق إليهما حين صدمها ما تفكر به .. توقفت وقد انقطعت أنفاسها تماماً .. اتجهت إليها أنظار نادر تلقائياً ليصطدم بمدي شحوب وجهها .. ارتعاش يديها .. بخطوات حاسمة اتجه اليها والقلق يبدو بعينيه .. عيناه يا الله كم تبدوان جميلتين .. حنونتين وهما تنظران إليها نادر لها أدمعت عيناها .. متى أصبحت تفكر به .. كشيء يخصها هي ..شهقت بعنف هي لا تستطيع ولا تريد الاستغناء عنه " هدى أأنت بخير.. هدى أجيبيني ..؟!! "

يا الله حتي صوته .. تلك البحة هى لي ..!

" ما بها ..؟! "

أتى صوت آسر القلق .. ليصاحبه نظرات نادر الحائرة .. بينما تسمرت هدى .. صدمة شديده تشعر بها.. اضطراب هائل .. بحر من الخوف والرعب أخذ يطفو علي السطح .. صور وكلمات كانت تمر على مسامعها كل ليلة .. ظلام ورعب .. وصور باهتة لشخص يشبه نادر تحلم به كل

ليلة .. ذلك الجرح بحاجبه .. هي السبب به .. رأته من قبل .. أنفاس لامست بشرتها .. كانت تشعر بضخ الدم بعروقها .. الأصوات حولها أخذت تتلاشى وبشدة الكن وجه نادر أخذ في الاقتراب منها .. رفعت يدا كانت تتمسك بها بمقعد الطائرة حتى لا تقع .. تلامس حاجب نادر بشيء من الإدراك والغربة في آن واحد .. ترقرت دمعة صغيرة من عينيها .. وهي ترى النظرة المتألمة بعينيه .. همست :-" أنا السبب .. أليس كذلك ..؟! "

لم تنتظر لترى ردة فعله لأنها وقعت في غيبوبة من الأحلام المفزعة ..!!!

*****

زخم من العواطف يشعر به .. توقف قلبه حين أشارت لجرح حاجبه الباهت .. وجملتها الخافتة .. أتذكرته .. ؟!! أتذكرت من يكون ..؟! من تكون بالنسبة له ..؟! أتذكرت لما تركته .. ؟! لما فعلت هذا بهما .. !عاوده غضب قديم للغاية .. عاوده دون قدرة لديه على التحكم به .. جل ما يريد أن يعرف هو لماذا فعلت هذا بهما .. لماذا تركته ..؟ لماذا لم تنتظره ..؟ لماااااذا ..؟!! لكن الآن اختفى كل ذلك الغضب وكأنه لم يكن أمام رؤيته لها تتهاوى بهذا الشكل .. أحاطها بذراعيه بالمساحة الضيقة للطائرة بينما ارتفعت أصوات الأشخاص حولهم .. أتت المضيفة مسرعة فزعة تتسأل :- " ما بها .. أتريد طبيبا ..؟!! "

لكن نادر أجاب المتحلقين حولهم وهو يبعد ذراعي آسر عنها بكثير من التملك :-" لا شيء هي فقط متعبة قليلاً .. "

أسندها حتي عادا لمقعديهما ،وهو يشعر بنبضات قلبه ثائرة تهدد بالهرب من بين جنباته وتحطيم تلك الأضلع الهشة .. التي تحتويه ... تريد الهرولة والسكنى هناك بين أضلعها هي علها تهدأ وتستريح " اتركنا آسر "

هتف نادر ببعض الخشونة .. لا يريد ولا يستطيع في تلك اللحظة السيطرة على ردات فعله .. يضايقه بشدة ذلك الاقتراب منهم .. آسر وشادن وقاهرة .. المضيفات وبعض النظرات الفضولية .. يريد أن يختفي بها بعيدا .. صدرت منها أنة ضعيفة وهي تخبئ وجهها بكتفه .. لتشتد ذراعه حولها .. كانت تتشبث به بأطراف أصابعها الرقيقة تتمسك بظهره بيد ..أما اليد الأخرى انكمشت موضع القلب تماماً وكأنها اعتادت على هذا منذ خلقت .. بينما بدأت ببكاء خافت للغاية، لم يسمعه سواه آاه يا صغيرتي رفقا بقلبي .. رفقا فما تفعلينه به .. ليس هينا أبداً .. تبا لعشق يحطم الأوردة كعشقي لك .. تباً ..!! لم يع لآسر الذي أمر المضيفات بالابتعاد وتحدث باقتضاب لشادن الباكية وقاهرة القلقة ليعودا إلى مقعديهما .. توقف آسر للحظة حائراً .. ليتساءل بعدها ببطء وخشونة :- " نادر..؟!! "

ليرفع له نادر عينين لأول مرة تبدوان وجلتين .. مضطربتين .. تنهد آسر بشحوب .. وهو يومئ له بتفهم ويتركه بصمت ..!خفض نادر رأسه بمحاذاة رأسها ما إن ابتعد الجميع عنهما ببطء .. تأمل ملامحها المتعبة .. ارتباكها .. وتشبثها به ببسمة ممزقة .. فك حجابها قليلاً .. ببطء ويده تلامس بشرتها الحارة باضطراب حاول أن يسيطر عليه .. همس بالقرب من أذنها ووجها مخفي بالكامل داخل تجويف عنقه :- " هدى أأنت علي ما يرام .. ؟! "

إلا أنها لم تجبه سوى بهمهمات خافتة لم يفهم منها شيئا ..! حاولت الابتعاد .. . وكلمات تتردد برأسها ..

" أنت لاشيء .. أنت مسخ قبيح .. لا أحد يحبك سواي .. أنت لا أحد ولا أحد يهتم بك .. سـواي ..!!لن ينقذك أحدهم مني .. أنت لم تعودي فتاة بريئة بعد الآن .. أنت ****** "

حاولت الابتعاد بذعر عن مصدر رعبها .. مروان .. لن يتركها أبداً .. لن تتخلص منه أبداً .. أخذت تجذب يدها بعنف .. بدون وعي .. لكنها كانت تشعر بقبضتين تتمسكان بها .. حاولت الافلات والكلمات تتردد برأسها .. ذراعان أكثر قسوة تحوطانها .. أنفاس كريهة .. لتدفع نادر فجأه بكل قوتها وهي تصرخ بفحيح شرس :-" دعنـــي ..!"

كانت من الاضطراب بحيث لم تعد تعي أهي تحلم أم أن الأمر واقع .. ؟! أهو كابوس قد عاد يروادها .. ؟!! لوهلة اختلطت الملامح والأنفاس .. لوهلة ظنت أن ذلك هو مـروان ..! كانت نظراتها غائمة .. حائرة تشي بمدى اضطرابها .. ورغم الألم الذي شعر به .. إلا أنه همس ببطء مهدئا إياها .. :- " لا باس عليك .. لا تفزعي ها قد ابتعدت عنك .. أأنت أفضل حالاً ..؟!"

إلا أنها لم تجبه بدت بعينيها نظرة غريبة، وكأنها لم تعد معه على أرض الواقع .. كانت نظراتها كالعادة مثبتة على جرح حاجبه .. وأخذت عيناها ترمشان كل وهلة وأخرى ببطء وأنفاسها بدأت تهدأ وتراخت قبضتها عن المقعد لتهمس ببطء وبرود ولامبالاة :-" أنا بخير.. ماذا حـدث ..؟!! "

*****

كانت صامتة .. ساور نادر القلق ناحيتها .. منذ انهيارها الغريب بالطائرة .. التزمت الصمت التام .. بل والشرود أيضاً .. لازال وجهها شاحبا .. حتى أنها لم تهتم أو تبدي أي رد فعل حين بدلت قاهرة غرفتها بغرفتهم ذات السرير الواحد .! لقد تذكرت شيئاً وهو متأكد من هذا .. وإن كان لا يعرف ماذا تذكرت تحديداً .. برقت عيناه بإصرار لكنه ينوي أن يعرف فتح باب الجناح وهو يبتسم ساخراً .. فمؤكد أن آسر يستشيط غضبا الآن لفشل خططه ..!وضع الحقيبة وهو يتأمل شرودها .. فكت حجابها

بنفس الشرود وعيناها تنظران إلي السرير الكبير .. لم يتحرك .. كان ينتظر ردة فعلها المتوقعة .. الرعب .. الخوف .. الغضـــب !!لكن لا شيء ..! جلست على السرير .. ثم ألقت رأسها للخلف لتنام بهدوء تنهد بإعياء .. اتجه لحقيبته أخرج ملابسه واتجه إلي الحمام فهو يريد أخذ حمام دافئ بعد تلك الرحلة .. أطفأ الأنوار في الغرفة حتى لا تزعجها أجهشت بالبكاء بصوت خافت للغاية .. ما إن أغلق باب الحمام وعم الصمت والظلام الغرفة .. وكأنها كانت تنتظر إغلاقه للباب كإشارة ..أخذ جسدها يرتعش ودموعها تجري بصمت .. ألن يرحمها مروان .. ؟!حتى حين خرج من حياتها .. لا ينفك يعذبها .. يشاركها صحوها ونومها .. يخيم على حياتها .. يا الله .. اللهم ارحمني .. أخذت تردد الدعاء بصمت .. بخشوع .. بقناعة ..

" اللهم إني مسني الضر فارحمني .. إنك أنت أرحم الراحمين .."

كيف لها أن تحب .. كيف لها أن تشعر حتي بالحب .. هي لا تستطيع أن تحب أحدا .. وبالتأكيد ليس نادر..! هو يستحق الأفضل .. لا يستحق أنثى مشوهة مثلها .. أنثى محطمة .. مكسورة .. معذبة .. لم يعد بقلبها سوى الشروخ والجروح والرعب ..لكن آاااه من لكن تلك .. التي تفتح لقلبها مدن الأحلام ..لكن هي تحب قوته .. تحب يقينه ... تحب تأكيده لها بأن لا مكروه سيصيبها طالما كان إلى جوارها .. تحب بقاءه إلى جوارها حتي وإن لم تعرف السبب .. حتى وإن كان شعور بالواجب .. الامتنان لصديقة .. لا يهمها المهم أنه إلى جانبها .. يحميـــها ...! توقف صوت المياه لينذرها بخروجه .. ما إن فتح الباب حتي تسمرت نظراتها عليه والحمرة تغزو كامل جسدها حتى في الضوء الخافت المنبعث من الحمام .. استطاعت رؤيته.. يا الله كيف لرجل أن يكون بهذا الكمال والفتنة .. لم يكن يلف حول وسطه سوى منشفة بسيطة ويجفف شعره بأخرى، حاولت أن تنظر بعيدا عنه .. بكل أمانة حاولت لكن بدا أن عينيها ترفضان الخضوع

لأوامر عقلها .. لم تكن قد رأت رجلا من قبل هكذا .. بتلك الروعة وذلك القرب .. صححت لنفسها باشمئزاز " كان هناك مروان .. !!اجعدت أنفها باشمئزاز .. فمروان ليس كذاك ،ولن يكون وهي لم تر مروان أبدا .. كان كالضباع ينهش لحم فريسته وهي حية .. إنما هذا ...!! هي متأكده أنه كالفهود .. لا يقرب فريسة مريضة حتى ..! وهي مريضة .. ممزقة .. منتهكة ..! أغمضت عينيها بألم وهي تعاود التظاهر بالنوم .. وفكرة واحدة تسيطر على خلايا مخها وقلبها .. نادر لن يفكر بك بتلك الطريقة أبدا .. هو لن يرغب ببقايا امرأة أبدا ..!.. كان يظنها نائمة .. لكن شيئا ما جعله يدرك أنها إنما تتظاهر بالنوم .. حاول تجاهلها لكنه لم يستطع .. بدا أن عبيرها ينتشر بالغرفة كالنار .. كان قد تعود على الحياة بمفرده فلم يلتفت سابقا لما يجب أن يفعله بوجود امرأة .. بدا مرتبكا ومحتارا .. أين يجب أن ينام ..؟! ظهره يؤلمه من نوم الطائرة غير المريح .. والليلة السابقة نام علي المقعد أمامها، أخذ ينظر إلى السرير بتعب وإرهاق وتبرير .. " يبدو كبيراً .. هي نائمة ولن تشعر به حتى .. ربما .!! ."

فكر .. قد تفزع إن صحت ووجدته بقربها .. يجب أن يفكر بها .. تمرد شيطانه عليه وهو يقنعه أو ربما لا يجب .. !! تناول شورت وتي شيرت رصاصي باهت لونه وعاد للحمام .. بدل ملابسه، وخرج مرة أخرى وأفكاره لا تنفك تعذبه..كان يشعر بالنيران في صدره .. بالحنق .. لماذا هي بعيدة هكذا .. ؟!رغم قربها يشعر بها بعيدة، لكنه لن يسمح لها بأكثر من هذا .. قد يكون تصرفه أنانيا لكنه يرغب في أن يكون أنانيا .. هو أناني في كل ما يتعلق بها ..يريد قربها حتي وإن لم ترغب هي .. يريد أنفاسها التي تبعثرها للهواء بعيدا عنه .. يريد عطرها الذي حرم منه كثيرا .. يريدها .. هو يعرف أنها تذكرته..تذكرت لو جزءا بسيطا للغاية ..كان ذهنه يعمل باطراد .. ما يجب عليه فعله هو الاستمرار بالضغط حتى تتذكر كل شيء،

وذلك لن يأتي بمراعاتها ..! بالخوف على شعورها وخجلها وإحساسها يجب أن تتشبع به .. يجــب أن تتذكــره !!ما إن انخفض بجسده إلى السرير حتى هبت فزعة .. لتثبت له أنها لم تكن نائمة أو أن نومها خفيف للغاية ... همست بفزع وهي تتراجع تلقائياً للخلف حتى أوشكت علي الوقوع من السرير :-" ماذا تفعل ..؟!! "

تظاهر بالبرود وهو يقول بلامبالاة :- " وماذا ترينني أفعل ..؟! "

تنهد حين لم يجد منها رد أكثر من اتساع عينيها النجلاوتين بمزيد من الخوف والفزع فسر ما هو واضح :- " أنام فأنا متعب "

هزت رأسها بخوف غريزي أغضبه بشدة :-" ليس هنا .. نم في أي مكان آخر "

ابتسم بسخرية وغضبه يتزايد إلا أنه كان يتحكم به بشدة :- " وأين تريدينني أن أنام .. ؟!! "

سحبت الملاءة حولها تداري نفسها وكأنها عارية .. ليس وكأنها نامت بملابس سفرها ..! " لا أعرف لكن ليس هنا ..!"

بدا أن الوضع سيتفاقم ورعبها يزداد .. فحاول بلطف :- " هدى بالله عليك أنا متعب ولا أريد سوى النوم .. "

لكنها رفضت التخلي عن ذعرها وأخذت تنظر له كما لو أنه سينقض عليها في تلك اللحظة ويلتهمها ما دفعه للقول بغضب وهو يرمي برأسه علي الوسادة بتعب روح وشجن و عذاب لم تدركه هي :- " كوني علي ثقه أنني لن أقترب منك بتاتاً.. أخبرتك كل ما أريده هو النوم . "

آلمها تصريحه اللامبالي بعدم رغبته فيها .. آلمها وجرحها .. بالطبع لن يرغب فيها .. وكيف يرغب في امرأة مثلها .. قذرة .. ملوثة .. مشوهة ..لمعت دمعة بأهدابها وهي تدراي جرحها لتومئ بصمت فاجأه .. سامحة له بالنوم وهي تلتزم أقصى اليسار من السرير ..تنهد بإعياء وفضل أن يتجاهل رد فعلها .. فاقترابه منها هو خطـوة ..!

*****

تسلل آسر للشرفة بصمت وهو يتلقى المكالمة الهاتفية التي كان ينتظرها من مدة .. أغلق باب الشرفة خلفه خشية من إيقاظها أو سماعها شيئا من حوارهما

سأل بصرامة :- " وجدته.. كيف كلا .. ؟! ماذا .. أين .. هنا ..!

ارتفعت نبرته بغضب أسود وهو يهتف :- " بباريس "

أكمل بعد صمت بصرامة أكبر ويداه تعتصران الهاتف حتى كاد يحطمه :- " حسناً لا تخبر نادر بشيء .."

هز رأسه بإصرار أشد وهو يقول:- " كلا ليس الآن .. فلنبق علي خطتنا للنهاية "

صمت طويلا وهو يصغي بانتباه تام .. انتهي ليهمس بعدها بود :- " شكرا محمـود "

عاد للغرفة ليتأملها وهي نائمة في سريرها .. ملتفة بلحافها و خصلات شعرها الغجرية السوداءمتساقطة حولها حتى ارتاحت أطرافها علي الأرض .. ركع على ركبتيه بجوار سريرها .. يتأملها بهدوء ونظرة حزينة شعت بعينيه حتى تحول لونها للرماد ..لمَ لمْ يلتقيا قبل كل الألم ..

العذاب واللامبالاة التي غلف نفسه بها ..؟! لمَ لمْ يلتقي بها سابقا بعمر آخر ومكان آخر وزمن مختلف ..؟! مد يديه يلملم خصلاتها ليرفعها برفق إلى أنفه يستنشق عبيرها بعمق .. ثم بتنهيدة ضيق من نفسه لملم تلك الخصلات ليضعها إلى جوارها علي السرير .. هم بالنهوض حين داهمته نغزة ألم رهيبة بعينيه ليكتم صرخة خرجت دون إرادة من فمه وهو يغمض عينيه بشدة .. ! بدا الألم بشعا لدرجة شعر بعينيه تنفجران من الداخل .. تمسك بقبضته بسريرها بعنف ليسكت موجات الألم البشعة التي أخذت تتنقل من عينيه لخلايا أعصابه كلها كما النار.. صدرت عنه آهه أخرى وهو يضع رأسه بكل ثقلها على سرير قاهرة التي هبت فزعة من نومها حالما شعرت بثقل خلفها .. لتفاجأ بشكل آسر وهو يقبض بعنف على ملاءة السرير بيد والأخرى يضعها على عينيه، وكأنه يريد أن يعتصرهما بها بينما همد جسده تماما من أي حركة .. لتقول بخوف والنعاس لايزال يداعب عينها :- " آسـر .. مابك ..؟! "

لم يجب .. لتعيد هي السؤال بخوف ،وقد نهضت عن سريرها لتنزلق إلي جواره على الأرض :- " آسـر .. ما بك ..؟ أأنت مريض .. أتشكو من شيء..؟!"

بلهفة مدت يدها لتبعد يده عن عينيه .. تريد أن تتأكد إلا أن أنيننا مكتوما متألما صدر منه ليرعبها .. أوشكت على البكاء .. لمعت عيناها بالدموع ،وهي ترى أمارات العذاب علي بقايا وجهه الظاهرة لها .. قبضته التي ابيضت سلامياته من شدة تمسكه بالشراشف حتى أوشك أن يمزقها ليخرج صوتها مرتعشا وبحة بكاء تبدو به واضحة :- " آسر بالله عليك لا ترعبني أكثر من هذا ..!"

ظلت صامتة لثواني تنتظر منه رد فعل أي شيء، وحين لم يبدر منه شيء هبت بارتباك وخوف لتنهض وهي تقول .. :-" سأنادي طبيبا .."

لتتوقف بارتداد سريع للخلف حتى كادت تقع عليه حين امتدت قبضته لتقبض على كاحلها وهو يهمس بألم وشراسة :- " ابقي مكانك!"

بدا أنه يواجه صعوبة في إخراج حروف مرتبة لاتدل على معاناته وألمه :-
" أنا بخير"

نفض قدمها من بين يديه ،وهو يقول بحقد :- " فقط ابتعدي عني "

يا الله حتي وهو بتلك الحالة يجيد طعنها .. طعنات متوالية .. يأمرها أن تبتعد عنه ابتلعت غصة وهي تعيد شعرها المتناثر للخلف .. كيف تبتعد وهي تراه بهذا الحال .. لمعت دمعة بأهدابها وهي تجاهد للتحكم في نفسها .. بقيت صامتة لثواني فقط حتي تمالكت أنفاسها .. لتتحرك بابتعاد مؤلم عنه .. لا يجب أن تهين نفسها أكثر من هذا .. أين ذهبت كل قراراتها السابقة ..؟!! إلا أن قبضته علي كاحلها أوقفتها ببطء وخشونة، وهو يهمس بألم بصوت مبعثر يناقض قراره السابق :-" ابقي .."

حين ترددت أكمل بنفس البعثرة الأجشة :-" عيني أشعر بها ستنفجر"

ياالله عليه .. يؤلمها بلحظة حتي توشك روحها علي الهرب من جسدها خوفاً من ذلك الألم .. ليداويها في اللحظة التالية لها ،جلست ببطء إلى جواره .. ليترك كاحلها ويضع يده الأخرى علي عينيه بشكل متصالب ، وهو يرجع رأسه ببطء للخلف يسندها علي مقدمة السرير فكرت بتبعثر .. لتتخذ قرارها وهي تهمس له :-" انهض .."

لم يتحرك لتميل عليه ، وهي تحاول أن ترفعه من كتفيه .. لينهض معها دون إرادة تقريبا كشفت عن مدي الألم الذي يعاني منه، رتبت فراشها المبعثر لتجعله يستلقي عليه ... ما إن استلقى ببطء وعينيه لازالت مغمضة حتي أخذت نفساً عميقا تهدئ به الصخب الدائر داخلها .. لتدور من جانب السريرو تتسلقه .. جلست ومن ثم رفعت رأسه ببطء ليستقر بحضنها .. بدا أنه صدم .. حاول أن يزيح رأسه بعيدا عنه دون قدرة لديه علي الكلام .. إلا أنه أصدر آهة حين حرك رأسه بعنف .. آلمت قلبها لتهمس بريق جاف :-" لابأس عليك .. فقط أرح رأسك "

وكأنه كان بحاجة لتلك الكلمات .. إذ استسلم سريعاً بطريقة جعلتها تقطب ما بين حاجبيها بقلق شديد .. أراح رأسه في أحضانها بصمت .. شدت الدثار لينزلق عليه .. تأفف إلا أنها همست له :-" هششششش .. استرح "

خفضت رأسها إليه وهي تبدأ تدليك جانبي رأسه بنعومة .. تمرر أصابعها على العروق البارزة بجانبي رأسه .. صدرت منه همهمة أخري وجسده يسترخي قليلا .. انتقلت أناملها لفروة رأسه .. لتنساب بداخل نعومة شعره وارتعاشه تمر عبر عمودها الفقري ، لطالما تاقت لتمرر يديها بخصلات شعره .. ابتسمت بشجن .. بينما انزلقت خصلات شعرها من الجانبين بشكل بديع ليتساقط علي وجهه .. حاولت لملمته بسرعة حين وجدت يده تتمسك بخصلاتها بإصرار ليهمس آسر ما بين نوم ويقظة بصوت أجش :-" اتركيه .. يعجبني عبيره ..! "

ابتلعت ريقها وهي تتركه وقد بدا صخب قلبها يخنقها .. همس بفضفضة روح :-" أتدركين أن أكثر ما أحب بك هو شعرك"

يا لحظ شعرها ..!! قالت لنفسها ساخرة بمرارة ليكمل بغياب تام عن الواقع :-

" أول مرة رأيتك بها كنت في السادسة عشرة كنت في نافذة غرفتك .. وظهرك للشرفة لا أدري كم توقفت منبهراً هناك .. وأنا أرى تلك الخصلات السوداء بالغة الطول حتي لامست الأرض .. ترفرف هنا وهناك .. ظننت.."

ابتسم بنصف حلم :-" ظننت أنني أتوهم .. أن جنية ساحرة ظهرت لي أو أن ست الحسن والجمال بقصة الشاطر حسن عادت للحياة مرة أخرى.."

ثم أكمل بنبرة غريبة بيأسها .. برقتها .. :- " لأدرك أنك ما أنت إلا أخت شذى الصغرى .. كنت فقط في السادسة عشرة ..واحتقرت نفسي .. "

أكمل آسر بينما تسمرت قاهرة و قد أصبحت تخشى أن تتنفس حتي لا يتوقف .. أرادت منه الاستمرار .. أرادت أن تسمع .. كانت خلايا جسدها تصرخ .. بفرح .. حزن .. يأس .. و خيبة ..!كان يعرفها .. آسر كان يدرك بوجودها بل وأقر أنه أعجب بها .. صححت لنفسها بجنون .. بل أعجب بشعرها .. كانت تشعر بالجنون .. اللامنطقية .. أجبرت نفسها علي إخراج نفس مختنق بهدوء ،وهي تستمع لهلوثته :- " ثم حادثتني .. و ادعيت أنك شذى .. لأدرك أنني يجب أن أبتعد .. فأنت كنت لاتزالين طفلة .. أعتقد أنني نسيتك فيما بعد .. كان انبهارا ليس إلا ..! إلا أن تلك الصورة رفضت أن تمحى من ذاكرتي كانت شيئا من الخيال .. من الأحلام المبتورة التي جعلتني أستطيع خوض العذاب بذلك المعتد "

ليصمت فجأة وهو يعتدل قائلاً بخشونة غريبة :- " لقد اختفى الصداع"

صدمة راودتها .. شلت لسانها لثوانٍ .. ماذا حدث .. هزت رأسها بعدم قدرة على الاستيعاب لتهمس ونظراتها تحاول أن تلاقي نظراته .. بلهفة ..:- " آسر "

نهض بعصبية وهو يتلفت بالغرفه بحثا عن هاتفه قائلا بخشونة وقسوة :- " .. لماذا أنت بليدة الذهن هكذا .. أخبرتك اختفى الصداع "

.. صدمتها الإهانة ..اقتربت منه والشرر يتطاير من عينيها لتمسك بذراعه الذي تصلب تحت قبضتها الناعمة، وهي لا تجد ما تقوله ليعلو صوتها بعصبية .. بغضب .. وذهول :- " أنت .. أأنت مجنـون .. مريض نفسي .. أنت لست سوى"

التف إليها فجأة وهو على مقربة بالغة منها حتي تلامس صدريهما .. حتي استنشقا أنفاس بعضهما البعض في ذلك الحيز الضيق المتوتر ليهمس بشراسة وحقد وعيناه غاضبتان للغاية يحاول تحذيرها منه .. مما يخشاه :- " ها قد عرفت الحقيقة .. أنا مجنون .. سادي .. مريض نفسي كما قلت .. فابتعدي عني لأقصى مسافة تستطيعين .. "

همس بقسوة وحقد وغضب بالغ لم تستطع تفسيره :- " لا تحاولي أن تغريني .. لأنك لو فعلت .. فلن يكون هناك نادم سواك !! "

*****

اقترب منها ببطء يقبل جبينها هامساً بصوت خشن :- " تلك قبلة الاحترام"

انخفض إلى وجنتها ولازال يهمس بحب :-" وهذه الود "

ارتفع إلى ما بين عينيها وصوته ينخفض بشدة وارتعاشه تظهر به وهو يهمس :-" وهنا موضع العشق "

استيقظت هدى لاهثة .. من ذلك الحلم .. كانت أنفاسها ترتفع وتنخفض بصخب .. جسدها حار رغم برودة الجو .. هدأت تماماً وهي تحاول السيطرة علي ارتعاشها وقد بدأت عيناها تتعودان علي الظلام .. التفتت بوجهها قليلاً لتجده مستغرقا في النوم إلى جوارها ..حزن هائل غمرها على نفسها .. تشعر بالخجل كفتاة بريئة .. بل إن شعورها تجاهه .. وكأنها فتاة بريئة .. لم يمسسها رجل قبلاً لا تدري كيف تفسر شعورها هذا .. ربما لأن كل مرة كان يلمسها بها ذلك الحقير .. كان يغمى عليها .. ولا تشعر بشيء ..ربما لأنها حين تنظر إليه الآن وتتلهف أناملها لملامسته .. تلك الذبذبات التي تمر عبر جسدها بأكمله .. ذلك التوق اللامحدود لملامسة خصلات شعره الغافية على جبينه .. تلك الرغبة المحرقة .. كل ذلك لم تختبره من قبل .. ربما هي عذرية الروح .. قبل عذرية الجسد .. قد يكون مروان انتهك جسدها .. لكنه لم يصل إلى روحها .. فروحها لازالت عذراء .. ! قبضت على أناملها بشدة تمنعها من الهرولة إليه .. لكنها لم تستطع وكأن أناملها لهما إرادة خاصة بهما .. اعتدلت ببطء شديد .. صارت تستند بمرفق على الوسادة واليد الأخرى هرولت إليه .. إلى خصلات شعره .. تلامسها ببطء وشيء من الحنين الغافي بين جنبات أضلعها .. شيء من الحنين الحزين .. حين لا نعرف مصدره .. وهي لا تعرف لماذا تشعر نحوه بالحنين .. والحـزن ! تسللت أناملها إلى وجهه بدون قصد منها أو إرادة .. تلامس وجنتيه .. لحيته الخشنة بعض الشيء .. عظمة أنفه الشامخة .. لتنزلق إلى شفتيه .. بانبهار .. كانتا متقوستين .. الشفة السفلى غليظة بعض الشيء .. والعليا .." بالله عليك .. توقفي ..!

ولت الأنفاس هاربة منها وأناملها على شفتيه وجسدها كله يشتعل .. بتأثير همسته الأبحة الخشنة المنخفضة .. تسمرت وهي تحدق بعينيه المفتوحتين .. وقد شابتهما نظرة حارقة ..لتختفي الأنفاس تماماً من صدرها .. كان يجب أن تبتعد .. أن تفزع .. أن تشعر بالرعب .. لكن نظرة عينيه سمرتها مكانها بانبهار.. ولازالت أناملها تلامس شفتيه .. بتوهان ورجفة .. بينما همس هو بعذاب، وهو لا زال على نفس وضعيته :- " أنا رجل ياهدى .. مهما ظننت بي من قوة فأنا رجل وما تفعليثه بي عذاب .. فبالله عليك توقفي !"

سحبت أناملها ببطء .. وعذاب عينيه ينتقل لعينها بصمت وهدوء وإدراك وشهقة ضخمة ترتعش في صدرها .. لتشهق باكية فجأة، وكأن كل الهواء قد عاد دفعة واحدة إلى صدرها بسرعة وهو يختطفها إلى ذراعيه الضخمتين .. يعصرها بينهم.. احتضنها بشدة ليدفنها بأقصى أضلعه يريد لها إفراغ دموعها بصدره علها تروي قحط السنوات العجاف التي عاش بهما بعيدا عنها .. لا يريد لدموعها أن تتساقط لتروي الأرض تحت قدميها بينما أضلعه عطشي لها ..!

" هششششش .. حبيبتي .. هشششش "

كانت كل خلية به تصرخ نداء لها .. وتطالب .. بل وتأمره بالطاعة .. كل خلية بجسده تطالبه بتلبية نداء جسدها .. رجفة جسدها وأنين شفتيها .. كل ذرة تعقل به طارت بمهب رياح أنفاسها الساخنة المرتعشة التي تلفح صدره .. مد يده يزيح حجابها الواهي من تأثير النوم لتتساقط خصل شعرها العسلي كشلال بالغ الروعة والنعومة على يده الخشنة .. دفن رأسه به .. يستنشق عبيره بشوق يريدها أن تخترق أنفاسه وتتشبع بها حواسه التائقة لها .. تسللت أنامله تعبث بهم بانبهار وتوهان وحنين ..

لطالما تاق ليتلاعب بخصل شعرها بين يديه .. منذ تلك الليلة الأولى التي رأى بها شعرها على غفلة منها ومن الزمن وهي ترفض رفضا قاطعا أن تريه إياه مرة أخرى .. الآن أصبح حلاله .. لـه .. كلها له ..! وهو لم يكن ليسمح لها بتلك اللحظة من منعه من أشياء لطالما أرادها ..خفض رأسه القوي الفخور إليها بحب .. بلهفة .. بتأن .. يرفض رفضاً قاطعا أن تضيع أنفاسها في الهواء ..وهو يلامس خصل شعرها .. ليضع قبلة حارة علي جبينها .. ومن ثم وجنتها بتأن عاشق حد النخاع .. رفع وجهها إليه لتتقابل نظراتهما .. لم يكن بعينيها خوف أو اشمئزاز أو رفض .. بل فقط فضول متسائل حائر ولهفة عميقة .. ليعاود تقبيلها بعمق بين عينيها وهو يهمس كالحلم " هنا موضع العشق .."

لتتساقط دمعتان ببطء من مقلتيها .. وياللغرابة .. لم تبعده عنها ! بل ازدادت اقتراباً منه في تلك المساحة الضيقة التي تفصل بينهما .. ! كانت يداها تحوطان خصره القوي الحار .. كطوق نجاة .."أرادت .." فكرت بتشوش " أرادت المزيد .. " أرادت أن تغرق ولا ينتشلها سواه .. بفضول الأنثى التي لا تدرك شيئا مما يحدث .. فهي ولأول مرة تختبر حضن رجل بتلك القوة .. والحنان .. كان صدره دافئ .. أنفاسه المختلطة بأنفاسها ورائحته الغامضة تتسلل إلى خلايا مخها لتعيد إليها شيئا من ذاكرة منسية ".. همسة حب وحنين "

"وضحكته الأجشة تتردد في البهو الخالي لمنزلهم القديم .. وهي تحاول أن تربط له جرح كتفه الذي ظل ينزف بين يديها الوجلتين المرتعشتين بينما أخذ هو يضحك بكل عجرفة وخشونة ولا مبالاة .. وكأنه اعتاد علي الجراح ، لكنه حين لمح الدموع في عينيها صمتت ضحكته ليمسك يديها بين يديه ببطء يوقف تحركها النشط الوجل حوله ليهمس لها بلكنته

البدوية المميزة :- " لا تخش شيئا هدى فأكبر الجروح هي جروح الروح لا الجسـد "

ابتعدت عنه شاهقة ..ارتبكت .. والذكرى تداهمها كل شيء معه .. تشعر به للمرة الأولى مبعثرة .. ! تشعر أنها مبعـثرة لم تملك إلا أن تصرخ بخوف اعتادت عليه .. بردة فعل لم تعد تفكر كثيرا بآليتها :- " ابتـعد عـني "

*****

تنفست شادن بعمق .. أخذت تتجول بشوارع باريس القديمة .. تطرق قدماها الأرض الحجرية .. الأرصفة اللامعة بفعل رذاذ الأمطار المتساقط .. كانت ترتدي معطفا أبيضا يصل فوق ركبتها بقليل وسكارف أحمر قاني عقدته بطريقة أنيقة حول رقبتها.. بنطال جينز بلوبلاك .. وأخذت مظلتها معها لكنها فضلت أن تستقبل زخات المطر الخفيفة علي بشرتها .. برودة الجو لذيذة .. منعشة .. جالت عيناها ما بين أضواء متلألئة .. وعشاق يحتمون بدفء بعضهم البعض من البرد .. الروائح الذكية لبعض المطاعم المشهورة .. عدة مكتبات تعمل أربع وعشرين ساعة .. حتى أن هناك البعض من فضل القراءة في مثل ذلك الجو .. أخذت تمشي وتمشي .. استمتعت كثيرا ،وشعرت بالصفاء يغزو روحها المتعبة ..انتهزت فرصة نومهم ولم تشأ أن تقلقهم .. فضلت الانفراد بروحها قليلاً .. تريد استعادة ذاتها القديمة الخالية من الهموم .. لم تعر الأمطار اهتماما بينما أخذت تشتد حدتها .. فتحت مظلتها واستمرت بالسير .. أدركت أنها ابتعدت كثيرا عن الفندق ،ويجب عليها أخذ تاكسي والعودة لكنها استمرت في التجول .. توقفت لشراء فنجان من القهوة الساخنة ..حين شعرت بأحدهم بالقرب منها .. هزت رأسها بإهمال .. التفت يميناً ويساراً ،لكنها لم تلمح أحدهم ينظر لها .. أخذت كوب قهوتها واستمرت بالسير .. حين بدأ الشك

يخامرها .. وقع خطوات ثابتة هادئة خلفها .. حثت السير بقليل من اضطراب لتدرك أن الخطوات حثت السير خلفها .. بدأ خوفها يتنامى وهي تدرك أنها ابتعدت كثيراً، والمكان أصبح أكثر توغلاً في المتنزة .. لا يوجد أحد حولها القليل فقط يتناثرون هنا وهناك .. رمت فنجان القهوة وهي تسرع الخطي والأمطار تتزايد بشدة .. ووقع الخطوات خلفها يتزايد .. والأمطار تتزايد .. برق ضرب السماء صاحبه رعد .. تغير الجو في ثوانٍ من البرودة اللذيذة والأمطار الخفيفة .. لأمطار شديدة القوة حتى أن مظلتها طارت من يدها .. وبدأ جمهور الناس المتفرقين هنا وهناك .. يجرون بكل الاتجاهات للاحتماء من شدة الأمطار .. أصبحت مسيرة لا مخيرة وهي تتبع الجموع ..ما بين اصطدامها بأحدهم وآخر هناك ،والخوف يتزايد بداخلها .. حتى اصطدم أحدهم بها بشدة لتسقط علي ركبتيها .. " أووه.. يا إلهي..!"

حاولت النهوض عدة مرات لكنها كانت تفشل كل مرة بسبب اصطدام المارة بها، وهم يهرولون تحت وقع المطر الصاخب .. أغمضت عينيها بشدة .. وهي تحاول التنفس بهدوء .. لكنها لا تنكر أنها كانت مرعوبة .. أخيرا لملمت نفسها ونهضت ببطء لتجد نفسها تصطدم بصدر صلب .. جعلتها المفاجأة تشهق، ويد ذلك الغريب تمتد لتحميها من اصطدام أحدهم بها .. رفعت عينيها لتبتعد عنه وتشكره حين أتت الهمسة الأجشة لينفذ الأكسجين من رئتيها " كالم فو.. (اهدئي) "

ياالله الريحان

*****

" ابتعد عني "

ترددت الكلمة بينهما في الصمت السائد .. انطلقت كرصاصة أصابت مقتلها بصدره بينما ، وضعت يدها على فمها شاهقة باضطراب وارتعاش .. لم تجرؤ علي التحرك .. فقط لم تجرؤ .. أرادت الهرب بعيداً .. الانزواء .. لكنها فقط لم تستطع .. لم تستطع أن تفسر لنفسها السبب بينما رفع هو يديه إلى وجهه بتعب يمسح عليه ببطء .. اتخذتها هي فرصة لتهرب بعيداً عن عينيه .. .. لم يتكلم لثوانٍ بدت طويلة للغاية .. لكنها توقفت لثانية مهزوزة حين أتتها همسته الأبحة بصوت خشن، وهو يرمي رأسه للخلف بإرهاق :- " أنا آسف "

هزت رأسها برفض غريزي وهي تهرول إلى الحمام لتغلق الباب خلفها بقوة .. استندت علي الباب لتهاوى قدماها تحتها فجأة .. هي ترفض أسفه لاتريده أن يتأسف .. لا تريده أن يتـأسف !! أرادت منه أن يصرخ .. أن يهزها .. أن يخبرها أن ما يفعله هو حق مشروع له .. أن يهينها .. يضربها .. حتى تكرهه أكثر.. مروان كان يفعل هذا ..!!! لماذا لا يفعل مثله أليس كل الرجال سواسية ..؟!!

*****

أغمض نادر عينيه بقوة .. ياالله .. كيف له أن يصبر .. كيف له أن يحتمل أوشكت طاقته علي الاحتمال بالنفاذ يريد لها أن تتذكره .. أن تتذكر ..! يدرك أنها لا تريد أن تتذكر ويعذرها بهذا .. لازالت كلماتها ترن بأذنه لقد اغتصبني .. !!

ياالله ..ارحمني ما أبشعها من كلمة كيف حدث هذا ..؟!كيف سمح له أن يحدث ...؟!! هو السبب لو لم يغادر..! لو لم يذهب بتلك المهمة ..! لما

حدث لحبيبته شيء ..! قبض علي أصابعه بقسوة .. كان يحيره بشدة شيء ما .. أزاح جانبا كل تقززه .. اشمئزازه .. رغبته في قتل ذلك الحقير .. ليفكر .. حين عاد كانت زوجته ..! أهذا هو السبب .. إذاً هذا هو سبب عدم انتظاره .. لكن كيف ..؟! كيف حدث كل ذلك .. ولماذا لا تتذكره هذا ما يحيره .. وبشـدة يجب أن يسمع منها .. يجب أن تطمئن له بشكل كافٍ حتي تحكي له ما حدث ..! يجب أن تتذكره لتحكي لـه ,ابتسامة مرت علي طرف فمه بأسى لقد عانقها ..احتضنها .. تشبع بأنفاسها ولو قليلاً .. قليلاً بما يكفي ليستمر .. ليناضل من أجله وأجلها ..! لتعود حبيبته كما كانت من قبل مثال للفتنة والبراءة لتعود ساحرته التي لم يدر كيف وقع قلبه الجبار صريعاً تحت قدميها فقط من ابتسامة ورعشة هدب خائف يحن وبشدة لتلك الأيام الأربعة التي قضياها معا مرغمين ..!

تلك الأربعة أيام هي ما زاده بعدا ..اعادت به الذاكرة لذلك اليوم الذي يبدو الآن بعيدا للغاية، وهي تقول له بكل براءة وهي تشير على كتفه النازف :- " كيف أصبت هكذا ..؟!وماذا تفعل هنا ..؟! هل أعطاك آسر المفتاح ..؟! لمَ لمْ تقم بفندق ..؟!

أأخبرتك أن الكهرباء منقطعة ..؟!كم ستبقي .. ؟! أمممم هل أنت فعلا صديق نادر..؟!!

أخيراً أشارت إلى صدره العاري بضيق :- " هل ستظل هكذا عاريا .. أليس لديك ملابس ترتديها ..؟!! "

انطلقت ضحكته الأجشة وهو يشعر بالذهول .. ياللهول لديها حصيلة هائلة من الأسئلة ..! مد يده حتى حدود شفتيها يصمتها ..لتشهق متفاجئة وعيناها ترتفعان إليه في خجل .. لتؤسر عينيها بألف شمس بعينيه .. ظلت أنامله معلقة بينهما بالهواء وعيناه تأسران عينيها هامسا بصوت

خرج مبحوحا بعد ما أراده أن يخرج مرحاً :- " هششششش اعطني فرصة لأجيب "

لتبتعد بخجل و بنفس هامسة والاحمرار يغزو بشرتها تماماً :- " وهل منعتك ..؟!! "

استعادت سيطرتها علي نفسها بصعوبة لتقول بتقطع ومشاكسة وهي تنزلق بعيدا عن السرير

" أنت لم تجب حتى الآن ولوعن سؤال واحد "

انزلق هو الآخر من السريرمن الجهة المقابلة لها ،وهو يقول بابتسامة متسامحة خالطها كثيرمن الاستمتاع الذي أراد إخفائه لكنه لم يستطع" أنت لم تعطيني الفرصة .. تذكري هذا..! "

التفتت إليه بإغاظة وهي تكتف يديها حول صدرها بطفولية لتراه يرتدي قميصا ما على عجل وتأوه حين ارتفع ذراعه للأعلى .. ما حبس أنفاسها .. رؤيته بهذا الشكل كان صدره قويا .. وخصره ضامرا حتى في الضوء الشاحب استطاعت ملاحظة لونه البرونزي الرائع التفتت لبعيد بخجل وهي تقول :-" حسناً ها أنا صمت .. تكلم "

ما إن هم بالإجابة حتى فاجأته بصرخة خفيفة، وهي تقترب منه قائلة :-" يا إلهي لقد نسيت جرحك تماماً.. ذراعك ينزف .. و"

أكملت بخجل ووجهها يتلون بالاحمرار اللذيذ حين لاحظت مدى اقترابها منه برعونة :- وحاجبك وجزء من.."

أكمل عنها حين صمتت بتعثر:-" وجنتي "

استنشقت بعنف وهي تجذبه من يده بثقل قائلة برقة :- " هيا معي إلى الدور السفلي هناك علبة إسعافات أولية .. أعتقد .. في الحمام السفلي "

يا إلهي ستصيبه بالجنون ازدادت ابتسامته ،وهو يراها تجاهد في شدة بيديها الرقيقتين والتوى فمه بسخرية سعيدة، وهو يفكر هي حتى الآن لم تعطه فرصة للحديث ما إن انتهت من تعقيم جرح حاجبه حتى تلمسته دون إرادة منها و بخجل كبير، وهي تقول بأسف " سيترك أثـرا دائما "

لم تكن تدري لحظتها كم أن كلامها صحيح .. فذلك الجرح ترك أثراً دائما بقلبه وعقله .. أثراً كان الأحب لقلبه ..! تنهد وهو يحاول عبثا النوم ..لكنه لم يستطع رغم إرهاقه .. فإن إدراكه أنها تحبس نفسها بالحمام خوفاً منه يؤلمه أغمض عينيه بصبر .. يتنفس بعمق والذكرى لا تنفك تعاوده ..

ابتسمت بتوتر وهي تقول :- " ها قد انتهيت .. لم يبق سوى جرح كتفك النازف .. أنت لم تخبرني للآن كيف حدث لك .. ؟!"

عيناه لا تفارقان تقاطيع وجهها .. يشعر بالانبهار .. كيف لأنثى أن تكون بتلك الرقة والجمال والبراءة بحيث تسبب له غصة بقلبه .. بارتعاش بأطرافه .. برغبة بمخالفة كل القيم والمبادئ فقط ليهمس لها أحبك..!

تفاجأ من نفسه يحبها .. اتسعت ابتسامته .. نعم يحبها .. منذ وقعت عيناه علي ذلك الهدب المبلول حتي وقع صريع حبها .. " نادر أنا أحادثك.."

همست هدى بخجل وهي تشعر بنظراته تحوطها حتى أصبحت بشرتها متوترة أينما وقعت عيناه خرج من شروده ليهمس ببحة كان لها الأثر القاتل لها :- " هاه .."

أعادت السؤال بخجل " جرح كتفك هل تريد أن ألقي نظرة عليه .."

ليقول ببساطة : " بالطبع "

بدأ يفك أزرار قميصه الذي ارتداه علي عجل لتصرخ هي بخجل شديد :- " ماذا تفعل ..؟! "

.. أجاب باستغراب لصراخها : " أخلع قميصي "

وحين هزت رأسها برفض تساءل باستغراب :- " كيف ستعالجين ذراعي إذن ..؟! "

قالت بارتباك وهي تلوك شفتها بتوتر لذيذ :- "لا أدري .. !! حسنا لا بأس علي ما أظن "

لتتسع ابتسامته وهو يدرك أنه أصبح يعشقها بدأت بملامسة الجرح بخجل وارتباك .

ليتأوه فجأة ما دفعها للهمس بآسفة .. بخوف ورعب .. كانت تخشي أن تجرحه .. تؤلمه .. بينما لم يبد عليه أساسا أن الجرح يؤلمه إلا أنه حين تؤه ارتعب فعلا .. أدرك أنها لن تستطيع ربط ذراعه جيدا من خجلها وتوترها فسألها ببساطة يبحث عن حوار خفيف ليزيل توترها بعيداً :- " ما هي أكثر حلوى تحبينها ..؟!! "

رفعت رأسها له باستغراب تتساءل :- " ماذا ..؟! هل سمعت سؤالك صح"

أومأ برأسه بالإيجاب لتنطلق ضحكتها الرائعة الرنانة ويتوقف قلبه عن الخفقان " يا الله هل لضحكة أن تكون قاتلة هكذا .. ؟! "

اشتدت ملامحه وتوتر ذراعه بيديها .. لتصمت بارتباك في الحيز الضيق بينهما ،وهي تجيب عن سؤاله بهدوء :- " باسكن روبنز"

جاء دوره ليبدو حائرا الآن :- " ماذا ..؟!

فسرت له بابتسامة خفيفة :- " لطالما أحببت باسكن روبنز فانيلا

لا أحب الحلويات كثيرا لكنني مدمنة على باسكن روبنز"

*****

ياالله الريحان

رفعت عينيها تبحث عن عينيه .. تتأكد من الهمسة الأجشة .. لكنها لم تجد الفرصة كان يضع سكارف أسود يحيط بوجهه ورأسه ليحميه من المطر .. رفع مظلة سوداء كان يحملها لتقيهما شر ضربات المطر .. ضمها بذراعه الأيسر إلى ضلعه وهو يسير بها في صمت .. حاولت الوصول لعينيه لكنها لم تستطع .. كان يسحبها خلفه بسرعة .. وهو يحميها بجسده من أجساد المارة المتصادمة .. كانت أقصر منه بكثير .. بدت قزمة أمام عملاق .. لم يكن هناك سوي رائحة الريحان المختلطه بعطر المطر هو ما جعل قلبها يثب في حلقات مفرغة من اللهفة والأمل والعذاب وكما ظهر فجأة اختفى فجأة، وجدت نفسها تجلس علي كرسي هادئ أمام موقف الباص .. و منقذها اختفى في لمح البصر بين الوجوه .. ليترك لها شذى عطر مطر .. و.. عطر ريحان ..! وضعت يدها علي قلبها .. تهدئ تلك الرعشات الثائرة .. الوجلة .. الاضطراب كان علامتها .. أخذت تتلفت حولها بيأس .. دون أن ترى شيئاً .. أين تهرب من طيفه .. ؟!! خفضت يدها .. أمام عينيها تلاحظ ارتعاشها .. مدت يدها الأخرى لتشبك أصابعها ببعض عل ارتجافهم يهدأ .. ببسمة ساخرة.. بدا أن كل شيء عاد كما كان

.. خفتت الأمطار .. وتفرق الناس .. عادت المواصلات حية أمام عينها .. أضيئت المحلات بألف لون ولون..!

*****

أخيراً تجرأت هدى وخرجت من الحمام بعد أن سمعت صوت الباب يغلق .. خرج نادر.. همست :-

" الحمد لله .."

لم تكن تدري كيف ستواجهه تشعر بالخجل من نفسها .. وبالاحتقار .. ماذا سيفكر فيها .. أكيد سيقول أنها عاهـ****

توقفت الكلمة حتي بعقلها .. لطالما نعتها ذلك الحقير بتلك الكلمة .. هزت رأسها برفض ليطاير شعرها بخصل مبللة .. هي ليست هكذا .. ولم تكن أبداً .. أخذت نفسا عميقا، وهي تجلس علي السرير.. لقد تحملت الكثير.. الكثير جداً .. سنوات من العذاب .. والألم النفسي والجسدي .. مرت عليها أيام لم تكن ترى فيها النور حتى .. كان يجبرها على التزام غرفتها خوفا من الخروج إليه حتى لا يحقق مأربه منها .. حتي لا يلمسها .. خفضت رأسها بأسى لكنه كان يجد طريقه دائماء.. أول عام مارست فيه كل طرق الرفض والمقاومة .. لكنه استطاع في النهاية أن يقضي عليها .. على شخصيتها ... كان يتخذ معها أساليب وطرق ملتوية .. كان يمنع عنها الطعام والماء .. كل وسائل الاتصال .. الهاتف .. التلفاز .. حتي الراديو .. أحيانا كان يخيرها بين شربة ماء وأن تنفذ له رغباته .. وكانت ترفض ..! يا الله لا تدري متى تحديداً حدث التحول ، وأصبحت خاضعة له ،هي لم تتقبله يوما .. لم تسلمه جسدها يوما بإرادتها .. لكن ربما كان إغماؤها من البداية تصريح غير مباشر منها ليمارس عليها أنواع من العذاب

السادي دون اعتراض منها ،تعلمت أن تجيب بنعم ولا .. تعلمت أنها حين ترغب في شيء .. فرد فعلها يكون العكس تماما .. يجب أن تظهر نفورها من هذا الشيء .. تعلمت أن تكون ملتوية التفكير حتي يرحمها من عذابه ..! شيئا فشيئا بدأت هدى تضمحل وتختفي من داخلها لتظهر أنثى أخرى بلا ملامح ولا هوية سوى ما يريد لها مروان .. شيئاً فشيئاً بدأت تفقد ذاكرتها .. أو أشياء معينة منها .. كانت تشعر أن هناك أشياء يجب أن تتذكرها .. لكنها فقط

لا تفــعل ..! في البدء كانت تحارب حتى لا يحدث هذا .. صارت تكتب ما تتذكره في ورقة .. أشياء .. أشخاص .. مواقف ..الكن حتي تلك الأوراق كانت تجدها مختلفة بعدها بأيام حين تريد التأكد من ذاكرتها .. المواقف .. الأسماء .. الأشخاص .. تختلف .. حتى ظنت أنها جنت لتستسلم تماماً وصارت هدى امرأة الاحتمالات لم تعد متأكدة من شيء .. الخوف والجبن عنوانها .. اللاهـوية اسمـها

حتى ظهر هو .. نـادر

وهي لا تجرؤ علي النظر بوجهه بعد ما حدث .. يا الله اشتعل جسدها كله مرة ثانية حين تذكرت ما حدث .. لأول مرة في حياتها تشعر بتلك السعادة تغرد بداخلها .. الإحساس بالأمان يتعاظم حتي تشبعت به كل خلاياها .. حين احتضنها .. توقفت عن التفكير لوهلة، وهي تضع يديها علي وجنتيها تبرد من سخونتهما .. وابتسامة شفافة تلاعب شفتيها حين احتضنها .. لم يعد للكون وجود .. شعرت أنها تناثرت لآلاف الشظايا المتفجرة .. تبعثرت .. تبعثرت .. ثم عادت لتتجمع بأحضانه مرة أخرى .. كان قلبها ولأول مرة يضخ الدم بشرايينها في سعادة وليس بخوف وضربات قلبها وصلت حدها الأقصى شوقا وليس رعباً حتى تذكرت ..! حتى خافت ..! حتى عادت هدى

القديمة تطل برأسها من نافذة معتمة خلقها النسيان ليرمي بها في بحر الذاكرة، تتذكر أنها كانت ترفض بتاتا أن يقبلها مروان .. كانت تزم شفتيها بقوة .. وإصرار أمام محاولاته .. لم تكن تتخيل نفسها أبدا .. تستجيب لهذا الحقير والآن وبكل بساطة .. تتجاوب مع نادر .. وليس فقط أنها تقبلت عناقه بل وأرادته .. أرادت المزيد وهذا ما أخافها ..! حاولت إقناع نفسها ألا فرق بينهما فذاك رجل ونادر رجل .. لكن

ليس كل من يطلق عليه رجل.. هو رجل ..! توجهت إلى طاولة الزينة لتجد ورقة بخطه الأنيق وكلمتين قاطعتين فقط " أنتظرك بالأسفل "

ابتسامة بلهاء راودت شفتيها .. يا الله .. هل أخيرا قد يحق لها السعادة .. هل ..؟!! توقفت تساؤلاتها حين رن هاتف الغرفة، رفعت الهاتف بابتسامة هادئة لتجيب بنعم ليأتيها صوت أنفاس ثقيلة .. مشبعة بالفحيح ،سمرتها مكانها لتهمس مرة أخرى بتوتر وخوف وجسدها كله ينتفض :- " من معي ..؟!! "

لا مجيب .. فقط تلك الأنفاس الثقيلة التي تتردد بالصمت ليبلغ رعبها ذروته .. لم ترد أن تصدق .. أرادت تكذيب ظنونها فاستجمعت شجاعتها مرة أخرى لتسأل بصوت حاولت إيداع كل شجاعتها وصرامتها به :- " من أنت ..؟! "

ليأتيها صوت مروان البارد ذو الرنة التي تبعث القشعريرة والاشمئزاز بجسدها، وهو يقول بصوته ذي الفحيح :-

" أنت لي .. لي أنا ولن تكوني لغيري أبداً"

الفصل العاشر

ذاكرة منسية

عابرون بين ضفتي النسيان

هُنالك مواسم للبكاء الذي لا دموع له ..

هُنالك لحظات تمر عمراً ..

هُنالك عمر يحتضر في لحظة ..

(أحلام مستغانمي)

" أنت لي .. لي أنا ولن تكوني لغيري أبـداً"

انتفضت هدى، وهي تغلق السماعة بفزع .. رعب اجتاح جسدها .. رعب هائل تهاوت إلى الأرض .. تنكمش على نفسها ،وتغلق أذنيها بعنف، وكلماته لا تزال تتردد بأذنها .. أنت لي ! طوفان هائل من الرعب غمرها .. تتذكر .. وما أبشع الذكرى .. تتذكر أنفاسه الكريهة .. تتذكر تلك الليلة السوداء .. إغماءها .. تتذكر والدها وهو يخفض عينيه أرضاً .. يتهرب منها ومن نظراتها الذبيحة .. تتذكر إجباره لها على الزواج منه، تتذكر تهديده لها بآسر.. بأمها.. بشادن

تتذكر نظراته لها وكأنها المسئولة عن ضياع شرفها .. ازداد انكماشها على نفسها .. تتـذكر نـادر

شهقة ضخمـة علقت بحلقها نادر.. و حلمها الدائم به .. تتذكر بكاءها .. حزنها .. بؤسها .. وأخيرا موافقتها ..! نادر ..كانت تتلو الكلمة على طرف لسانها بهذيان .. ناااادر حبيبها ..! عادت الذكرى كطوفان .. أغرقها بداخله ... كدوامة سوداء .. لم تستطع مقاومتها ..! ثلاث سنوات .. وهي لا تتذكره .. أجهشت بالبكاء وجسدها ينتفض بحزن .. ثلاث سنوات من عمرها .. وعمـره .. ثلاث سنوات من عمر حبهما البريء .. كانت كالمصاب

بحمى .. بدأ جسدها يتعرق .. وارتعاشات متوالية تجتاح جسدها .. مرار كالعلقم أخذ يتصاعد إلى حلقها .. وضعت يدها على فمها ورغبة بالغة بالتقيؤ تداهمها .. هرولت بتخبط إلى الحمام مرة أخرى تفرغ جوفها الفارغ أساساً يااااااارب .. ناجت ربها .. ياااااارب صبرني ..لا تدري كم مر من الوقت وهي تنتفض .. وترتعش .. ذهول وصدمة .. حزن هائل غمرها .. لا تعرف لما الآن تذكرت .. ماذا حدث وأطلق زناد ذاكرتها المنسية .. متأكدة أنها كانت ترزح تحت ضغط عصبي هائل .. أمْ هو إحساسها بالأمان الذي شعرت به يسلب منها حين سمعت ذلك الصوت الكريه .. تذكرت مقولة رب ضارة نافعة وحمدت الله، حاولت النهوض ببطء وهي تشعر بالدوار .. لتعاود الجلوس مرة أخرى .. لا تشعر بقدميها .. أخذت تتلمس المكان المحيط بها بذهول وتوهان .. كمن به مس ..! أرضية الحمام الباردة .. كانت مريحة للحرارة التي تشعر بها .. خفضت رأسها للسيراميك البارد ، وخصل شعرها تتناثر حولها .. فرشت يديها تتلمس برودة الأرض .. تمتص برودتها علها تبرد جوفها الحار .. تساقطت دمعة فأخرى ببطء والذكريات تعاودها .. ربما كانت المدة التي عرفت بها نادر قصيرة .. أربعة أيام فقط ..اهي كل المدة التي عرفته بها .. هي كل ما لزمها لتعرف أنه حب حياتها .. ! لم تكن بحاجة أساساً للأيام الأربعة فمن أول يوم وقعت في حبه ..!أربعة أيام فرضها عليهم القدر ما بين رعد وبرق وأمطار وإصابته ..! أربعة أيام من سفر أسرتها بينما فضلت هي البقاء لدراستها ..! أربعة أيام كانت قد قررت بهما البقاء بمنزلهم القديم بعيداً عن مضايقات الحقير مروان ..! تذكرت تلك الليلة وخوفها في البداية منه .. ثم خجلها .. وأخيرا وقوعها في حبه اتساءلت ساعتها وهل يأتي الحب فجأة؟! لتتذكر مقولة الكاتب يوسف زيدان "لا يأتي الحب إلا فجأة"

وأجمل ما في الحب مفاجأته المذهلة لنا .

تلك الليلة الأولى .. كانت بداية كل شيء جميل في حياتها وربما كانت سببا في عذابها بعد ذلك ..!

" ها قد انتهيت .. "

همست بها وهي تشعر بخجل بالغ وحرارة رهيبة، ويداها تلامسان صدره العاري .. منكبيه العريضين بينما انزلقت أناملها برقة حول صدره وكتفه لتلفه بالشاش الأبيض بعد أن عقمت الجرح الذي بدا سطحيا لها .. كانت الدماء حوله شكلها بشع ،وقد عاودت النزف بعد أن تجلدت حول كتفه البرونزي العريض ،ابتعدت خطوة وهي تأخذ نفساً مرتعشاً حين أتى صوته الأجش ليبعثرها من جديد وهو يسأل :- أتلك رائحة خزامي ..؟!

رفعت إليه عينيها بذهول ، متسلقة بنظرات بطيئة صدره، ثم عندما وصلت إلى وجهه، كانت عيناه مفاجأتها

كانت لهما تلك النظرة التي أعطتها العتمة عمقاً مربكا ..عينان بلون شمس الصحاري الحارة .. أحداق ذهبية..ذات بؤبؤ بني.. بدا كأن النيران نشبت بهما لم تكن كأي عينين رأتهما في حياتها من قبل ..لون النيران ..لون الشمس وضيائها لتهمس :- " ها .."

بدا وجهه غامضا وهو يعتدل ناهضاً من مقدمة الطاولة حيث كان يجلس :-" لا شيء "

بينما أصابها الذهول كيف استطاع تمييز رائحة الخزامي .. هي لا تضعه كعطر بل هو نوعها المفضل من الصابون .. اعتادت غسل وجهها به كل مساء قبل ذهابها للنوم ..! ظلت مسمرة في مكانها، وهي تنظر إليه يرتدي

قميصه الملطخ ببقع الدماء .. كان قلبها يعزف سمفونية مجنونة .. لف شاله هو رقبته بحيث ارتفعت أطرافه إلى نصف وجهه بحيث لم يعد يظهر منه سوى عظمة أنفه الشامخة .. عينيه .. وشعره لتستوعب أنه ينوي المغادرة .. لتهمس بذهول وقلق مفاجئ :- " إلى أين أنت ذاهب ..! ؟! "

رفع بصره إليها بنظرة غامضة وهو يقول بتأكيد :- " سأغادر.."

تقدمت للأمام خطوة صغيرة حتي أصبحت علي مقربة أنفاس منه لتهمس بنبرة مشوشة :- " إلى أين .. ؟! أجننت ألا ترى الجو خارجاً "

اتسعت ابتسامته بحنان وهو يقول لها بهدوء وغموض :- " أنا لا أخشى الجو بالخارج أبداً ..ما أخشاه يقبع هنا بالداخل "

احمرت خجلاً وهي تدرك مقصده .. ولم تملك إلا

أن تصمت .. ليقول هو بهدوء و نبرة بحة ..:- " في أمان الله "

ما إن اتجه إلى الباب حتي همست بخوف غريب وهي لا تريده أن يغادر هكذا فجأة :- " لكنه يخيفني "

لتهمس بارتباك وعيناها تتحاشيان عينيه :- " ابق حت الغد .. أخاف أن أبقى وحدي "

ظلا صامتين والرياح تعبث بالخارج .. والأشجار تدوي بحفيفها الأزلي .. البرق والرعد يتناوبان علي الغناء.. وحاجة أزلية تنمو بينهما ليتنهد نادر بعد صمت طال جدا بالنسبة لها .. :- " حسناً .. حتى الغد فقط "

صفقت يديها بجزل وهي تتقافز كطفلة صغيرة فازت بعلبة حلوى :-" شكراً لك .. شكرا نادر "

قاطعها وهو يحاول ادعاء الصرامة .. يحاول ألا يبتسم وكان هذا صعباً للغاية .. يحاول ألا يتهاوى أكثر .. يذكر نفسه بمن تكون هي .. ومن يكون هو ... بحياته المعقدة .. يريد أن يبتعد عنها .. عن عينيها وشفتيها .. مرحها وبراءتها .. يريد أن يبتعد عن أهوائه فهو ليس رجل البقاء هو رجل الغياب .. رجل الرحيل .. رجل المهمات الصعبة والكلمات القاطعة، لكن تلك الفتاة الطفلة لم تكن لتدعه ..! اتسعت ابتسامته الجذابة وهو يسألها :-" أين سأنام "

همست بخيبة .. ومطت شفتها السفلى المكتنزة للأسفل بتعبير حزين :-" هل ستنام ظننتك ستسهر معي "

بابتسامة مرحة أكملت :- " ما رأيك أنلعب بالورق قليلاً "

كانت ستهزمه بكل بساطة، انطلقت ضحكته الأجشة، وهو يقول باندهاش :- " الورق ..؟ "

" نعم .. اعتدت أنا وآسر وشادن اللعب بها ..

لم تتوقف لتسمع رده .. جذبت المصباح وهي تهرول إلى المطبخ .. توقفت بمنتصف الطريق لتقول بخوف غريزي :-

" أتأتي معي "

أربعة أيام .. كلما أراد المغادرة بقي !!ليغادرها أخيراً بوعد بالعودة .. هي مهمته الأخيرة .. وسيعود .. سيستقر سنتزوج ..!ليتوقف شريط ذكرياتها هنا .. فما حدث بعد ذلك من أحداث بشعة تذكرتها كثيراً

تذكرتها كثيراً ؛حتى أنها تريد أن تبادلها بتلك الذكريات الجديدة القديمة السعيدة، ربما حينها فقط تعود هدى القديمة من جديد !

هدأت مشاعرها ودخلت بمرحلة من الهدوء والسلام النفسي .. تذكرت كل شيء .. أخيراً تلك الثغرات التي كانت تملأ حياتها .. خمس سنوات من عمرها .. ضائعة منها .. أخيراً عادت إليها .. تنهدت بصبر

" الحمد لله علي كل حال "

هتفت بها بداخلها .. نهضت ببطء وهي تتلمس العون من الجدران الباردة حولها .. بدأت تتوضأ بنية الصلاة ركعتين شكرا لله .. نظرت لوجهها بالمرآة لتتدافع دموعها مرة أخرى بفرحة و أسى وشفقة على حالها .. الحقيقة كانت أقسى من أن تتحملها وحدها .. عاودت البكاء .. حتى تورمت عيناها أكملت وضوءها .. خرجت ..ارتدت إسدالها واتجهت للصلاة .. أتمت ركعتين وظلت جالسة .. رفعت يديها لعنان السماء ودموعها تعاود الانهمار .. بشكر وراحة .. ولسانها يردد :-

" الحمد لله الذي أكرمني ..الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه "

أخذت تناجي ربها حتي شعرت بالرضا الداخلي يكسوها .. والقناعة والإيمان بالله ،جففت دموعها و استلقت على السجادة مادة ذراعيها للأمام وكأنها نائمة .. تشعر بالراحة تغمرها ،وهي بتلك المساحة الضيقة لسجادة الصلاة .. تشعر بالراحة والأمان .. بالطمأنينة

*****

خرجت قاهرة من الحمام وهي تجفف شعرها بغيظ وغضب وجنون .. في لحظة جنون قررت قص خصلات شعرها التي يحبها كثيراً ذلك المجنون .. تشعر بالغيظ والغضب .. والحقد عليه .. تحيرها وبشدة تصرفاته معها .. لا تدري ما يريد منها .. ؟!الاتدري لما ينتقل من البرودة للحرارة للبرودة بثواني .. كلما قررت أن تبتعد عنه يجذبها إليه بكل سهولة .. لم

يعد لديها سيطرة علي مشاعرها تجاهه تشعر بالضعف .. وتشعر بالحقد لأنه يدرك ذلك .. يبدو في عينيه ونظراته .. لفتاته المغرورة .. ابتسامته الساخرة الواثقة .. تخبرها أنه يدرك ضعفها تجاهه .. تخبرها أنه يعرف أنها كالهرة الأليفة بانتظار إشارة من سيدها لتلتف حول قدميه بحثا عن الدفء ،وهذا ما يشعرها بالغيـظ رمت المنشفة علي السرير بعنف لتسقط أرضاً .. جذبت مشطًا وأخذت تمشط شعرها بقوة حتى كادت تقتلعه من جذوره .. حين دخل بقامته المديدة ونظراته الغامضة من الشرفة .. رائحة الدخان فاحت في الغرفة .. رفعت بصرها إليه وابتسامة شريرة حقودة تلمع بعينيها.. وعدت نفسها بحقد سأقصه ...! بعد نظرة متوترة منه إليها ..توجه إلى الحمام .. توقف عند الباب ليخبرها بصوت بارد :-

" شادن تنتظرنا في البهو و هدى ونادر علي وشك النزول لتناول العشاء ثم التجول بباريس قليلاً ، تستطيعين النزول وملاقاتهم وأنا سآتي بعد قليل"

لم تبدر منها أي إشارة أنها سمعته .. تنهد بضيق وهو يغلق الباب خلفه قذفت الفرشاة من يدها بعنف ما إن أغلق الباب .. وهي تتنفس بعمق وشعرها يتناثر كخصل مجنونة حولها .. وضعت يدها على وجنتها بانحناءة كتف للأسفل .. يجب أن تسيطر على نفسها .. حتى ولو كلفها هذا حياتها .. التفتت مرة أخرى للمرآة تتأمل نفسها .. عينيها البنفسجيتين .. شعرها الأسود الغجري المتناثر بخصله البالغة الطول .. وجنتيها العاليتين وأنفها الشامخ .. أهدابها الطويلة وو جنتيها الحمراوين .. جبهتها المرمية وشفتيها القرمزيتين .. لم تكن تحتاج مكياج لكنها أمسكت بقلم الكحل الأسود وهي تحدد حول عينيها ببراعة .. لتعطيها المظهر اللندني الدخاني حول عينيها مما زاد من إبراز لون عينيها الغريب .. فتلت شعرها المبلل بيدها لتزيد من ثورته وغجريته ،ومن ثم قذفت به

إلى خلف ظهرها وتركته هكذا ثائراً .. ارتدت بنطال جينز ضيق وبوت أرماني .. جاكيت جلدي أسود قصير وسكارف أخضر .. جذبت حقيبتها واتجهت للأسفل، هي لازالت القاهرة وستريه .. !!

*****

هدر مروان بصراخ عصبي وهو يرمي بسيجارته بعيدا بعنف ما إن خطى شريكه إلى الداخل بطوله الفارع وملابسه السوداء :- " أين كنت .. لماذا لم تجب على هاتفك بحق الله ...؟ "

ليرد الآخر بصرامة :- " لا شأن لك .. "

تقدم ليجلس بطوله الفارع ببرود وشموخ وأنفة .. قائلاً باشمئزز :- " ماذا تريد ..؟! ها قد أتيت "

تأمله مروان بشيء من الحقد، وهو يهمس بفحيح مجنون :- " أتدري أنت تذكرني به .. تذكرني به كثيراً .. أرغب في قتله .. أرغب بإحراقه حيا.. "

ليكمل بحقد مجنون ..:- " أخذها مني .. ! هي لي ولن تكون لأحد غيري.."

سأله بفضول :- لماذا تكرهه إلى هذا الحد ؟

أعاد خصله من شعره للخلف وعيناه تلمعان بجنون صافٍ وحقد وبغض شديد وهو يقول :-

أكرههما هما الاثنين .. تركاني أتعفن في ذلك السجن .. أتعرض للتعذيب ..أنت لا تتخيل ما حدث لي هناك ما تحولت له .. "

بنبرة ألم أكمل :-أوشكت على الموت ..

تغيرت تعابيراته بلمحة بصر للحقد والكره الشديدين وهو يكمل :- لذا يجب عليهما هما الاثنان أن يدفعا الثمن "

سأله باشمئزاز :- لكن ألا تجد أنه من الخسة أن يكون دفع الثمن عن طريق النساء

" هه أية خسة تتحدث عنها .. نحن يا صديقي أصبحنا في زمن لا وجود لكلمة الشرف فيه ،تلك كلمة فقدت معناها .. ألم يكن من الخسة أن أسجن ظلما وغدرا .. ألم يكن من الخسة أن يضيع مستقبلي ،إن دخلت الغاب فيجب أن ينبت لك أنياب ..!"

رفع أصبعه بابتسامة مريرة ساخرة وهو يومئ كحكيم أعطى أحدهم خلاصة حكمته ومعرفته .. نظر مطولا لضيفه يتأكد من وصول الرسالة واضحة إليه ليغمض عينيه، وهو يهمس بتعب " ولهذا سأختطفها غداً .."

ارتفعت ضحكته السادي، وهو يكمل :- " سأختطفها غداً خططت لكل شيء.. غداً "

أكمل ببغض حقيقي :- " آسر سيكون في غرفة العمليات والكل منشغل وحينها "

فرقع بأصابعه وهو يقول :- " وحين يأتي للبحث عنها .. لإنقاذها كبطل مغوار.. سيكون الموت ينتظره "

ارتفع صوته بتحذير بارد :- " ألا تعلم من هو نادر بالحاج ومدى خطورته علي أعمالنا ... "

نهض بطوله الفارع ليمسك مروان من رقبته بشراسة :- " ابتعد عنه وعن كل ما يخصه .. لا تدمر عملي الذي جاهدت لمدة طويلة حتى استطعت تحقيقه.. وإلا أقسم بالله أن أقتلك أنا بيدي العاريتين "

بان الخوف بعيني مروان وبدأ جسده ينتفض كجرو مبلول إلا أنه استمر في جنونه قائلا وصوته أصبح مبحوحا من شدة قبضة الآخر على عنقه :- " ما أفعله لا يتعلق بأعمالنا .. لا تنسى لولا وجودي ما كانت تمت تلك الصفقة .. ثم "

برقت عيناه بالجنون مرة أخرى وابتسامته تتسع وقد احمر وجهه بشدة، وبدا أنه يجاهد لالتقاط أنفاسه :-

" ثم إنني .. لن أبقي على أحدهم حياً .. سأقتل نادر وشادن وزوجة آسر ..! وحينها لن يكون لها أحد سواي في الكون كله .."

دفعه الآخر بعنف وهو يخرج عن طوره صارخا بتوحش : " أيها المجنون .. إن فعلت هذا سأقتلك بيدي .. ألا تفهم ..! "

إلا أن مروان لم يكن يستمع له ،بل برقت عيناه بنظرة المنتصر السادية وهو يخطط للغد جيداً

*****

رن الهاتف لتصحو من غفوتها القصيرة فزعة .. بدأ جسدها ينتفض بخوف مرة أخرى .. ظل الهاتف يرن بإلحاح تقدمت ببطء وهي ترفع السماعة تمتمت " بسم الله الرحمن الرحيم " وضعت السماعة على أذنها ليأتيها صوت شادن اللحوح :-" هدى .. هدى هل تسمعيني ..؟! "

لم تستطع أن تتفوه بحرف واحد وموجة الرعب التي حاصرتها انحصرت ،بينما صوت شادن تحادث أحدا بجوارها قائلة :- " يبدو أن هناك عطلا بالهاتف .. سأعيد الاتصال مرة أخرى "

قطع الخط .. تمالكت نفسها ، وهي تنهض بعدما وضعت السماعة ليصدح الهاتف بالرنين مرة أخرى .. لتجيب تلك المرة بثبات أكثر:- " نعم"

" إنها أنا شادن نحن ننتظرك بالأسفل للعشاء "

ارتفعت ضحكة مشاكسة منها وهي تكمل :- " ونادر يقول لك اجلبي معطفا ثقيلا معك فالجو بااااارد "

همهمت هدى بإجابة ما وهي تغلق الهاتف يا الله ماذا تفعل .. ؟؟!

مبعثرة .. حائرة .. خائفة .. لا وقت لديها لاستجماع نفسها لكن .. توقف تفكيرها بتركيز عند لكن تلك .. إن كان هناك شيء يجب عمله الآن فهو الهدوء حتي تقرر ما تفعل ..! عملية آسر غداً .. ولا يوجد سبب لإخافتهم الآن بخصوص مكالمة مروان ... ثم إن نادر إلى جوارها وهذا يكفيها لتشعر بالأمان ابتسامة رقراقة صافية شعت على وجهها .. وهي تتذكر نادر .. كان هناك شعور صافٍ رقراق يتهادى بداخلها وراحة عجيبة تغمرها كلما أتت أحرف اسمه على لسانها .. الآن فقط عرفت لما كان اسمها من بين شفتيه مميزا لتلك الدرجة .. الآن فقط عرفت سبب تمسكه بها .. الآن فقط تستطيع الشعور بالاطمئنان .. نادر حبيبها .. زوجهـــا ..!

توقفت ثانية عند تلك الكلمة والأسى يغمرها من جديد وهي تتذكر كلماته " تزوجيني لأحميك منه .. وبعدها سأرحل "

" اهدئي هدى فأنا متعب ولا أريد سوى النوم..! "

غصبه انتابتها .. نادر كان حبيب هدى القديمة .. هدى البريئة وليس هدى الآن ..! ويجب أن يظل الحال هكذا ..!

*****

" أخيراً أتت !! "

تنفس نادر الصعداء حين أقبلت هدى بهدوئها المعتاد .. كان يخشى كثيراً ألا تأتي أن تعود لعزلتها وصومعتها التي حبست نفسها بداخلها منذ رآها ، خاف أن تهرب منه .. أن تفعل شيئا جنونياً بعد حماقته معها .. كيف تجرأ على التمادي هكذا ..لكنه لم يستطع الاحتمال .. لم يستطع أن تكون بهذا القرب منه وبتركها .. آااه تأمل وجهها بدقة كعادته .. كانت تبكي .. أبكاها لم يستطع أن يشيح بعينيه بعيداً عنها .. يراقب كل خلجاتها .. عينيها المتورمة يا الله .. وجنتيها الحمراوين وأنفها المحمر .. تحاشيها لنظراته بطريقة غريبة خرجت زفرة حارة من صدره لينتبه له آسر الذي كان يبدو عليه الضيق والعصبية الشديدة.. ظلل عينيه تقطيبة مخيفة .. وهو يزفر بضيق هو الآخر .. أرجع خصل شعره للخلف بضيق وهو يهمس لنادر بتساؤل جاف :- " ما بك ..؟! "

قال نادر بدهشة :- " ماذا بي .. !! "

ابتسم بغموض وهو يقول :- " ماذا بك أنت ..؟! "

ليجيبه آسر بضحكة ساخرة :-" ماذا بي أنا ..؟! هه لا شيء "

انطلق الاثنان يضحكان بعمق رجولي على حالهما .. لتقترب منهما شادن بمرح وخلفها قاهرة التي بدا ضيقها واضحا وهدى .. التي لم تستطع السيطرة علي نبضات قلبها وهي تسمع ضحكته ياالله يالها من ضحكة

جميلة .. لوت شفتها بأسى وهى تلوك شفتيها .. لم تسمعه يضحك منذ متى ..؟!!ثلاث سنوات أو أكثر ..!كان قلبها يضرب بين أضلعها والأنفاس تهرول بعيداً عنها .. تشتاق لأن تتأمل محياه .. تشتاق لتتأكد من وجوده .. تشتاق لتنعم بوجوده .. فقدته .. فقدته لمدة طويلة ..! اختلست النظر إليه بينما تقدمتهم شادن .. اشتاقت لحبه .. !!الغريب في الأمر أنها أحبته للمرة الثانية .. أحبته قبل أن تفقد ذاكرتها وأحبته وهي لا تعرف من يكون .. وتحبه الآن وقد عادت لها ذاكرتها،يبدو أن حبه مقدراً لها .. وهي تشتاق لأن تحبه ..! خرجت من تأملها له علي صوت شادن المرح وهي تتساءل :-" ما يضحككما ..؟!!"

تبادل آسر ونادر النظرات ليعاودا الضحك بانفجار حاد ..ربت آسر على كتف نادر بمودة تربيته رجولية، وهو يسترد أنفاسه قائلاً وسط اندهاش الفتيات :- " أتخبرها أنت .. أم أخبرها أنا ..؟!"

هتف نادر بدهشة وذهول :- " ماذا ...؟!"

ماذا يريد هذا المتهور أن يخبر تلك الطفلة ..؟! لم يجد ما يقوله سوى النظر لآسر بتحذير تجاهله آسر بمكر وهو يلتفت إلى شادن جاذباً إياها إلى تحت ذراعه بمرح يخالف ما يشعر به من ضيق ،وهو ينظر لـ قاهرة الصامتة بغموض وطلتها الفاتنة أصابته في مقتل :- " لا شيء صغيرتي كنا نفكر .. أين تريدين أن تتنزهي ..؟!"

هتفت شادن بجزل مرح، وقد قررت أن ترتدي رداء خلو الباب :- " أووه حقا آسر"

وضعت يدها علي فمها بحركة تدل علي التفكير دفعت بالبسمة إلى شفتيه .. وهي تقول :-" أريد الذهاب إلى الشانزليزيه أو مولان روج أوووه.. أو سانت بوليفارإممم ..أو"

وضع آسر يده بمرح على فمها وهو يضحك :- " ششششش .. اصمتي قليلاً .. ما كل هذا ..؟!!

تنهد وهو يكمل بهدوء ضاحك ، وإن شابه رنة ما لم يلتفت لها إلا قاهرة .. التي سرعان ما عادت تتحاشى النظر إليه :- " الوقت متأخر ولدي عملية غدا إن كنت نسيت ..!"

بهتت شادن لتقول بخفوت ، وهي تنكمش إلى داخل ذراعيه أكثر :- " آسفه أسر .. يالحماقتي "

ضمها آسر بحنان وهو يقبل قمة رأسها قائلاً :- " كلا حبيبتي لا تأسفي .. ميعادها محدد من فترة .. أنا الآسف.. لن يتسنى لي وقت لأريك كل تلك الأماكن .."

عادت الابتسامة تلون عينيه وهو يقبلها من خدها :- " لكن أعدك بعد العملية بإذن الله سنبقي هنا أسبوعين لتمرحي بفرنسا كلها "

قالت شادن بحب وهي ترتفع علي أطراف أصابعها لتقبل كتفه كما اعتادت أن تفعل منذ صغرها :- " ربنا يحفظك لنا سالماً .. شكرا أخي.."

نظر إليهم آسر باسما ،وهو يقول بمرح :- " انتهى النقاش إذن ..هيا بنا .. اليوم سنتجول في المنطقة المحيطة بالفندق ونتناول عشاءنا خارجا ..ثم نعود للفندق للراحة ..ما رأيكم ..؟!!"

أومأ الكل موافقا .. ما عدا قاهرة التي اعترضت بلطف غير طبيعي ..وهي تقول :- " اذهبوا أنتم أنا لست جائعة .. لكن لدي مشوار يجب أن أذهب إليه "

اشتدت قبضة آسر علي كتفي شادن بدون وعي ما جعلهاتتأوه باستغراب ،وهو يقول بغضب مكبوت :- " أي مشوار هذا الذي تريدين أن تذهبي إليه الآن وبفرنسا .. من تعرفين هنا ..؟! "

ارتفعت عينا قاهرة بشموخ ،وهي ترفض أن يحادثها هكذا أمام الجميع لتقول بتحدٍ :_" لا أعتقد أنه يهمك ذلك .. أستأذنكم

ودون أن تعطيه مهلة ليرد التفتت ،وهي تبتعد عنهم قائلة :_ " أراكم غـداً"

ما إن تقدمت خطوتين بعيداً عنهم حتي أتى صوته هادرا شرساً .. غاضبا للغاية وقد تخلى عن كل تحكم بأعصابه كان يملكه :-" قـاهرة"

توتر الوضع بشدة بينما فزعت شادن التي لأول مرة ترى آسـر بهذا الغضب بينما اقتربت هدى تلقائيا من نادر .. نظر نادر إليها قبل أن يلتفت ليحاول أن يوقف تقدم آسـر الغاضب من قاهرة .. بدا أن الوضع تفجر بسرعة شـديدة وغريبة ..!همس نادر وهو يحاول إيقافه:- " اهدأ يا رجل .. اهدأ .."

لكن آسـر أزاحه من طريقه ببساطة .. وعيناه مسلطتان علي عينيها التي ظهر فيهما التحـدي ..سار بخطوة طويلة حتي وصل إليها وهو يقبض علي ذراعها بعنف .. سيقتلها .. سيقتـلها ..! قبض على ذراعها بغضب حتي أقسمت أنه خلع من مكانه .. ورغم الألـم إلا أنها لم تخفض عينيها بعيداً عن عينيه .. وهي تهمس بفحيح شرس :- " اتـركني.."

لـ يهمس هو وقد اقترب بفمه من أذنها متجاهلاً نادر الذي تراجع للخلف بإحراج " سأقتلك .. أقسم أنني سأقتلك "

مرت رعشة رهيبة بعمودها الفقري لتهديده لها .. نظرة عينيه والغضب بهما .. لم تره أبدا بهذا الحال لكنها لم تظهر له خوفها بل على العكس جعلها هذا أكثر تصميما على ما نوت ..وهي تهمس بفحيح متحدٍ غاضب ..:-" لن تجرؤ ..! "

لترتفع يده بقسوة .. وتهوي بصفعة قاتلة .. شهقت الفتاتان و صوت دوي الصفعة يتردد بالصمت ..ورغماً عنها التوي وجهها من قوة الصفعة .. حتى شعرت وكأن فكها خلع من مكانه .. طفرت عيناها بالدموع وهي تشعر بارتجاج ودوي هائل في رأسها شفقة وحزنا وألما هائلا اجتاحها ، لكنها سيطرت على تعابير وجهها بقسوة بالغة وما فعله لم يزيدها إلا تصميماً على ما نوت ليرتفع رأسها بشموخ قاتل والدموع لازالت عالقة بأهدابها .. بينما تصادمت نظراتهما بحقد كبير ..! وعاطفة متوحشة لثانية واحدة فقط ..! تقاطعت نظراتهما ثانية واحدة فقط ،كشفت الكثير وأخفت ما هو أكثر ثانية واحدة فقط قبل أن يسحبه نادر بعيداً وهو يضربه بصدره بقبضتيه صارخا ..:- " أيها الأحمق ماذا فعلت ..؟! "

لم يبعد عينيه عن عينيها .. لمحة الألم التي ظهرت بهما لتختفي بسرعة .. ويحل محلها التحدي السافر والحقد وهي تقول بهدوء وكأن شيئا لم يكن :- " هل انتهيت ..؟! لأنني راحلة ..! "

تثير جنونه .. ترحل إلي أين ؟!! ليعاود الصراخ بفحيح غاضب :-" اتركني نادر"

دفعه بصدره بقوة بينما أمسكه نادر بإحكام :-" قلت لك اتركني .. "

ليصرخ نادر به وقد تخلي عن هدوئه في هذا الموقف المتفجر .. كان غاضبا بشدة .. غاضبا .. لدرجة أنه أراد ضرب آسر بنفسه :- " اهدأ آسر .. هل جننت ..؟!! اهدأ وإلا أقسم لضربتك أنا "

نظر له آسر نظرة متفجرة .. ليستغفر ببطء و يرفع يده علامة الاستسلام والهدوء ،وهو يزيح قبضة نادر عنه بصعوبة ليلتفت نادر بصوت تحكم به بمهارة قائلاً :- " هدى .. خذي قاهرة وشادن و اتركونا قليلاً "

أومأت هدى بخوف .. فهي لم تر آسر في تلك الحالة أبداً اقتربت من قاهرة التي كانت شادن سبق وطوقتها بذراعيها بحنان :-" هيا حبيبتي .. هيا تعالي معي "

إلا أن قاهرة قالت بإصرار عجيب ..:- كلا .. لا أريد أحدا معي .. سأذهب وحدي "

قالت شادن وهي تربت على كتفها بحزن :- حتي أنا .. أرجوك قاهرة دعيني أذهب معك .."

نظرت قاهرة لهما بتبلد لتومئ أخيراً بالموافقة .." وبدون كلمة أخري تقدمت عائدة إلى داخل الفندق وسط ذهولهم ..!!

*****

بدا آسر كالبركان المتفجر .. أخذ يذهب ويجيء بعنف وطاقة مكبوتة غاضبة سوداء تسيطر عليه .. يضرب حصى وهمي بقدمه بعنف وغضب مكبوت .. هو غاضب جداً منها .. من نفسه ..!غاضب لأنها دفعته لهذا ..!

غاضب ولا يريد تفسير سبب غضبه ..!كلما ظن أنها كسرها عادت أقوى .. وأقوى وكان هذا يذهله .. يبهره .. ويجعله غاضبا ..!غاضبا لأنه يخشى .. يخشـ

ارتفع رنين هاتف نادر .. ليقاطع أفكاره الخطرة .. نظر نادر للهاتف باستغراب ومن ثم نظر لآسر الذي لم يتوقف عن الحركة بعنف .. ليرفع الهاتف إلى أذنه قائلا بصوت خفيض :-" نعم شادن .. أكل شيء علي مايرام .. ماذا ..؟

آسر"

التفت آسر إليه بشراسة وقد انتبه إلي اسمه .. سحب الهاتف من نادر وهو يقول بصوت كالزئير المتوحش :-" نعم شادن ماذا هناك .. ماذا..؟!"

قذف آسر الهاتف ليتحطم ألف قطعة، وهو يتجه إلى الفندق بغضب داكن ،بينما تنهد نادر يبدو أن تلك الليلة لن تنتهي علي خير أبدأ ..! اتجه آسر بخطوات سريعة غاضبة متهورة لداخل الفندق لا يصدق ما تفعله تلك القاهرة .. لا يصدق لقد جنت وهو لن يغفر لها .. توقف بالبهو لوهلة وهو يبدو غاضباً حتى لمح شادن تشير له بخوف

ليتجه لها بخطوتين .. سأل هادراً :-" أين هي ..؟!"

همست شادن بقلق :-" في الداخل "

حين تقدم أمسكت به شادن بخوف ورجاء :- " لكن آسر أرجوك لا تقل لها ....."

لم ينتظر حتي تكمل حديثها .. يريد أن يمنع تلك الكارثة قبل أن تحدث خطا للداخل ليقف مصدوماً كانت خصل شعرها الغجرية الطويلة

متناثرة علي الأرض أمامها، توقفت الأنفاس في حلقة بصدمة .. و.. ذهول .. ارتفعت عيناها إلى عينيه عبر المرآة لتبـدأ بالبكاء وكأنها لم تستوعب ما فعلت سوى تلك اللحظة .. ظلت دموعها تنزلق بمهارة علي وجنتيها لتقف عند حدود شفتيها بصمت وكبرياء مهزوم ..! بينما وقف آسر بتبلد .. تبـلد خلقته الصدمـة !

" آســر ..! "

همست هدى .. لتحطم الصمت المذهول الذي أحاط بأخيها ليشتعل غضبه من جديد ،ونظرة فهد جريح تبدو بعينيه صرخ هادرأفجأة بغضب أخاف قـاهرة، وجعل دموعها تجف بمآقيها انتقـامه سيكون عسيراً تقدم بشراسة لينتزعها عن المقعد .. بغضب جعل الكوافيرة تتمتم شيئاً بالفرنسية لكنه لم يعرها اهتماماً انتزعها انتزاعاً من المقعد وقدميه تدوسان خصل شعرها المترامية أرضـاً بقـسوة لتصرخ هي بجنون ..:- " اتركني "

لكنها كانت كمن يزيح جدارا فولاذياً .. جذبها بشدة وقسـوة حتي ارتطمت بجدار صدره الصلب .. حاولت بارتباك أن تبتعد عنه وعن ذبذباته الغاضبة لكنه اقترب منها .. اقترب جداً لـيهمس بأذنها .. اقترب حتي أن الأنفاس فرت هاربة من غضبه .. من حقده .. من قوة الذبذبات التي تصدر عنه اقترب لـيهمس :- " قاوميني قدر ما شئت .. قاوميني .. لأنني حين أنتهي منك الليلة .. ستعرفين معنى الجنون حقـاً"

حاولت ألا تظهر خوفها .. رعبها .. لكن رغما عنها ارتعشت شفتيها بدمعة تكاد تنزلق .. حتي الهواء لا تجده حولها لتستنشقه .. رفعت أنفها بشموخ كاذب .. نظرت في عينيه وهي تحاول أن تتجلد .. لكن هالها كمية الغضب والشــر بهما .. ارتعشت أهدابها لفاصلة من الثانية، ثم نظرت له بتحدٍ لا

يليق إلا بها وهي تعتدل سائرة معه بكل بساطة ..!كانت قبضته علي يدها كالقيود الحديدة .. تكاد تقسم أنها فقدت الإحساس بأناملها من قبضته .. لم تحاول أن تنظر لأحد في الطريق صعودا لجناحهما .. فكرت بسخرية غريبة .. إنها لن تهرب منه ..! هي لم تتعود أن تهرب .. ! وهي حرة لتفعل ما تشاء .. وهو لا يحق له أن يعاقبها أكثر من ذلك ..! حاولت أن تلقي نظرة خاطفة عليه فهالها ما رأته كان وجهه شاحباً للغاية .. غاضباً للغاية .. مكفهراً للغاية .. و الشر يبدو في ملامحه .. لأول مرة ترى ذلك الغضب الصافي بملامحه .. حاولت التفكير بشكل سوي حاولت تذكر هدفها مما قامت به ، لكنها لم تعد تتذكر أرادت معاقبته بما تذكرت أنها ما إن رأت خصل شعرها تتساقط حولها حتي غمرها شعور مؤلم بالفقد .. بالخسار، شعور مؤلم بالوجع ذلك الوجع الذي نشعره حياً بين أضلعنا يمنع عنا التنفس .. بشكل سوي .. يمنع عنا التفكير بشكل سوي .. يمنع عنا حتي الإحساس بشكل سوي ،لكنها ما إن رأت نظرة عينيه حتي بكت ! بكت لأنها وجدت ما كانت تبحث عنه بعينيه فكما يبدو وبعد كل شيء حدث" أوووه "

دفعها بقوة لتصطدم بحافة السرير بعد ما وصل للجناح الخاص بهما لتصرخ غاضبة، وقد خرجت من توهانها اللذيذ بوجود أمل ما به .. وبنظرة عينيه :-" أيها المتوحش "

اقترب منها بغضب شديد وهو يجذبها من شعرها الذي أصبح قصيرا للغاية بين يديه وهو يهدر:-" أنت لم ترشيئا من توحشي بعد

انتفضت .. حاولت الابتعاد .. حاولت وهي تشعر بكهرباء تسري في جسدها بعد أن تخلى عن محاولاته لـ غزوها .. ليبدأ بمحاولات ترويضها .. أنت بنشيج مكتوم يائس حمل احتجاجاً بلافائدة ..كان عنيداً

غاضباً مصمماً شرساً متوحشاً و فاقداً للسيطرة تماماً ارتفع رأسه الفخور الغاضب بعيدا عنها قليلا لينظر إلى عينيها .. إلي شفتيها ليهمس بصوت أجش :-" افتحي عينيك قاهرة"

فتحت عينيها ببطء امتثالا لأمره .. تنظر لعينيه وروحها بعينيها تغيرت نظرته بشكل خطف أنفاسها وهو ينحني ليقبل جبينها برقة بالغة .. وجهها وشفتيها ... أنفها .. كأنه يعتذر لها عن سوء معاملته ... كان هناك شيئا ما يتغير بعناقه .. كانت تشعر بهذا بروحها ما بدأ كعقاب تحول لشيء آخر .. شيء أحست به .. لم يعد يحاربها .. لم يعد يأمرها .. بل كان يناجيها .. كان هناك شيء جعلها تخضع ببساطة .. بل وترغب .. أخيراً فك آسر يديها .. ليحيط بخصرها بهمهمه أجش .. كانت أضعف من أن تقف في وجه هجومه العنيف كانت أرق من أن تصمد أمام قوته كانت تحبه أكثر مما ينبغي .. لتمنع نفسها من الانجراف معه، دفنت وجهها في عنقه وهي ترتعش .. ياالله .. كيف لها أن تقاوم شيئا لطالما أرادته .. كيف لها أن تقاوم وهو ينحني لها ليهمس في أذنها بتلك النبرة السائلة .. الأبحة .. الأجشة

" حبيبتي ..! "

..!..كن معي سخيًا لِأبعد الحدود باختصارٍ شديد جدًا

املأني بك

*****

تقدم نادر بهدوء من هدى بعد خروج آسر وقاهرة بهذا الشكل العاصف ما إن رأته هدى حتي رفعت إليه عينين دامعتين ومواقف مشابهة تعاودها بأبشع الذكريات

همست ببكاء وبحة وترت كل خلية أعصاب بجسده :- " نادر أرجوك الحق بهما .. الحق به .. أخبره ألا يؤذيها "

نظرة الرعب في عينيها .. أناملها الرقيقة التي ارتفعت بتردد تتشبث به ..جعلته يجيب بغصة هادئة :- " لا تقلقي هدى يستحيل أن يؤذيها آسر مهما كان غاضباً "

نظرت له بعدم تصديق لتقول بانفعال وأناملها لازالت تجذب كم قميصه :- " كيف لن يؤذيها ألم تر منظره .. سيقتلها .. سيحطمها .. سـ أأأ "

وضعت يدها علي شفتيها بصدمة، وهي تدرك أنها كانت تتحدث عن نفسـها .. ترى نفسـها .. تتمنى وجوده لينقذها .. دمعة صغيرة ترقرقت في عينيها ليغمض نادر عينيه بأسي ،ثم يفتحهما وهو يتنهد بشجن قائلاً لها :- " لن يؤذيها لأنه يحبها كثيراً.. وهذا هو الفـرق "

همست بارتباك :- " عن أي فرق تتحدث ..؟! "

ابتسم ابتسامة ساخرة مريرة، وهو لايجد داعيا للإجابة.. أنزلت يدها ببطء ليتركها ويسير بكل هدوء ..توقف معطياً إياها ظهره ،وهو ينادي شادن الصامتة بعيداً عنهم بمسافة قليلة :- " هيـا شادن .. تعالي .. سأوصلك لجناحك .."

حزن عميـق اعتراه .. حزن لإدراكه أنه مهما فـعل .. ستظل هدى في تلك القوقعة من الخوف والرعب .. يأس من أن تتذكره لأول مرة، وهو يرى نظرة الرعب في عينيها .. لأول مرة يدرك أنه ربما كانت محاولاته عقيمة أمام ما تعرضت له من أذى . " نـادر.. "

توقف لندائها المرتجف خلفه بعدة خطوات توقف ؛لكنه لم يلتفت .. بينما انخفض رأسه الفخور قليلاً ما أثار رعشة بقلبها جعلتها تناديه دون وعي منها ..:-" لا تتركني .. "

لم يلتفت لتقترب هي منه خطوة، وهي تهمس :-" أنا خائفة "

حينها التفت إليها ببطء التفت لتقع عيناه على عينيها .. كانت نظرة طويلة محملة بأرثرة روح لا تهدأ .. ليهمس بصوته ذي البحة الناعسة :- " يستحيل أن أتركك كوني متأكدة من ذلك "

لم تدرك أنها كانت تحبس أنفاسها بارتعاش .. لتبتسم ببطء وهي ترتعش .. تبتسم .. بل في الواقع كانت ضحكة خافتة مرتعشة باكية .. وهي تسمع تأكيده الذي لم تملك أن تجيبه سوى بإيماءه صامتة ..!

*****

أخيرا انتهت العاصفة العشقية التي أحاطت بهما .. جذبها آسر إلى ذراعيه حين حاولت الابتعاد بهدوء .. وضع قبله علي جبينها بعمق .. مد يده بحسرة إلى خصل شعرها .. لم يستطع منع نفسه من الهمس بألم :-" لماذا فعلت هذا ..؟!! "

إلا أنها هزت رأسها برفض للكلام ، وهي تغرق وجهها في صدره بخجل وحزن .. ماذا تقول له .. قصت شعرها لأنها غارت منه غارت من بعضها عليه ..! صمتت ولم يطالبها هو بالإجابة .. بدا في صمتهما هدوء وراحة .. صمت أغنى من ألف كلمة قد تقال .. مجرد شعوره بها بين أحضانه .. كان شيئا مذهلا .. أحيانا حين نتمنى شيئا في غاية القوة .. حين نبتعد عن هذا الشيء في غاية القسوة .. حين يصبح ملكنا في غاية الرقة نتوه ،وهذا ما يشعر به ما بدأه كعقاب .. انتهى كخضوع كان يريد إخضاعها

ليتفاجأ بأنه أخضع نفسه لها ولحبها ما كان يخشاه بكل أماته أن يحدث .. حـدث كان يخشى أن يتعمق في حبها أكثر فيصبح الفراق أقـسى عليه وعليها كان يشـعر بالخوف ..هو دائما خائف .. يخشى أن يحدث شيء لأختيه يخشـى أن يحدث شيء لها يخشـى أن يحدث له شيء فتحزن ..! لم يرد أن تتعلق به أكثر ،هو ليس غبيا رغم كل صراعهما لكنه متأكد أنها تحبه مثلما يعشـقها بحاسة الرجل يدرك .. بحنين الأنثى في عينيها يعرف ،وهذا ما يبعده عنها .. تنهد وهو يدفن أنفه في خصلات شعرها .. متمتماً " نامي حبيبتي .. نامي"

*****

وصل نادر وهدى لجناحهما .. والصمت ثالثهما .. اتجه إلى السرير رأساً .. لتتوقف قرب الباب بارتباك .. تخشى أن يصر علي النوم على السرير كالمرة الفائتة .. بعد اعترافها بالخوف .. وتأكيده الدائم لها بالأمان .. كانت تشعر بالارتباك اللذيذ .. لم تستطع أن تنكر أنها خائفة .. وتشتاق إليه ،وكانت المعادلة صعبة لتوازن بين الشعورين .. خائفة من لهفتها له .. خائفة من رفضه لها .. خائفة من ذكريات بشعة .. خائفة من خطر وشيك تشـعر به وبنفس الوقت تشـتاق له .. تشـتاق لتخبره أنها تتذكره .. أنها تعرفه .. أنها تحبه .. لكن خوفها من رفـضه لها يرعبـها .. خوفها من الإقـدام علي تلك الخطوة ترعبـها ..! وقفت تلوك شفتيها بتوتر لذيذ .. جعله يتنهد وهو يظن أنها خائفة منه بعد موقفهما السابق .. اقترب منها حتى توقف على بعد بضعة أنفاس .. لترتفع عيناها بإرادة خاصة بهما إليه يالله .. تشـتاق لوسامته .. طافت عيناها بوجهه بتقاطيعه السمراء .. الجذابة .. أنفه الشامخ .. شعره الأسود الناعم .. ذقنه النامية قليلاً وشفتيه .. لم تكن تستطيع السيطرة علي ارتجافها المشـتاق الذي فسره هو خوفها وبغضـها له، قال بصوت أجش :

" سأنام على الأريكة .. كوني مطمئنة "

التفت يسحب وسادة، حين قالت بارتباك :- " كلا .. "

توقف ، وهو ينظر لها بغموض لتكمل بتوتر وهي تفرك المنديل بيدها حتى تفتت :- " لابأس السرير كبير ويسع كلينا "

ليبتسم بسخرية مريرة وهو بمزاج سوداوي قائلاً :- " هدى أنت للآن تخافين كشف شعرك لي .. لا تضغطي على نفسك لأجلي .. أنا أستطيع النوم في أي مكان "

سحب الوسادة وتقدم حتى الأريكة .. لتقف هي حائرة .. كان رفضه يؤلمها .. لاتدري ما تحاول فعله .. لكنها لا تستطيع النوم وهناك شيء يجثم علي صدرها .. حائرة ومرتبكة .. تشعر كما لو أنها تحفظ سر لا تستطيع بعد الآن أن تحفظه .. ورغم كثرة الوعود لنفسها بإبقاء الذاكرة العائدة سراً حتى تستعد لها ،خالفت كل ما عاهدت نفسها عليه وهي تتقدم منه خطوة بجرأة كبيرة، وقد اتخذت قرارها خطوة تبعتها أخرى حتى توقفت أمامه مباشرة .. ليتفاجأ بها كان هناك شيء ما بعينيها .. فتح فمه ليسألها .. ليعاود الصمت ،وهو يشعر بالفضول وهي علي تلك المقربة منه بإرادتها الخاصة حين طال صمتها وترددها .. همس بنبرة أبحة منخفضة سائلاً :- " ماذا هناك هدى ..؟ "

أخذت نفسا عميقا وعيناها تغوصان بالشمس الملتهبة في عينيه لترفع يدها ببطء وهي تزيح حجابها .. لم يتحرك .. لم يتفوه بكلمة، وهو يراقب حركتها البسيطة بمعناها الكبير .. ما إن نزعت الحجاب حتي زفرت وكأنها كانت تعدو بمارثوان .. خفقات قلبها صارت غير طبيعية .. وعيناه تجولان فيها بنظرة سائلة .. بها من اللهفة والحنين ما جعل الدموع

تترقرق بأهدابها .. تواصلت نظراتهما لتهمس بتحشرج :- " والآن .. لا تجعلني أطلب منك مرة ثانية .. أنت تعلم أنني أغضب بسهولة ..!"

توقفت الأنفاس في حلقه .. بكل بســاطة توقفت الأنفاس في حلقه .. شحب وجهه واهتزت جدران قلبه .. اهتزت أركانه الأربعة .. ليهمس ببحة غير مصدق :- " هـدى ..؟!! "

أومأت هدى بنعم على سؤاله الغير منطوق و الدموع تنهمر من عينيها بلا تـوقف .

*****

رن الهاتف ليرفع نادر السماعة بهدوء ..حتي لا يوقظها .. كان الوقت لايزال مبكرا .. :- " نعم "

" أنا أنتظرك بالأسفل .. لا تجلب أحدا معك "

ضيق ما بين حاجبيه بنعاس وهو يتساءل " آسر "

لكن الهاتف كان قد أغلق .. نظر نادر للهاتف باستغراب يبدو أن صديقه لازال عكر المزاج .. تنهد وهو يضع الهاتف .. تمطي ببطء ثم التفت ينظر إلي هدى النائمة بهدوء وأمان ..علت شفتيه ابتسامة سعادة .. اقترب ببطء ليزيح خصلة من شعرها تساقطت حتي أخفت وجهها عنه .. انزلقت أنامله لوجنتها .. أنفها .. حتى وصلت لحدود شفتيها .. لتستريح أخيراً علي الشامة أسفل ذقنها .. لم يصدق نفسه البارحة وهي تخبره .. توحي إليه بأنها تذكرته ليهمس متسائلا بصوت متحشرج غير مصدق :- " .. هدى .. أتذكرتيني ..؟!! "

أومأت للمرة الثانية دون أن تصدر صوتا .. وعيناها تلمعان بالدموع ليقف محتاراً .. هو لم يكن أبدا بارعا بالكلمات .. لكنه وفي تلك اللحظة تمني من الله أن يهبه بضع كلمات فقط ليعبر بها عما يختلج في روحه ،مد يد ترتعش ليلمس وجهها برقة بالغة .. لتشهق بصدمة للمسته تنفس بعنف ،وهو يقترب منها ببطء .. يخشى أن يكون في حلم .. أن تهرب منه ككل مرة ، في أحلامه تكون قريبة للغاية .. حتي يوشك أن يلمسها ليصحو علي ألم تلاشيها .. فتح ذراعيه بشوق لها .. يجب أن تكون تلك الخطوة منها .. فتح ذراعيه وانتظر .. ترددت لوهلة فقط قبل أن تندفع نحوه، وكأن قوة جاذبة تربط بينهما .. ارتطمت به بقوة اندفاعها العاصف إليه .. ليعتصرها بشدة بين أضلعه حتى كادت تئن .. لكنها لم تفعل .. هي أرادت أن يزرعها داخل أضلعه .. هناك حيث النبض الثائر .. هناك حيث مكانها الذي اشتاقت إليه .. مدت يدها ببعثرة لتضعهما بالقرب من قلبه .. بينما ارتاحت أذنها علي النبض الثائر .. تستمع له بلهفة .. امتدت يداه لتحيطا بخصرها بشدة .. تسحبها لتلتصق بجسده الصلب والقاسي.. أغمضت عينيها واقشعرت عندما لامست شفتاه عنقها ،وهو يهمس بحرقة ..:- " كيف استطعت ألا تتذكريني .. كيف استطعت فعل هذا ..؟!! "

أحاطت عنقه بذراعيها، وهي تدع دموعها تسيل بغزارة علي وجنتيها .. دون كلام .. فهي لا تجرؤ علي الكلام الآن .. لا تعرف ما تقول له .. تخشى وبشدة ألم بضع كلمات قد تتفوه بهما .. ليعاود الهمس بألم روح :- " ألا تدركين أي جحيم كنت فيه وأنا أراك .. دون أن أستطيع أن ألمسك .. أن أحبك .."

ليزداد انهمار دموعها علي صدره .. كان يدرك أن معاناتها شبيهة بمعاناته وأكثر .. كان يدرك أن المواجهة ستكون صعبة .. أراد أن يعرف لمَ

تذكرت .. كيـف تذكرت ومـاذا تذكرت .. أراد أن يعرف الكثير من الأشياء .. لكن إلا وهي بين ذراعيـه أرجأ كل تلك الأسئلة لوقت لاحق .. تلاحقت أنفاسها وأنامله تلامس عنقها برقة لتبعد شعيراتها الناعمة عن مرمى شفتيه.. لتزداد قبلاته الصغيرة المتلاحقة لهيباً .. لتهمس بخوف " نـادر ..؟!!

ابتعدت عنه خطوة بخجل وخـوف .. وهي تتحاشى النظر لعينيه .. صحيح أنها تذكرته .. صحيح أنها تذكرت أشياء كثيرة .. لكنها لازالت خائفة .. لازال هناك ذلك الحاجز الوهمي لخوفها من الرجال .. ما أقدمت عليه الليلة بارتمائها في أحضانه تطلب شجاعة كبيرة لم تكن تظن أنها تملكها .. لكن حين بدأ يصبح أكثر جرأة .. ذعـر قديم راودها .. رغم إدراكـها الفرق بينهما إلا أن تلك الملامسـات تخيفها .. ابتعدت بشحوب وهي تهمس برجاء

اعطني بعض الوقـت .. لأنسـى

رغم ألمه .. وحنقه إلا أنه تفهم .. رغم الغصة المريرة التي استحكمت عقله وقلبه .. إلا أنه أومأ لها بصمـت .. لتقف مترددة وهي تراه يستدير بعيدا عنها بصمت قطبت حاجبيها بضيق .. تغير نادر كثيراً .. لم تتوقع منه هذا .. أرادته لكنها لم تتوقعه .. توقعت أن يثور أن يخالفها الرأي .. أن يجبرها لكنه ككل مرة يخيب توقعاتها وأغضبها هذا.. بغيظ اتجهت إليه ولكمته علي ظهره ليلتفت إليها بدهشـة صارخاً :- هدى أجننتي ..؟!!

قالت بطفولية وغضب :- نعم .. جننت .. أيريحك هذا .. لا تعطني ظهرك باستسلام مرة أخرى .. ارفـض .. أريدك أن ترفض "

يا الله

ذهل لثوانٍ لينطلق ضاحكا بعدها بسعادة وسرور وهو يقترب منها مفاجئا إياها بخطوة واحدة انحنى ليلثم شامتها برقة وسعادة قائلا :- حسنا أنا أرفض أن تبعديني عنك

اعتدل ينظر بعينيها وهو يهمس بصوت أجش:- أرفض وبشـــدة .. لذا الليلة ستنامين بأحضاني ..

شهقت برفض غريزي لكنه رفع أصبعه أمامها بكبرياء وشموخ قائلاً :- الليلة وكل ليلة ستنامين في أحضاني .. حتى تصبحي مستعدة ..!!

قالت بتوتر :- لمَ ..؟!!"

لم يجبها سوى بابتسامة غامضة مشاكسة، وهو يرتمي علي السرير بسعادة رن الهاتف مرة أخري ليوقظه من سعادته بما حدث البارحة .. ليجيب وابتسامة لازالت تداعب شفتيه :- نعم

ليأتيه صوت آسر ثائرا :- ألازلت بغرفتك .. أنا أنتظرك .."

وأغلق الهاتف بعنف .. لينهض نادر بسرعة وهو يدري بطبع صديقه المشتعل .. يالله .. مابالـه تلك الأيام لابد وأن شيئا ما يعكر صفوه فوق الحد الطبيعي ..! ارتدى ثيابه بعجلة .. وضع قليلا من عطره الغامض .. ثم التفت ليلقي عليها نظرة حنونة، وهو يراها تتحرك في نومها .. جذبت وسادته لتغرق أنفها بها ،وهي تتمتم ليبتسم بسعادة كبيرة ولدتها حركتها اللاواعية تلك .. لايصدق أنها نامت بأحضانه .. حتى ولو على غير رغبة فعليه منها .. حتي و هي بكامل ملابسها .. حتى وهو يحترق ألف مرة بالثانية الواحدة .. ورائحة الخزامي أقرب ما يكون لأنفاسه ..لكنه سعيد .. سعيد .. لا ينكر هذا تنهد بقلق ولدته سعادته ،وهو يتجه للأسفل .. دوماً كان يخشى السعادة الكبيرة .. دوما .. هناك هاجس يخبره أن تلك

السعادة .. مخيفة استغفر الله بسره ، وهو يحول اتجاه أفكاره لصديقه ترى ماذا حدث بينه وبين قاهرة بعد الأمس .. ؟!!

لازال غاضبا منه لأنه صفعها .. لكن قد يكون أرضاها ..!

وصل إليه في بهو الفندق ليجده لازال متجهماً .. يشرب فنجان من القهوة .. يرتدي ملابسا خريفية رغم الجو البارد .. ويلف عنقه باسكارف صوفي ضخم .. أعطاه مظهرا قرصانيا مع العبوس الذي اكتنف ملامحه .. تنهد نادر وهو يقترب حتى توقف أمامه ليبدو له الهزال واضحاً بعض الشيء عليه .. والسواد تحت عينيه .. توتره الظاهر للعين المدققة مثل نادر بحركة قدمه البسيطة .. صديقه .. كان خائف ..! تقدم ليجلس أمامه قائلاً بهدوء :- " صباح الخير"

ارتفعت عينا آسر إليه ليرى بهما الضيق .. نهض من مكانه دون أن يرد التحية قائلاً :- " هيا بنا "

نهض خلفه نادر بطوله الفرع قائلاً ببشاشة :- " إلى أين أيها المجنون ..؟!!"

التفت إليه آسر بضيق ،وهو يجيب :- " أنسيت عمليتي اليوم "

أوقفه نادر بحزم بقبضة يده قائلاً بجدية :- " كلا لم أنس .. لكن .. زوجتك .. أختيك .. ألن ننتظرهن ..؟! "

ليقاطعه آسر بصرامة ونفي قاطع :- " لاأريد وجودهن .. دعهم نائمات وسيأتين حين يفقن .. لا داعي لإخافتهن "

توقف نادر بصدمة، وهو يقول :- " آسر توقف.. لهنا ويكفي جنون .. ما بك يا رجل ..؟! "

تجاهل آسر سؤال نادر تجاهل تام، وهو يستقل السيارة المنتظرة أمام الفندق .. ما إن استقر بمقعده حتي سأل بهدوء تام :- " أأنت آت معي أم لا ..؟!! "

تنهد نادر بضيق واستغراب شديد علي حال صديقه لكنه استقل التاكسي معه ،ما إن استقر وتحرك التاكسي حتى تكلم نادر بحنق حاول أن يسيطر عليه بشدة :- " أستتحدث الآن أم ستظل على صمتك ؟؟ "

التفت آسر إليه، والهم يبدو واضحا على محياه قائلاً وعيناه تتركزان في عيني صديقه :- " نادر بدون مقدمات .. وبدون شرح أو استفهام .. إذا حدث لي شيء فهدى وشادن و قـ "

اهتز صوته قليلاً توقف ليأخد نفسا محملا بمختلف الانفعالات ليكمل :" قـاهرة .. أمانة في عنقك "

يا الله يا صديقي .. تحملني ما لا أستطيع ولا طاقة لي به لاحتماله .. تعلقت النظرات بينهما بتوتر و خوف مبهم ليستغفر نادر بصوت مرتفع طارداً وساوسه جانباً :- " استغفر الله العظيم .. آسر ما بك يا رجل ..؟!

بتطمين ربت علي كتفه قائلاً يريد طمأنة نفسه هو الآخر فحالة صديقه تخيفه :- " إنها عملية بسيطة .. كن مؤمنا بالله .. تفاءل بالخير تجده يا صديقي "

أومأ آسر بهدوء وهو يقول :- " أنت تعلم أنني أفعل .. لكنه إحساس يراودني بالقلق .. فتوخى الحذر"

أومأ نادر بقلة حيلة :- " حسنا صديقي .. لا تقلق "

استطرد :- " لكن ألا يجب أن نخبرهن .. سيحزن كثيرا لما فعلت ..؟! "

قاطعه آسر بإشارة من يده :- " أنت تعلم أنني لا أحب الوداع "

هم نادر بمقاطعته بغضب .. حين أشار له آسر ليكمل ..:- " اسمعني .. أريد أن أدخل غرفة العمليات وأنا مطمئن .. أفهمت؟ "

أومأ نادر بيأس من صديقه :- حسناً

" تنهد آسر براحة ثم أخرج من جيب معطفه ظرفا أعطاه لنادر وهو يتحاشى النظر بوجهه :- " إذا حدث لي شيء إعطه لقاهرة "

انفعل نادر دون قدرة لديه ليتحكم بأعصابه وقد زاول آسر ضغطاً رهيبا عليها .. حتي أخافه شخصياً :- " يا رجل ألم أقل لك لا تتحدث هكذا ..! ما بك .. لهنا وكفى آسر لن يحدث لك شيء .. ولن آخذ منك شيئا .. ما تريد أن تعطيه لزوجتك اعطه إياها بنفسك "

لم يجبه آسر سوى بأن مد يده بالظرف بإصرار لنادر الذي رفض أن يلمسه حتي أمره نادر بحدة ..:-" أخبرني الحقيقة ."

تنهد آسر بصمت ماذا يخبره .. يخبره أنه خائف .. يخبره أنه منذ علم بوجود ذلك الحقير في فرنسا ، وهو خائف حتى أوشك على تأجيل العملية الجراحية .. إنه اتصل مساء بالطبيب .. ليخبره بتأجيل العملية لكن الطبيب رفض وأخبره بلهجة صريحة أن أي تأجيل به خطر على حياته لم يهتم .. فهو دائماً بخطر .. ! لكن بعد ما حدث معها .. أصبح يخشى علي حياته .. لأجلها هي قرر أن يقوم بالعملية الجراحية .. ولأجلها هي أيضاً يجب أن يخبر نادر حتى يأخذ حذره .. رغم معرفته بردة فعل نادر إلا أنه لا يستطيع أن يخفي مثل هذا الخبر عنه ، قال بهدوء مبطن بحقد .. بكره .. برغبة بالثأر والانتقام " مروان هنا .. في باريس .."

صدمة .. جعلت نادر يهمس ببرود ..:ـ" كيف عرفت ..؟!

رفع آسر عينين مندهشتين, مصدومتين تشعران بالخيانة لنادر وهو يقول :- كنت تعرف ؟!!

ليقول نادر ببرود يخفي طوفان من غضب وحقد علي مروان " بالطبع أعرف .. ألم أعدك أن أحميها .. "

هدر آسر بغضب :- ولمَ لمْ تخبرني .."

ليبتسم نادر بسخرية رجوليه قائلاً :- لنفس السبب الذي جعلك تخفي عني "

طأطأ آسر رأسه بتفكير .. هو يخشى من ردة فعل نادر ونادر يخشى من ردة فعله .. لكن تلك المرة كان يجب أن يعبر آسر عن خوفه ..همس :- " نادر أنا أخشى جنونه .. أخشى أن يؤذيها وأنا لست موجودا "

.حاول نادر أن يهدأ .. أن يجيب ببرود .. أن يطمئن آسر . وهو يفكر .. لم يبق إلا القليل .. اصبر نادر .. إلا أن مجرد تفكيره بأنه يلمس شعرة واحدة منها .. لونت كل أعصابه بلون الدم ليقول بشراسة:- " دعه فقط يفكر في الاقتراب منها لأنني لحظتها سأقتله مهما كلفني الأمر"

*****

" لقد وصلت الشحنة .. "

هتف بها مروان بسرور جعله يزفر بضيق وهو يهتف :- " أخيراً "

نهض محمود بطوله الفارع ،وهو يضع سلاحه بجرابه تحت كتفه بطريقة محترفة، وهو يسأل بصرامة :- " أين هي ..؟!!"

ليضحك مروان بمكر وخبث وهو يقف بطريقة قائلاً :- " مهلك .. هل ظننت أنني غر ساذج لآتي لك بالشحنة هنا ..! "

رفع عينيه إليه ببرود ونظراته تبعث الرعب بقلب مروان كأي فأر جبان يواجه أسداً ، ليكمل بحقد لونه بالخبث وشبه ابتسامة صفراء زائلة :- " لقد أتيت بعينة منها فقط لتراها "

التوى فم محمود، وهو يقول ببرود :- " الباقي ..؟"

لمعت عينا مروان بالطمع وهو يقول :- " دعنا نتفاوض .."

توترت نظراته، وهو يلتفت له بشراسة .. ضيق بين عينيه بشدة ، وهو يقول بلهجة حادة :- " نتفاوض .. ألم نتفق سابقاً ..؟!!! "

ارتفع حاجب مران بخبث ،وهو يعاود الجلوس متناولا سلاحاً ما ليتأمله بشرود قائلا :- " نعم نتفاوض .. فشروط الصفقة السابقة لا تعجبني .."

صمت ليكمل بإصرار:- " لا تعجبني بتاتاً "

اعتدل بغضب ، وهو يقول لمروان بوضوح :- تذكر أنت أتيت إليّ .. أنت من سعي إليّ لعقد تلك الصفقة لا تظن أنني لم أفهم دوافعك .. ربما لم أفهمها حينذاك لكنني ،وبعد قليل من الوقت أدركت أهدافك وتعاميت عنها ؛لأن تلك الشحنة أهم من أي صداقة قد أكون كونتها .. لا تظن أنك ستؤذي آسر أو نادر بي .. فأنا لست مهما لتلك الدرجة لديهم "

اتسعت ابتسامة مروان والشر ينضح في وجهه :- " سنرى .."

الفصل الحادي عشر

ذاكرة لا تنسى

أنتَ لا تَعْلَمْ كَمْ مِنْ سُورٍ شيدتَهُ حُولَ قَلبي لأحميه مِنْ غَطرَسةِ حُبِكَ

و لكَنَك .. و بِذِكرِ حَرفٍ مِنْ حُروف اسمِك

تهدِم كُل بنيان بنيته .. و كُل جِدارٍ أنشأته

لِتعُود و تسَتحوذ عَلى كُلِ شيء .. و هذا سيأستيك سيدي ..

و هذهِ حكَايَتي مَعَ بَطشِك ..!

استيقظت قاهرة بغتة .. استيقظت تماماً كانت نائمة في لحظة لتنهض فجأة في اللحظه التي تلتها ،وهي تجلس علي السرير كقطة حذرة .. لملمت الملاءة حول جسدها بسرعة .. بتوتر أصغت السمع لمياه الحمام .. وحين فاجأها الصمت السائد .. أعادت إلقاء رأسها للخلف بعنف .. وهي تفكر بتشوش .. كيف استسلمت له البارحة بتلك الطريقة المخجلة .. صعدت الدماء سريعا إلى وجنتها حتي شعرت بهما يحترقان .. أخفت وجهها بالشراشف .. تتنفس بعمق علها تهدء لتفاجئها رائحته الخاصة العالقة بالشراشف .. تأوهت بضعف وهي تدفن رأسها أكثر بالشراشف .. استنشقت بعنف وطوفان من الحرارة يغمرها ..ارتعشت لتجذب الشراشف أكثر حول جسدها .. وابتسامة سعادة غبية تشق شفتيها .. أغمضت عينيها بشدة، وهي تحاول عدم التذكر هزت رأسها بضعف بلافائدة .. همس لها أكثر من مرة قائلاً :-" حبيبتي .."

استنشقت بعنف لتغرق مرة أخرى بعطره المميز فتحت نصف عين ببطء ،وهي تتساءل :-" أين قد يكون ذهب ..؟!

الوقت لايزال باكراً .. وموعد ذهابه للمستشفى لم يحن بعد ..!لم تأخذ وقتا كبيرا في التفكير بهذا ،وهي تنهض بارتباك ورعونة من السرير .. يجب

أن تبدل ملابسها .. يجب أن تكون بأبهى حلة له وحده .. حين يعود ..!يجب أن تكون مستعدة .. قوية .. قـاهرة ..!

توقفت أمام المرآة فجأة، وهي متجهة للحمام .. لملمت الملاءة حول جسـدها ، وهي تنظر لشعرها بحسـرة كانت أول مرة بحياتها تقص شعرها .. اختفى شعرها الطويل الذي وصلت أطرافه للأرض ... لتظهر قصة راقية تلاءمت مع وجهها وأظهرت جماله جيدا .. لكن رغم هذا .. كانت تشـعر بالحزن علي جنونها .. لتعاود الابتسـام مرة أخرى أن كان جنونها وشـعرها مقابل .. حبــه فـهي وبكل ثقة ليست نادمـة فكرت بحيرة :- لكـن أين هـو ؟؟

رغم خجلها كأي أنثى .. إلا أنها أخذت تتلفت حولها باستغراب بالغ وقليل من ضيق .. ألم يستطع البقاء معها لإيقاظها كأي عروسين ..!انظرت مرة أخرى للمرآة .. لازالت هي نفسـها .. لم تجد شيئا تغير .. اقتربت من المرآة أكثر .. وجهها لا يزال كما هو .. لكنه بدا أكثر سعادة .. جمالا .. توهجاً ياالله وضعت يدها تزيح خصلة تساقطت على عينيها ،وهي تبتسم مرة أخرى ببلاهة .. كان رائـعا معها .. حنوناً .. قوياً .. اتسعت عيناها بصدمة لتشـهق فجأة، وخاطر يمر بها اتجهت بسرعة للحمام .. وهي ترفض تصديق ظنها ..!! لا يعقل..! لن يفعل هذا..؟!

خرجت مسرعة، وهي ترتدي ثيابها علي عجل لن يفعل بي هــذا ..! توقفت في منتصف الغرفة حين وجدت ورقة بيضاء بجوار السرير ، كيف لم تنتبه لها من قبل أمسكتها بيد ترتعش لتقرأ

" حبيبتي أعلم أنك غاضبة .. لكنني لم أستطع وداعك .. لم أستطع رؤيتك تبكين .. لم أرد أن أخبرك أنني أحبك على ورقة

أردت أن أقولها أمام عينيك .. لأرى ذهولك.. أعلم أنك تحبينني

ارتعشت ،وهي تجلس بضعف علي حافة الفراش وبسمة صغيرة دامعة تغزو عينيها قائلة :- مغرور

ازدادت بسمتها ،وهي تكمل قراءة :- أعلم أنك تنعتينني بالغرور الآن .. لابأس أنا مغرور بك .. أنت قاهرتي سامحيني علي إيلامك لكنني أضعف أمام عينيك أحبك"

سقطت الدموع من عينيها بصمت ،وهي تضم الورقة إلى صدرها .. لم تدر لمتى بكت بحزن .. بفرحة .. بارتباك .. لتتنهد وقد توصلت لقرارها .. هو يخشى دموعها .. يحبها ويريد أن يراها قوية .. إذاً ستريه كم تستطيع القاهرة أن تكون قوية

*****

تمطت هدى بأريحية، وهي تغرق في الوسادات الناعمة .. كانت تبتسم ..تحلم..تحلم بـ

أتى رنين الهاتف ليوقظها بإزعاج تململت وهي تنوي عدم الرد فهي لم تنعم بمثل ذلك النوم من مدة، وتلك الراحة المسكية العذبة تحيطها إلا أن الرنين كان مزعجا ومرتفعاً للغاية مدت يدها بنعاس إلى الهاتف لتجيب بصوت أبح -: " نعم"

لتنتفض بارتعاشة عذبة لـذيذة حين أتاها صوته الأجش هامساً برقة -: " صباح الخزامي"

انتفضت في السرير وشعرها يتناثر حولها بكل حرية .. أنفاسها تعلو وتهبط بثقل وكلمة واحدة تردد بذهنها .. نادر .. تلفتت حولها بأستغراب لم يكن هنا

تمتمت بخجل : - " نادر ..؟ "

أجابها بهمهمه أجشة ليهمس بعدها بعاطفة جعلت بشرتها الذهبية تتلون بالاحمرار : - " ألن تقولي صباح النور..؟"

لتهمس بخجل وهي تغوص أكثر بين الوسائد تحيطها رائحته الغامضة من كل جانب: - " صباح النور"

حل الصمت بينهما .. ذلك الصمت اللذيذ الذي تتحدث خلاله الأضلع المشتاقة . .كانت أنفاسه الهادئة تهادى إليها لتبعث الطمأنينة بقلبها ..

تنحنحت حين طال الصمت قائلة بتساؤل بعث بالحنين إليه-: "نادر..أين أنت ..؟"

خرج صوته خشنا وهو يقول بهدوء :.. أنا آتٍ .. فقط استعدي أنت وشادن وسآتي لاصطحابكم"

قالت بحيرة -: لكن !! "

قاطعها لا يريد أن يعطيها الكثير من الوقت لتسأله .. لتجرح أو تحزن .. وهو بعيد عنها. .فقال بلهجة قاطعة " -: هدى .. عشر دقائق وأكون عندك"

قالت بقلة حيلة" -: حسناً سأكون جاهزة"..

ما إن أغلق الهاتف حتي ارتمت للخلف ،وهي تتمطى بسعادة .. سعادة لم تشعر بها من فترة طويلة .. هي آمنـة .. أغمضت عنيها وشبح توتر يبدو علي شفتيها وتقطيبه خفيفة بين حاجبيها حتي مكالمة ذلك البغيض ،ورغم رعبها منه إلا أنها تشعر وتدرك أنها آمنة فنادر لن يجعله يقترب منها أبدا أعادت الابتسام باستمتاع ،وهي تتذكر البارحة .. توترها .أفلتت ضحكة عذبة منها .. بداية من توتره هو .. نومهما على نفس السرير .. تذكرت بطفولية كيف وضعت بينهما الوسادة .. ليبدو الحنق علي وجهه الحبيب .. ما دفع ببسمة إلى شفتيها ، انتهت بشهقة وهو يرمي بالوسادة إلى آخر الحجره جاذبا إياها لتصطدم بصدره هامسا في أذنها ووجهها مخفي بين أضلعه -: قلت إنني سأنتظر حتى تكوني مستعدة .. لكنني سأنتظر وأنت بين أحضاني وليس بعيدا عني"

لتهمس باحتجاج ،وهي تشعر بحرارة صدره وضربات قلبه العنيفة تحت أذنها -: نـادر"

ليهمس وهو يدفن وجهه المثقل بالعاطفة بخصلات شعرها-: "روح نادر"

همست بمحاولة منها للحفاظ على ما تبقى من عقلها وصرامتها بين أحضانه لكنها فشلت إذ خرج صوتها مبحوحا مترجياً "ألم نتفق ..؟" أبعد وجهها عن صدره ..

أزاح خصلات شعرها بيده قليلا لينظر إلى وجهها الذي ورغم الظلمة كان يبدو محمرا بشدة ليقول بصرامة والعاطفة تشع من عينيه " اتفقنا أن أعطيك بعض الوقت .. لكنني أرفض أن تبتعدي عني حتى ذلك الوقت".. ..أتبع كلامه بأن انحنى ببطء ليلثم شفتيها برقة جعلتها تشهق بعنف .

كانت لمسة رقيقة خفيفة .. إلا أن تأثيرها على كليهما كان مدمرا

التقت أعينهما بلهفة وشوق عميق .. وقد تلاشى الكون من حولها .. لم تستطع في تلك اللحظة أن تفكر بسبب يدعوها للابتعاد عنه .. وهي تنظر في عينيه ،وترى صدى شوقها فيهما .. صدى لهفتها وحبها فيهما .. لكنه كان هو من زفر بقوة وهو يضمها بشدة إلى صدره محذرا إياها برقة-: .. هدى .. إن أردت مني أن أكون على قدر كلمتي لك .. فلا تنظري لي هكـذ ا"

احتارت أرادت أن تقول له لا تكن .. لا أريدك أن تكون!..

لكنها خافت .. خافت ألا تكون هي على قدر الموقف لازالت جروحها عميقة لازالت تخشى العديد من الأشياء .. لازالت تريد أن تتمتع بأحضانه الآمنة.. فصمتت، وهي تمد يدها لتلف خصره بحب وحنان هامسة "-: إذن فلننم"

وضعت هدى يديها علي وجنتيها تخفف من حرارتهما وهي تستيقظ من أحلامها السعيدة .. نظرت للساعة بيدها لتشهق و هي ترتدي ملابسها بعجالة..

*****

أنهت هدى ارتداء ملابسها بعدما اتصلت بشادن لتستعد .. ابتسمت، وهي تلف حجابها بهدوء ورضى .. فوجود نادر إلي جوارها يشعرها بالرضى والحمد .. تنهدت وتفكيرها يذهب لمشادة الأمس بين قاهرة وآسر صحيح أنها لم تستطع أن تصادق قاهرة في ذلك الوقت الضيق وتلك الفترة الصعبة في حياتها لكنها أحبت شموخها ..قوتها ..كبرياءها ونديتها لآسر فهو يستحق امرأة مثلها امرأة تستطيع هزم شياطينه ..نظرت لنفسها تتطمئن علي مظهرها وضعت هاتفها في

الحقيبة حين أتى صوت نادر الهادئ وقد أصبح بمنتصف الغرفة -:..
"هل أصبحت جاهزة :-

انتفضت بفزع ،وهي تذكر اسم الله

لازالت تخاف بسرعة .. حتي حين تسرب إليها صوته لا تنكر أنها فزعت لوهلة ،وقد أدرك هو ذلك بنظرة ضيقة من عينيه وهي تلتفت إليه .. ليتحول فزعها اللحظي لابتسامة معاتبة لنادر وهي تقترب منه .. لم تستطع أن تقاوم تأمل ملامحه الرائعة .. ملابسه الخريفية الرمادية والاسكارف الصوفي بلون عينيه البنيتين بشذرات خضراء .. ما إن توقفت أمامه ملاحظة الإرهاق البادي علي وجهه حتي زادت ضربات قلبها دقة أو اثنتين قلقاً عليه .. لكنها تجاهلت زخم مشاعرها وهي تقول بما استطاعت من بساطة -:.. كيف دخلت هكذا دون أن أشعر بك ..أخفتني؟" !

ضيق نادر ما بين عينيه ..أراد أن يصرخ بها للمرة الألف .. ألا تخاف في وجوده أو منه أو حوله لكنه كظم ضيقه .. فهناك ما هو أخطر ويستدعي كل رصانته ليخبرها به ..مسح علي وجهه بإرهاق وهو يقول-:

"آسف حبيبتي لم أقصد أن أخيفك"

لازالت تلك الكلمة تدغدغها .. حبيبتي . وخاصة حين تخرج من شفتيه هو بتلك التلقائية والعفوية .. اقتربت منه دون إرادة منها تقريبا .. شيء ما به يلغي كل الحواجز التي تضعها من خوف ورهبة وخجل .. اقتربت حتي أصبحت على قيد أنفاس منه .. لتهمس بقلق وهي ترى إرهاقه البالغ -: نادر ما بك ..؟" !!

أزاح يديه عن وجهه وهو يقول لها بهدوء " : اجلسي هدى أريد محادثتك بأمر ما "

ارتعبت هدى كعادتها ليعاودها خوفها الدائم ،توترت ملامحها وارتعشت يديها وهي تهمس بصوت مبحوح -: نادر.. ماذا هناك ..؟" !

مد يديه القويتين ليمسك يديها الرقيقتين بداخلها .. هاله ارتعاش يديها .. كأنها تتوقع الأسوأ دائما لا يعرف كيف يبدأ حواره معها نظر في عينيها يطمئنها يبثها شيئا من قوته فهو يحتاج قوتها الآن

لتدرك جنون الأحمق الآخر.. رفع كفها إلى شفتيه ليلثمهما كانت أنفاسه دافئة بل حارة أثارت رعشة بجسدها لم يغفل عنها وهي تشيح بعينيها بعيداً عنه بخجل .. لتلتوي شفتيه بنصف بسمة واعدة إلا أنه قطع حديث العيون بقوله ببطء وهدوء ": هدى أتثقين بي ..؟" !

يبدو أنه مصر على إخافتها .. تلك الجملة خلفها الكثير.. همست بشحوب "-:ماذا هناك نادر..؟!

ماذا حدث ..؟" !

إلا أنه أصر قائلاً -:..أجيبيني أولاً"

رغم خوفها وحيرتها إلا أنها أومأت قائلة ": بالطبع .. لكن لا تخيفني هكذا أرجوك ..أخبرني ماذا حدث..؟ "

بدون تردد أو تفكير وبلهجة هادئة قاطعة قال "-:آسر بغرفة العمليات" شحبت وتوترت .. حاولت سحب كفها من بين يديه إلا أنه رفض بإصرار وهي تقول "-: ماذا .. كيف ذلك ..؟" !

رفعت عينيها تسأله باستجداء للنفي ..أن يخبرها أن تلك مزحة ما-:
"أليس موعده ظهرا .. أنت تمزح .. أكيد تمزح لم يكن آسر ليفعل بنا هذا"

.. دموعها تقتله .. تعذبه .. تمحوه من الوجود .. جذبها لأحضانه بلهفة .. لايريدها ضعيفة هكذا .. لا يريدها حزينة هكذا .. ضمها إلى صدره بشدة .. وهو يهمس بين خصلات شعرها -: .. هدى اهدئي حبيبتي .. أريدك قوية .. أريدك أن تساعديني .. أن تكوني لي عونا.."

رفع وجهها الباكي له ،وهو ينظر في عينيها يمنحها شيئا من قوته وعزمه .. -:أنت تعلمين جنون أخيك .. حين يقرر شيئا لا يستطيع أحد إرغامه على تغيير رأيه " ..

أكمل بمحاولة لتبسيط الأمر لها .. ببسمة مقتضبة -:.. إنه حتي لم يخبر زوجته" ..

شهقت هدى ما إن تفوه نادر بتلك الجملة .. يالقسوته .. أخوها .. لا تدري من أين أتى بتلك القسوة

أو لاتدري حقاً .. لاحت لها صورة أب .. كان من القسوة أن باع ابنته ..لتترقرق الدموع في عينيها بلاخجل أمام نادر .. هي تهمس بتقطع-:..
"كيف نادر.. كيف تركته يفعل هذا .. بنا .. بها ..؟" !

تصلبت ملامح نادر أمام عتبها الرقيق، وهو يقول بضيق -: لم أستطع منعه ألا تعرفين عناد أخيك "

ثم وكأنه استعاد تركيزه أمام عينيها .. قال بطريقة جازمة وكأنه يدرك ويعرف أنها قادرة على فعل ما يطلبه منها " :.. وأنا أريدك أن تذهبي إليها لتطمئني عليها .. فهي لا تجيب هاتفها "

و بحيرة طفيفة سلبت قلبها من نادر الواثق دائماً أكمل بشيء من الخجل
" :وأنا لا أعلم ما علي عمله"

أرادت أن تحتضنه .. أن تقبله بلا خجل .. وقد استطاع بلمحة منه وبضع كلمات أن يخرجها من صدمتها .. ومن مركز الضعف الذي كانت به لمركز القوة والمسئولية ..ابتسمت بشكل طفيف فمنظره في تلك الحيرة بعينين اعتادتا القوة خلبت لبها تماما ..أومأت بصمت..

أفلتت أناملها منه، وهي تمسح عينيها .. بينما وقف نادر ينظرها بإعجاب، وهي تظهر قوتها .. كانت قوتها وهدوؤها شيئا جديدا عليه!.. بدا أنه يرى هدى جديدة أمامه .. لم يكن يدرى أنه هو سبب قوتها تلك

رفعت نظرها إليه أخيرا ،وقد استعادت سيطرتها علي نفسها وهي تقول برقة ونبرة حازمة -: .. حسنا أنا ذاهبة لقاهرة وقد أتأخر قليلاً عندها .. ويبدو أن آسر سيضطر للبقاء وحده كما أراد
اتسعت ابتسامة نادر الغامضة، وهو يرى هدى مشعة بالغضب وهي تكمل حين وصلت لباب الجناح خارجة منه -: فقد حصل علي ما أراده في النهاية !!..

******

أخذ نادر يطرق علي الطاولة ببطء وتركيز .. وعيناه مركزتان علي سيجارته التي أشعلها وظل يتأمل رمادها والدخان المتصاعد منها .. حذره الأطباء كثيرا من تلك العادة السيئة .. حذره مرؤسيه من التدخين حيث يؤثر على

صحته ولياقته الجسدية المطلوبة لمهامه الخاصة .. لكنه بكل بساطـ لم يكن قادرا علي تركها.. هناك الكثير مما يشغل باله .. لا ينكر أن ما حدث لأسـر غير الكثير من خططه لتلك الفترة ..كثير من مهامه تعطلت .. بدأت الاتصالات تتوالى عليه تنبهه تحذره من فترة لكنه تجاهلها .. فلم يكن هناك داعٍ للقلق .. أو هكذا كان يظن ..؟!!

نظر للسيجارة التي أصبحت مجرد خط طويل هش من الرماد .. وبضغطة أصبع تفتت .. كان يدرك أن عادة التدخين بدأت معه في أول يوم عاد ليجد هدى قد ضاعت من بين يديه !! ولأنه لم يستطع إحراق أحد .. قرر ساعتها أن يحرق نفسـه!..

عله يجد راحة مـا كان يظن أن هدى آمنـة .. كان يظـن أن مروان تحت سيطرتـه ..؟ !كان يظـن أن محمـود ...؟!!ارتفع رنين الهاتـف ليخرجه من شروده نظر للهاتف ليميز رقـم الأمن الخاص الذي تركه ليحرس غرفة آسـر ..بوجود مروان بمحيطها .. دون أن يدرك أين هو تحديداً .. يجب ألا يدع أي شيء للفرص .. هو يعلم كم أن مروان شخص مختل عقليا ،ويملك من الأموال والمسـاعدات ،وخاصة في بلد أوربي ما يجعله يمثل خطراً كبيراً إن أراد إيذاءهم أجاب باقتضاب وصرامة -: نعـم نهض نـادر بطوله الفارع والتوتر يبدو على محياه .. يظلل عينيه بكآبه اعتـاد عليها عند الشعور بالخطـر.. جذب مفاتيحه ،وهو يقول بصرامة تناقض ما يشعر به من قلق -: كلا أنا في الطريق إليكم أغلق الهاتف وهو يضيق ما بين حاجبيه .. يعلم أنه يلعب بالنيران لكن لا وسيلة أخرى أمامه للقضاء على مروان مرة واحدة وإلى الأبـد

*****

أخيراً .. خرج آسر من غرفة العمليات ..

وقفت تتأمله من بعيد .. لا تجرؤ علي الاقتراب .. رغم كل شيء ..هي لاتجرؤ علي الاقتراب .. رغم ادعائها الشجاعة..إلا أنها بقرارة نفسها كانت خائفة أن تقترب منه وهو بتلك الحالة من الضعف تخشى أن تضعف هي .. لا تريد أن تراه إلا وهو بقمة قوته "اقتربي قاهرة .. اقتربي ألا تريدين الاطمئنان عليه ..؟"!

أتى النداء من شادن لتهز قاهرة رأسها ببطء، وهي تقترب "

خطت ببطء حتي توقفت أمامه لازالت عيناه ونصف رأسه محاطتين بالشاش الأبيض صدره العاري مخفي تحت شراشف المستشفي الزرقاء المميزة .. مغذي معلق بيده اليسرى بينما ارتاحت يده اليمنى إلى جواره .. جلست على المقعد المجاور له تتأمله .. لأول مرة منذ معرفتها به تتاح لها تلك الفرصة لتأمله بينما يحيط بهما الهدوء

..لم يكن شاحب الوجه كعادة المرضى بدا مسالما للغاية .. متعباً للغاية .. هادئاً بطريقة آلمت قلبها بتنهيده وضعت رأسها علي يده اليمنى تريحها .. تستغرب كيف يكون هو سبب وجعها وراحتها نبضات قلبها تخبرها أنها لا تستيطع ولا تتخيل الاستغناء عنه .. لاتدري لما .. ؟

هو لم يعاملها بطريقة جيدة أبداً ألا أنها تلك اللمحات البسيطة .. التي كانت تبدر منه دون إرادته .. شبح ابتسامه لاح علي شفتيها .. فبكل قسوته كان حنوناً ..حتي وهو يحاول جاهداً أن يداري ذلك الحنان .. لازالت غاضبة منه .. لكنها تريد أن تبقى فقط بجواره..

"قاهرة" ..

خرج صوته الأبح الخفيض لتفتح عينيها بصدمة .. كيف عرف أنها هي..؟

لم تع متى خرج الأخرون من الغرفة .. ومتى بقيت وحيدة معه حاولت الابتعاد عنه دون أن تجرؤ على النطق إلا أن ذراعه أمسكت بيدها قبل أن تبتعد تماما لـ يهمس لها بإرهاق -: لا تبتعدي "

طفرت الدموع من عينيها .. ألا يشعر بما يفعله بها ألا يشعر وكأنه أحس بها إذ همس ببطء، وهو يحاول أن يعتدل -:..اقتربي ..

قاهرة . اقتربي .. رجاءاً"..

كان الرجاء يبدو غريبا للغاية من بين شفتيه ما دفعها للاقتراب خطوة دون قدرة على رفض طلبه .. ليجذبها إليه بشيء من الخشونة .. حتي وقعت علي صدره .. حاولت الابتعاد إلا أنه تأوه ما دفعها للسكون .. ليهمس بأذنها ببطء _:.. نامي إلى جواري .. أريد أن أشعر بك إلى جواري ..

هزت رأسها بصمت وهي تبتلع غصة .لتعتدل بالسرير الضيق ..ليسحبها إلى صدره ضاماً إياها وهو يتنهد ليذهب بعدها بنوم عميق بعدما همس لها بتعب -: شكراً لأنك إلى جانبي "..

*****

استيقظت هدى فجأة، وهي تشعر بألم برقبتها .. أين ذهب الجميع .. نظرت لساعة يدها كان الوقت متأخرا للغاية .. لكنها لم تستطع الذهاب قبل الاطمئنان على استيقاظ آسر .. نهضت من مكانها وهي تتلفت حولها .. لم يكن هناك أحد بالممر، الحارسان اللذان عينهما نادر لحراسة غرفة آسر .. غير متواجدين بينما بدت الممرضة ناعسة علي مكتبها .. اتجهت

لغرفة آسر .. وقفت خارجاً تنظر من الزجاج الشفاف لتبتسم باستغراب .. مجنونان .. يستحقان بعضهما تماماً ..

تلفتت حولها باستغراب .. أين قد تكون ذهبت شادن ..؟

ونادر...؟

انتابها الخوف والقلق .. لتتذكر ليلة أخرى شبيهة بتلك .. حين كان آسر بالمستشفي أيضا .. حين هاجمها مروان...نفضت أفكارها ،واستعاذت بالله من الشيطان الرجيم .. لن تسمح للخوف أن يصيبها مرة أخرى هي تغيرت .. استعادة روحها .. و مروان لا يستطيع الاقتراب منها لا يملك إلا التهديدات الجوفاء .. ستخبر نادر .. هي فقط أرادت أن تجد الوقت الملائم .. حين تطمئن علي آسر .. ستخبر نادر

..تحتاج إلى بعض القهوة .. لتستيقظ تماماً .. أصدرت معدتها أصواتا لتبتسم بخجل .. فهي جائعة .. ربما تتناول سندوتشا ما من مقهى المستشفى .. قد تكون شادن هناك .. توجهت للأسفل بعدما سحبت حقيبتها من على الكرسي .. كان حذاؤها يطرق الأرض الرخامية برتابة .. و شيء ما ينتفض بداخلها إحساس سيئ .. حاولت تجاهله لكنها لم تستطع .. أصبحت أمام المصعد .. ترددت لوهلة قبل أن تضغط علي الزر المتجه لأسفل .. فتح الباب ببطء لتشهق برعب.. ما لبث أن تحول إلى ابتسامة متوترة، وهي تهتف -: نادر ألن تكف عن إفزاعي ..؟"

تلونت ابتسامة نادر الشاحبة بضيق واضح وهو ينظر لعينيها قائلا-:

"يجب أن تكفي عن قول ذلك .. فقد أصدقك يوماً "..

شعرت أنها جرحته ،حتي وأن أخفى ذلك ببراعة .. تقدمت للداخل ووجهها تلون بالاحمرار الطفيف ،وهي تقول بارتباك -: آسفة أنا لم أقصد" إلا أن تعابير نادر لم تتغير .. كانت ملامحه غامضة بشدة .. وحاجباه مقطبان .. نظرة عينيه خطفت قلبها ،وهو يقول -:.. أنا لا أقبل أسفك".. شهقت ..لا تصدق أنه غاضب فعلاً .. اقتربت منه أكثر بارتباك .. حتى أصبحت أمامه تماما .. وهي تقول بصدق بينما وضعت يدها علي صدره دون تفكير تترجاه -:نادر..أقسم إنني لم أقصد..

"بطفولية أكملت، وهي تلوك شفتها بارتباكها اللذيذ دون أن تدري ما يفعله منظرها به و بسيطرته على نفسه -: نادر لا تغضب مني .. لا أتحمل ..."

جذبها إليه بيد واحدة محتضنا إياها بصمت المستشفى قائلا ببحة، بينما يده الأخرى تسللت لوجنتها تلامسها بشغف بينما اخذتها المفاجئة على حين غرة -:وأنا لا أتحمل هذا القرب مني دون قدرة على ضمك إلي صدري "

ذابت تماما علي صدره بضعف .. جعل العاطفة المتوحشة تستوطن عينيه ،وهي تهمس بمحاولة ضعيفة منها للإفلات بعيدا عنه -: اتركني .. نادر "

قال بمكر وعيناه تعانقان تفاصيلها برجولة أسرتها:-

"توقفي عن مناداة اسمي بتلك الطريقة وقد أفكر بتركك" حاولت الابتعاد عنه بارتباك وخجل ..إلا أنه لم يتركها ببساطة .. رفع وجهها إليه لتقابلها عيناه و الأنفاس تتغير وتتبدل بينهما .. كانت ملتصقه به تماماً .. يداها على صدره الحار .. بينما تطرق نبضاته الثائرة تحت

كفها تماما ولم تعد تستطيع الابتعاد ..ليتغير رجاؤها .. همست -: نادر قد يرانا أحد" !..

بابتسامة ماكرة همس بالقرب من أذنها .. بينما داعبت أنفاسه شعيرات رقبتها لتبث قشعريرة لذيذة بجسدها -: الوقت متأخر ولا يوجد أحد"..

لازالت تحاول أن تتملص منه .. حين تركها فجأ' وهو يضغط بيده علي زر المصعد ليغلقه .. يوقفه تماما عن العمل وهو يقول بابتسامة كسولة'-: ها قد أصبحنا وحدنا"..

".. عادت إلى الوراء خطوة بسرعة لتستند علي جدار المصعد بعدما أغلق ، وأنفاسها تعلو وتهبط بعنف أثاره .. جذبها إليه بخطوة واحدة بالحيز الضيق ،ووعد بالسعادة يشع من عينيه .. لهفة .. شوق .. جوع عميق تسلل لملامحه، وهو يخفض رأسه تجاهها .. بينما التصقت به .. وقلبها يثب بشوق .. يبعثرها ..يبعثرها .. كلماته .. صوته .. عيناه .. وتلك البحة السائلة التي يهمس بها اسمها كما الآن:-

"هـدى"

همس بعاطفة قوية : .. متى ..؟

"متى هدى .. لا أستطيع الانتظار أكثر .. أحبك .. أحتاجك .. أحتاجك بشـدة"..
كانت تشعر بالحرارة الشديدة .. لا تصدق .. لا تصدق أن لمسة منه تجعلها هكذا .. لا تستطيع الإنكار بعد الآن أو المقاومة بعد الآن أو الخوف بعد الآن هي تحبه وتحتاجه كما تحتاج الماء والهواء .. بوجودها بين ذراعيه كما الآن يمحي الماضي بلمسة منه ارتفعت علي

رءوس أصابعها لتهمس بالقرب من ذقنه وشفتاها تلثمان عنقه برقة جعلته يرتعش شوقا قريباً"

دفن وجهها بصدره .. وهو يبتسم بسعادة .. قريباً تنتهي كل مشاكلهما .. قريباً ارتفع رنين الهاتف ليخرجهما من خلوتهما المجنونة .. ليبعدها نادر قليلا عن صدره، وهو مرتبك لجنونه .. رفع الهاتف لأذنه .. ليقول بصوت أجش ونبضاته الثائرة لم تهدأ بعد -: نعم .. حسناً .. نحن بالطريق" أغلق الهاتف بتفكير عميق .. جعلها تسأله بقلق -: نادر ماذا هناك-: خرج من شروده ليجيب بابتسامة لم تصل لعينيه -: لا شيء" عاد لطبيعته نسبياً ،وهو يسألها -: أين شادن ..و قاهرة ؟"

كانت لا زالت ترتعش من قربه لكنها همست -: قاهرة بجوار آسر في حجرته .. أما شادن .. لا أعرف كنت بطريقي للأسفل لأراها بمقهى المستشفي .. لماذا ..؟

"أجاب بلامبالاة -: حتى آخذكما للمنزل"..

ضيق ما بين عينيه قليلاً بتفكير .. وجود قاهرة بالأعلى وشادن بالأسفل يعيق خطته قليلاً ..أخذ نفسا عميقا جعل عينيها لا إرادياً تتجولان فوق صدره .. وهو يقول -: حسناً ما رأيك أن تنتظريني بالأسفل مع شادن حتى نعود للفندق ..سأطمئن فقط على آسر وألحق بك"

أومأت وهي تقول بهدوء -: حسناً لا بأس بهذا"

أعاد تشغيل المصعد .. ما إن خرج منه ،التفت لها بتحذير بسيط .. أخفي خلفه توتر بالغ ،وهو يقول -: لا تبتعدي .. انتظري بالمقهى مع شادن".. أومأت بـ : حسناً

والمصعد يغلق بينهما .

*****

نظرت هدي لمرآة المصعد وهي تبتسم .. كان إحساسها بالسعاده شيء جديد عليها .. شيء كانت تخاف منه لكن ليس بعد الآن هي من حقها أن تحيا .. وتسعد بحياتها .. نادر يستحق أن يسعد هو الآخر .. نالا نصيبهما من الأحزان والفراق .. هي أخذت قرارها .. ابتسمت بشوق للقادم .. و تلك السعادة الوليدة آخذه بالانتشار بداخلها كزهرة عذبة الرائحة تتفتح .. ببطء وتروي .. تنهدت بشوق .. كيف استطاع في أيام معدودة أن يجعلها تنسى الماضي المؤلم البشع الذي عاشت فيه لسنوات .. بدا أن كل دقيقة تمضيها معه قادرة على محو سنة من العذاب الذي مرت به!.. فتح باب المصعد لتلتفت والبسمة لا تزال علي شفتيها لتتجمد برعب وهي ترىمروان بضحكته المقيتة ..وخلفه شخصان ضخما الجثة بطريقة مفزعة .. أحدهم يمسك بشادن مكمماً فمها والرعب يبدو بعينيها .. ليقول بنبرة جمدت الدماء بعروقها :-

"أخبرتك .. أنت لي " !...

ما حدث بعد ذلك لم تعِ هدى منه الكثير حيث كان الرعب مسيطراً عليها .. وهي تنظر لعينيه الكريهتين .. حين رفع مروان يده وهو يطلق بخاخ ما بوجهها .. أرادت أن تصرخ .. أرادت!...

لكن بدا أن فمها .. لا يطيعها .. لتقع بعدها في غيبوبة سوداء

******

"آااااه"

.. تأوهت شادن ببطء .. تشعر برأسها ثقيل للغاية .. مدت يدها لتلمس مكان الصداع ..لتتأوه بشدة .. يبدو رأسها وكأنه مجروح .

كانت تسمع أصواتا بالخارج أغلبها بالفرنسية .. و الإنجليزية .. إلى جانب العربية .. قطبت حاجبيها بمحاولة للتركيز .. لكنها تشعر بصداع رهيب .. فتحت عينيها ببطء ليواجهها الظلام .. لم تتحرك من مكانها .. تشعر بالخطر قريب منها .. مدت يدها لتدعم نفسها حتى تعتدل لتشمئز، وهي تشعر بمياه رطبة تحت يديها .. ورائحة عفونة بدأت تنتشر حولها ... تلمست حولها ببطء، وهي تعتدل .. همست بخفوت ": .. هدى ..؟ .. !!أأنت هنا ..؟" !!

لا رد يصلها .. يالله .. بدأ الرعب يتسلل إلى صدرها.. بخفوت وخوف نادت مرة أخرى-: هـدى" !!...

لا شيء .. بدا أن الأصوات بالخارج خفتت قليلاء .. مما أجبرها علي الصمت .والرعب يزحف بخلايا بشرتها .. كان شعورا مقيتا .. تشعر أنها تنتفض .. إنها تود الصراخ لكنها لاتجرؤ .. تود البكاء لكنها لا تستطيع..تود التركيز والتفكير بتعقل .. بلا فـائدة!.. أول مرة تدرك نعمة فقدان الذاكرة .. مـروان ..؟!!

لا تستطيع أن تصدق .. مروان ابن عمها!!..

يفعل بها هذا ..؟!

و بـهدى!

شهقت بخفوت ،وهي تضع يدها على فمها تكتم شهقتها .. حين رأته بالأمس .. حين فاجأها بالمقهى، وهو ينحني عليها وهي شاردة .. فزعت لأول وهلة .. كانت في عينيه نظرة غريبة أشعرتها بالخطر لكنها تجاهلتها ،وهي تراه يبتسم بود وشحوب كعادته القديمة لها جلس أمامها، وكان لديه كل الوقت بالعالم وهو يسألها -: كيف حالك شادن ..؟" ! ارتبكت .. وذكرى كلمات هدى لها تعاودها !.. ذكرى ما فعله بأختها لسنوات تصفعها .. مما جعل الحذر يتسرب إليها

أجابت وهي تقبض بيديها الباردتين على كوب القهوة بتوتر-: "بخير.. وأنت مروان ..؟" !!

ابتسامة صفراء مقيتة ظهرت علي شفتيه ،وهو يجيب-:

"لست بخير أبدا "

اقترب فجأة منها حتي أصبحت أنفاسه تصفع وجهها برائحة كريهة !..

ليهمس بفحيح مقيت -:أين زوجتي ..؟" !!

فكرت برعب زوجته ..؟!

يقصد هدى !!... ياللهول

همست بما تستطيع من لطف :-

"مروان يجب أن تنسى هدى .. وتعيش حياتك .. هي الآن زوجة رجل آخر !.. "

برقت عيناه بالشر، وهو يقول -: ليس لوقت بعيد"

لتسأله شادن بخوف -: ماذا تقصد ..؟" !!

لم يجبها بل أعاد ظهره للخلف ،وهو يرفع يده بإشاره ما ليظهر اثنان ضخما الجثة أثارا الرعب في نفسها .. تلفتت حولها لتطمئن قليلاً فهناك .. بضعة أشخاص حولها ..أحدهم نائم على الطاولة.. اثنان ناعسان تماماً .. وعامل القهوة بدا أنه اختفى .. بدا الخوف علي محياها، وهما يقتربان لتهمس بريق جاف -:ماذا تريد مروان ..؟" !

اتسعت ابتسامته والحقد والجنون يلتمعان بعينيه، وهو يقول-: "أنا لا أريد منك شيئا .. أنا هنا لآخذ زوجتي وأرحل" !!..

نهضت شادن بعصبيه وهي لا تعي جنون ما يقول فكرت برعب وسرعة .. من سيسمح له .. ؟!

نادر.. يجب أن تخبر نادر .. يجب أن تحذر هدى.

ليصرخ فجأة بصوت غاضب بينما اقترب الضخمان خطوة للأمام بتحفز -:إذا قمت بأية حركة .. هذان الاثنان لديهم أوامر بقتلك وقتل كل من يعترض طريقي .. أتفهمين ..؟" !!

همست بشحوب ورعب -: أنت مجنون "..

اتسعت ابتسامته المقيتة، ونظرة جنون صرف تبدو بعينيه وهو يقول-:

"أعلـم" !..

مد يده بحركة مفاجئة ليجذب يدها حتى وقعت علي الطاولة أمامه وهو يقول بفحيح شرس : -وذنـب من هـذا .. ها .. ذنب أخيك الحيوان وصديقه الأحقر منه !.. تركوني لأتعفن بسجنهم .. لينجوا بحياتهما" ..

بان العذاب بعينيه في لحظة واحدة، وكأن الماضي يمر أمام عينيه .. ليهمس، وكأنه لم يعد معها في الواقع .. بل بواقع آخر مختلف تماماً-: ترك ابن عمه .. تركني .. وهو كان كل شيء لي .. الأخ .. القدوة .. المثل الأعلى .. ولأجل من!..

برعب .. وخوف ... حزن ..همست بعدم تصديق وذهول -: .. أي سجن مروان ....؟" !!

حين لم يجب بينما بدت بعينيه نظرة متوترة .. حذرة يشوبها لمحات من جنون وعذاب .. أكملت بعدم تصديق ورعب وجسدها كله ينتفض حتى شكت أنها ستسقط أرضاً -:تقصد آسر ... كنتم بالسجن .. بتلك الرحلة الغريبة التي اختفيتم بها ليصرخ فجأة _:... لا تدعين الجهل أنا أعلم أنكم تعلمون ..؟!!

هزت رأسها بنفي دون قدرة علي الكلام .. ليجذبها بقسوة بالغة من ذراعها حتي أصبحت رأسها أمامه على الطاولة .. ليرفع يده ويضربها بقوة .. بشيء حاد وصوت مكتوم .. جعلها تئن بألم ورعب .. إلا أنه أحنى رأسه في نفس اللحظة يخفي وجهها عن فضول من حولهم .. وهو يهمس بأذنها بفحيح -: الآن ستأخذينني إليها بكل هدوء .. حتي لا أقتلك " بدأت بالبكاء، وهي تشعر بالدماء تنزف علي جبهتها ،وهي تومئ بالإيجاب بصمت بينما أخذت تدعو الله في سرها أن ينقذها وهدى منه!.. صوت صرير الباب أفزعها ،وجعلها تعود لأرض الواقع .. بخوف ورعب نهضت مرتعشة بصعوبة وتحفز .. والرعب يسيطر عليها وذلك الجلف البشع المظهر يقترب منها .. لا تعلم أين هدى .. ؟ !!

لا تعلم ماذا سيفعل بهما مروان .. ؟ الكنها لن تصمت .. لن تستسلم .. بداخلها وبمكان قررت أن تدفنه بلا رجعة.. انبثقت أمام عينها .. عينيه

بلون الظلام .. بلون بئر عميق .. مليء بالأسرار عينين مجرد التفكير بصاحبها .. دفع بالدموع إلى عينيها !.. قبضت بيدها بشدة علي مبرد أظافرها بجيب بنطلونها .. وهو الشيء الوحيد المتوافر معها ،وقد تستخدم كسلاح .. وهي تقرأ النية البشعة بعينيه..

كانت أنفاسها تعلو وتهبط برتم متوتر مرتعش لكنها لن تسمح له .. لن تسمح له بلمسها حتى!! .. اقترب منها وهو يبتسم ببشاعة .. حاولت أن تنظر للخلف تبحث عن مروان لا تصدق أنه ورغم بشاعته ،ورغم كل ما فعله بهدى سيترك هذا يحدث لها لابنة عمه دمه ولحمه اقترب الرجل بشدة حتي توقف أمامها وأنفاسه الكريهة ورائحة الخمر تنبعث منها تلفحها وتثير رغبتها في التقيؤ لتصرخ برجاء-: مروان" .. امتدت يده لتقبض علي فكها ونظرة شريرة تلمع بعينيه قال لها بالإنجليزية-: .. لن ينقذك مني أحد اليوم .. أنت لي".. لم تعيره انتباها ورغم ألم فكها إلا أنها صرخت مرة أخرى برعب وخوف وهي ترى مروان ينظر لها ببرود غريب من الخارج -: مروان أنقذني أرجوك"

اقترب منها المتوحش بأنفاسه الكريهة ليقبلها بوحشية وقسوة .. لكنها تراجعت للخلف، وهي تدرك أنها ميته لا محالة سواء الآن أم بعد أن ينال منها ما يريد تحت مرأى ابن عمها القذر رفعت يدها فجأة حين أغمض عينيه ،وهو يقبلها لتطعنه بالمبرد بوجهه ليصرخ بزئير بشع صم أذنيها والدم يتدفق من وجنته والمبرد لازال مزروعا هناك بوجنته لطمها بكف يده بقسوة ووحشية حتى شعرت بارتجاج برأسها لم تفق منه إلا علي جذبها من خصلات شعرها حتى أقسمت أنها اقتلعت من جذورها،وهو يصرخ ويسب بأقذع الألفاظ .. رفع رأسها إليه بقسوة، ويده تسحبها من خصلات شعرها بوحشية لتقع عينيها بعينيه الخاليتين من الآدمية،

ذعرت وهي تراه يسحب المبرد من وجنته بقسـوة، وهو يقول لها بجنون ..
-:أيتها اللعينة "

رفع المبرد لتشهق مرعوبة، وهي تراه يدفع به إلى عينها .. أغمضت عينها بحتمية الرعب والفزع لضياع عينها بأي لحظة حين أتى الصوت قويا هادرا صارما متوحشا يصرخ بالإنجليزية-: توقف مـارك!...

رغم كل شيء

ورغم أني عاهدت نفسي .. كثيراً

لازلت أنقض ذلك العهد

وأشتـــاقك

*****

ما إن فتح باب المصعد حتى شعر نادر بتوتر وتحفـز كان الممر هادئا .. ضيق عينيه بتحفز .. الحرس لا وجود لهم .. أسرع خطواته بنبضة مفقودة .. فتح الباب وهو يجبر نفسه علي التريث .. والهدوء .. لتعود أنفاسه إلى صدره، وهو يجد قاهرة نائمة بهدوء جوار آسر تتوسد صدره .. أشاح عينيه بحرج ، وهو يغلق الباب خلفه .. مسد علي صدره انزلاقا لمعدته التي شبت النيران بها لقلقه .. إذن أين ذهب الحرس هناك شيء ما خاطئ ..؟!!

لم يضيع لحظة أخرى في التفكير ،وهو يتجه للمصعد بسرعة.. هدى في الأسفل وحـدها !!..

ضغط على المصعد بقلق، وهو ينظر للإشارة الحمراء التي تنم عن صعود للأعلي بتوتر متصاعد ثواني بطيئة للغاية، شعر بها كأنها ساعات حتى توقف المصعد بالدور السفلي،

رمش رمشة خفيفة و توتره ارتفع لأقصى درجاته .. حتى أسرع بخطواته المتعجلة لمقهى المستشفى .. لم يجد أي منهما .. بدأ الخوف يعتريه .. إذ لا أثر لهما أخذ يدعو في سره وخطواته المتوترة تفتش كل مكان .. أخذ يدعو الله أن يكون خوفه وهما لا أثر له من الصحة .. أن يجدهما عند مدخل المستشفى أقسم سيكتفي بتوبيخهما فقط .. كلا بل لن يوبخهما نهائيا .. لن يتفوه بحرف .. فقط إن وجدهما .. لتتوقف قدماه بصدمة حين وصل للممر الخارجي الخالي للمستشفى .. رفع هاتفه بيد صدم أنها ترتعش .. بتوتر أخذ يتصل بها، وهو يأخذ أنفاسا عنيفة أحرقت صدره لا يريد أن يصدق الأسوأ

لا يريـدا بل لا يستـطيع !..

كان المطر ينهمر بغزارة .. والظلام يسود المكان .. تلفت باضطراب .. عله يلمحهما .. هنا أو هنـاك .. لكنه كان يدرك أنه يماطل .. وأنه يدر يقينا ما حدث .. كان يماطل بالتقين وهو لم يعتد المماطلة !..

توقف رفع بصره لـالسماء يترجى لتتساقط قطرات المطر على وجهه قطرات باردة إلا أن برودها لم يستطع أن يطفئ لهيب صدره

لم يأخذ أكثر من ثوان في تلك الحالة من الصدمة الذهول .. ليعـود لطبيعته ولو نسبياأبخطوات هاله أنها ترتجف، عاود لـالمستشفي ..لم ينتظر المصعد تلك المرة!..

يريد أن يحرق غضبه قبل أن يحرقه يريد أن يصبح قادراً علي التفكير بخطوات قوية .. حازمة .. غاضبة أصبح بالدور الرابع للمستشفي لم يتوقف ليلهث حتى بل استمر بخطواته الغاضبة للأعلى أخذ يفتش الممر بحجراته، ساعده هدوء المستشفى الخانق حتي توقف مصدوماً بجثتي حارسيه المختفيين توقف فجأة، والصدمة تتجلى على وجهه شحب وجهه واختنق صدره بشهيق لم يستطع أن يزفره ..كان يأمل .. كان هناك أمل يداعب خفقات قلبه المضطربة ببطء أن يكون كل هذا وهم

وبدون مقدمات شعر بانخفاض حاد بشرايينه يجبره على الانحناء والسقوط أرضاً ثارت عليه معدته تلك المرة بشكل غير قابل للجدل ليجد نفسه يتقيأ وبشدة نار حارقة كانت تصعد من معدته عبر صدره .. نااااااار أخذت تتصاعد لتقضي على البقية الباقية أنفاسه وهو يرى الدماء تتساقط من فمه ،هي نظرة واحدة لم يعيرها اهتماما أكثر من هذا ،وهو يقف ليمسح فمه باشمئزاز من نفسه أقسم بعنف وغضب وقلبه يرتعش

سيقتله

..سيقتل

الحقير مروان

سيقتله بيديه العاريتين !

وجع قوي .. مزقه ..حطمه... جوفه يشتعل بغضب .. بألم ، بجرح قاسٍ ضرب الجدار بقوة عنيفة ، ليخترق قبضته مسماراً مخفي بلااهتمام ليخترق كفه بألم فاق آلامه النفسية لوهلة فقط شعر

بجسـده يرتجف للألم الذي رحب به عله يخفف مما يشـعر به يشـعر أن عقله بحالة تبلد ..يشـعر أنه فـاقد السيـطرة دم ، حرارة ، رجفة!..

خوف لم يشـعر به من قبل .. ولم يتوقع أن يشـعر به في يوم من الأيـام ماعدا ذلك اليوم من عدة أشـهر حين اختطفها مروان المرة الأولى وها هو الموقف يتكرر و شـعر بروحه اندثرت للأرض ، صارت فُتاتا ، و تناثرت مع نسمات الهواء أضاعها

أضـاع رُوحه!!..

سحب كفه بـألم ليخرجها من المسمار، وهو يضغط علي شفته بقوة وغضب .. وبتبلد تام نظر إلى الدم المتساقط منها ليت هذا الدم يتسـاقط من قلبه ولا يكون بهـذا المـوقف يجب أن يتصرف وسـريعا كل ثانية مهمة .. لا يصدق .. لا يصدق أنه بغبائه وضعها بنفس الموقف لـلمرة الثانية كيف ستثق به بعد الآن دعا الله برجـاء لا يريدها أن تثق به .. لا يريدها أن تحـبه أو تعود إليه حتى يريدها فقط أن تبقى سالمة ألا يلمسها ذلك الحيوان القذر المجنون السادي ألا يقترب منها حتى لأنه لو فعل ثارت الدماء بعروقه وانقبضت عضلة قلبه بشدة ؛حتي أوشك علي الاختناق إن فعل فسـأقتله لن يشفي غليله يجب أن يهدأ .. حك بأصبعه وسط جبينه بتوتر ..وحزم فكل خطوة يقوم بها قد تكلفه حياة هدى وشادن

الإجابه عند محمود

يجب أن يصل إليـه!...

*****

أفاق آسر ببطء .. وهو يشعر بإرهاق بألم حاد بعينيه وحاجة فظيعة لجرعة ماء حاول التحرك لكن شيئا ما كان يعوقه ليبتسم برقة بعيدة عن طبعه المتوحش وتنهيده تخرج من أعماق صدره .. و لسانه يردد اسمها بعذوبة -:قاهرة

توقع أن تتركه وترحل .. صدقاً توقع هذا وما كان ليلومها !.. لكنها ككل مر تفاجئه أكثر !.. ويعشقها أكثر حاول أن يحرك ذراعه ببطء .. دون أن يوقظها إلا أنها انتفضت ببطء.. وهي تهمس -: آسر .. أنت بخير؟ قال بحشرجة -: أريد بعض الماء

بدون كلمة ابتعدت عنه والخجل يغمر كامل جسدها .. ليتحول إلى غضب .. غضب حاولت السيطرة عليه كما وعدت نفسها .. لكنها لم تستطع !.. لازال ألم قلبها يقتلها !.. ولازال هو بنفس العجرفة .. لم يكلف نفسه حتي الإجابة عن سؤالها.. تنهدت وهي تصب الماء .. وتتقدم منه بصمت يشيء عن ذبذبات غضبها !.. لم يكن يراها .. ويشعر بالإنهاك .. لكن غضبها .. عصبيتها .. حنقها .. وصله ما جعل طيف ابتسامة متعبة تعانق شفتيه بصمت ما إن اقتربت منه ،وهي تقول بغيظ طفيف وأدب غريب عليها-: تفضل

..لم يكن بكامل قواه العقلية لكنها استفزته .. حتى بحالته المرضية .. هي الوحيدة التي تجعل كافة حواسه تتيقظ .. وتنتبه .. غريزة الصياد به تشتعل .. و بكل وداعة قرر أن يستغل الوضع .. يا الله هو يشتاق وجودها حتى وهي معه:قال بأمر خشن وإن خرج من شفتيه بإرهاق -: اسقني"..

حين لم تتحرك قال بسخرية مريرة يحثها على الاقتراب -: إذا كنت لم تلحظي ..فأنا لا أرى"..

شهقت بخفة ،وهي تعض شفتيها بغيظ .. لكنها اقتربت منه ببطء وصمت .. وقفت حائرة لوهلة في كيفية الاقتراب منه دون أذيته .. لحسن حظها كان المغذي بيده اليسري وهي كانت بالجهة اليمني .. وضعت الكوب علي الطاولة المجاورة مدت ذراعها بخجل خلف رأسه .. ببطء لترفعه .. لكن ملامستها لخصلات شعره ..غوص أناملها بهم .. دفعت برجفة لذيذة لجسدها حاولت أن تسيطر عليها بقوة ..لكنها لم تستطع ،ويدها تنزلق لكتفيه العاريتين وظهره الحار .. يا إلهي ..فكرة القرب منه عذاب خالص بينما لم يكن حاله أفضل منها بهذا القرب .. ورائحتها تحيطه .. دفؤها .. يداها علي جسده ..ولم يكن ليتركها تبتعد .. ما إن اعتدل ببطء حتى حاولت الابتعاد إلا أنه لم يسمح لها .. لم يستطع تركها تبتعد هكذا .. يدرك أنها مجروحة منه ولها كل الحق .. لكنه لا يستطيع أن يتغير هو هكذا هذا هو طبعه .. حين يخاف .. يبتعد ليس سهلا عليه أبدا أن يجعل أحد يرى خوفه فماباله بالقاهرة

القاهرة التي كان يستمد من عنفوانها .. قوته من شموخها .. رجولته من حنانها .. إنسانيته

أمسك بأناملها بين يديه برقة .. لكن حين حاولت سحبهما منه قبض عليهما ببعض القوة ..وهو يجذبها لتقع علي صدره .. حاولت الاعتدال باضطراب وشهقة ذهول تغمرها .. أهذا حال شخص لازال لم يفق بعد من تخدير العملية .. هتفت بحنق ولا شيء ببالها سوى أنه يغيظها كعادته الكريهة :..آسر

إلا أنه أخفض وجهه إليها .. وهو يهمس بصوت أجش -: قلب آسر رجف جسدها ،وهي تفتح فمها فاغرة فاها بذهول وتلك النبرة السائلة

الخشنة ..تمر بكل عصب حي بجسدها لتفجره .. حاولت أن تجيب .. أن تتفوه بأي شيء .. أن تصرخ بغضب .. بحنق .. لكنها وجدت نفسها تصمت .. بحزن .. بمرارة .. هي ارتضت أن تبقى ويجب أن تكون على قدر قرارها .. قد يراه البعض ضعف .. انهزام .. لكنها تراه عشقا ..! بكل بساطة هي بداخلها تدرك أنها لا تستطيع تركه .. تدرك أنه قد يمر وقت طويل قبل أن يستطيع هو أن يحبها كما ترغب به أن يفعل .. لكنها أيضا بحس الأنثى لديها تدرك أنه يحبها ،وهي لا تحتاج للكلمات لتعرف هذا هي فقط تعرفه لكن ذلك لا يمنع من الحفاظ على كبريائها .. كرامتها .. هو أخطأ، ويجب أن يعرف أنه أخطأ بحقها كثيراً حاولت الابتعاد مرة أخرى بصمت .. تعذبه بصمتها .. تباعدها والآن .. هو لا يستطيع التفكير بشيء سوى قربها منه .. ربما يوماً ما يستطيع ان يحكي لها كل ما يخبئه بصدره ويؤلمه .. لكن ليس اليوم وليس الأن امتدت يده بلهفة وهو يهمس بخشونه-: ابقي كما أنت" !..

آاه يا إلهي من أين تستطيع أن تستحضر قوتها ،وهي مستلقية تقريبا بأحضانه .. مد يده ببطء وهو يرفع وجهها إليه لتقابلها شاشتان بيضاويتان .. بدل عينيه الرماديتين .. ما سمح لها أن تتأمل تفاصيله بجوع .. بانبهار واطمئنان .. أن تسمح لنفسها بظهور الحنان .. الرقة .. والحب .. بعينيها العاشقتين امتدت يده ببطء تستكشفان ملامحها .. وهو يهمس بلهجة سائلة حزينة بعض الشيء -لطالما أرادت فعل هذا "

ارتعشت أهدابها بندى حزين .. وهي تتركه يمر بأنامله القاسية علي حاجبيها .. عينيها .. وجنتيها .. كانت مبهورة بكافة الانفعالات التي تمر بوجهه حتى أنها كانت تحبس أنفاسها التي أصبحت تخرج بشهقات متقطعة خافتة،حتى وصلت أنامله إلى شفتيها .. مد أصبعيه السبابة والوسطى .. ليمسك بطرفي شفتيها من الجانبين

قال بخفوت ومزح -: فمك .. كبير بعض الشيء

لم تستطع أن تسيطر على رد فعلها وهي تزم فمها بغضب قليلاً ليشعر هو بها .. حاولت الابتعاد تلك المرة فعلا وقطع ذلك السحر المجنون الذي يحيطها به حين خفض رأسه حتى تلامست شفتيهما .. ببطء وأنفاسه تلفحها وهو يقول بحنان أذاب عظامها : لكنني أحبهما .. هما لي هاتان الشفتان لي .. أنت كلك لي"..

كانت نبرته من الرقة بحيث دفعت بالدموع إلى عينيها .. ليهمس بعاطفة وصدمة وملوحة الدمع تعانق شفتيه : لا تبكي

بمرارة أكمل ويده تمسح دموعها برقة .. تستكشف ملامحها ببطء .. بحسية ولهفة .. بشوق لم يستطع السيطرة عليه :- أنا لا أستحق دموعك تلك .. أنت القاهرة .. أنت قاهرتي أنا .،وأنا لا أستطيع رؤيتك تبكين حتى ولو كنت أنا السبب "

شهقت وهي لا تستطيع التحكم بنفسها أكثر من هذا ليهتز جسدها بالبكاء بخفوت .. يا الله كم هي مشتاقة لحنانه

حنانه هذا الذي لم تر منه إلا الفتات ذلك الفتات الذي يجعلها جائعة للمزيد منه .. لم تكن لترفض ذلك ،ولو كلفها الكثير .. عاودت البكاء بدلال ،وهي تضم جسدها إليه أكثر لتهمس بألم :- حتي حين أبكي منك .. فأنا أبكي إليك "

انتفض جسده وارتجف .. شعر بشيء حار مفاجئ يجري بعروقه، وهو يشدد من احتضانها على صدره بيده الحرة .. يا الله إنها تتفنن في جعله يغرق بها أكثر

يغـرق

ولم يـعد يريد النجاة بـعد

الآن!...

كـم خيبة يجب أن تحدث

لـأكـف عنـك

"اتـركها"..

لم تعي شادن إلا وهي تقع أرضا بينما أخذ محمود يكيل اللكمات والضربات لذلك الضخم بكل غضب .. طرحه أرضاً وأمسكه من تلابيب قميصه الذي أصبح بلون الدماء المتفجرة من وجهه وهو يضرب ويضـرب ويضرب حتي أصبح كالخرقة البالية بين يديه .. لكن ذلك لم يشف غليله .فكرة أنه تجرأ فقط ولمس شعره منها كانت تدفع به لمزيد من الغضب أخذ يكيل الضربات لكل جزء تقع قدميه عليه لم يوقفه إلا نداء شادن الضعيف المستجدي بالظلام وهي تهمس ببكاء غير مصدق وذاهل جعل كل خلية بجسده تنتفض

"محمـود "

لم يلتفت إليها فورا .. توقف جسده تماما عن الحركة فجأة دون قدرة لديه على النظر اليها .. لتعيد هي النداء بالظلام .. بغصة وخوف مزقا أضلعه ضلعا ضلعاً

"محمـود "

تقدم منها خطوة واحدة حتى أصبح أمامها ،وهي متكومة تحت قدميه منكمشة على نفسها بخوف لم تكن ترى ملامحه بوضوح .. بل إن كل ما يصلها هو أنفاسه الحادة، وهو ينحني ناحيتها لكنها لم تكن تحتاج لتراه .. استندت علي قدميها ببطء ،وهي تقف ورائحة الريحان الغاضب تغمرها .. ما إن وقعت عيناها بعينيه حتى تساقطت دموعها بخوف وذل وهي ترمي نفسها بين ذراعيه ببكاء وجسدها كله يرتعش ..

أخذت تشد على قميصه بشدة .. تريد أن تختبئ به .. لا يهمها ماسيفعل المهم أن يخرجها من هنا .. بدا أنه قد صدم لوهلة قبل أن تشتد ذراعاه حولها بقسوة .. تخفيها .. تزرعها داخل أضلعه ..

مد أصابعه بيد ترتعش تلامس شعرها، وهو يهمس بعاطفة فجة غاضبة
-:هل أذاك ...؟" !!

أخذت تهز رأسها برفض، وهي تتكيء عليه بضعف مزقه حاولت أن تنطق لكن محاولتها فشلت ،وهي تبكي بصوت يمزق نياط القلب ليهمس برجفة
-:لا تخافي "..

جمد لثوانٍ لمرأى نظرتها المكسورة ثابتة عليه و هي تطالعه، و الدموع تنزلق من عيونها بشكل يرعب .. لم تكن أول مرة يرى منظر بهذا الشكل لم تكن أول مرة يرى أحدا يبكي و ينوح بهذه الطريقة المُخيفة .. و التي تؤلم القلب بقسوة و لكن تلك النظرة المكسورة انحفرت بقلبه قبل عقله .. أخذ يحاول بلع ريقه باستمرار ودون جدوى شيء ضخم كان يجثم علي صدره ليخنقه ببطء ..حاول يبعد نظره عنها لكنه لم يستطع حركة صاخبة خلفه .. جعلتها تعاود الانكماش كطفلة صغيرة بينما أخفت وجهها بصدره مرة أخرى برعب دفع ببسمة ألم ساخرة على شفتيه ..حاول إبعادها عن صدره ببطء لكنه لم يستطع كانت متشبثة به بقوة

غريبة .. لا تريد أن تبتعد عنه لاتريد أن يلامس الهواء وجهها حتى .. إذا ماتت واختنقت هنا بصدره أفضل لها من الكابوس الذي تمر به بنظرة لا مبالاية لمروان ورجاله الذين تقدموا للغرفة بعنف.. أبعد وجهها ببطء عن صدره .. حضن وجهها بين يديه المرتعشة انفعالا.. قرب وجهه من وجهها ليركز نظراته السوداء الغامضة بعينيها الباكيتين .. المصعوقتين .. ليهمس لها بحنان وشفقه دفعت بالدموع لعينيهامرةأخرى : " أنت بخير .. لن أسمح لمكروه أن يصيبك" !..

"ماذا تفعل ...؟!!

صرخ مروان بجنون وهو يقترب منهم بشر .. وكأن ما فعله محمود أفسد خطته السادية التي كان يتابعها بدقه من الخارج .. توتر جسد محمود بشدة في حين لم تفته شهقة شادن المرعوبة ليدفع بها خلف ظهره يحميها وهو يقول بقسوة وصرامة -: " لا تقترب أكثر وإلا قتلتك" توقف مروان بخوف رغم ابتسامة السخرية التي أظهرها .. ورغم الخوف الذي تراقص بعينيه ابتلع ريقه الذي جف فجأه خوفا من محمود كأي جبان يخشى من لا يخشاه حاول أن يتحدث بنبرة قوة عنيفة -: " ألم نتفق سابقا يا محمود .. اتركها لا شأن لك بها ..لا تدمر كل خططك لأجلها "

إلا أن نبرته خرجت منه ضعيفة متوترة حملت آخر حروفها بعضا من قوة زائفة أراد إظهارها ،وهو يكمل بنظرة ازدراء -: هي لا تستحق".. بإصرار أكثر وجنون حين رأي نظرات محمود تصبح شديدة السواد والغضب -: لا تستحق" !

ابتسم محمود بألم على كلمة " لا تستحق " التي كررها مروان أكثر من مرة لا تستحق ..آاه لو يدري ..

أغمضت شادن عينيها بشدة، وهي تدعس وجهها بظهره من شدة الألـم .. الخوف وطعنة الغدر من ابن عمها .. مروان ... تطعنها بالصميم .. شهقت بقُوه ،و أكتافها تهتز بارتعاش مع كل شهقة تأخذها.. انقبضت عضلة قلبه بعنف لحركاتها الطفولية الخائفة التي تعذبه بها هو لا يستطيع الآن .. فكر بعنـف لا يستطيع أن يفعل شيئا ويحطم به تخطيط سنوات .. لكن آاه من تلك الأنات الخافتة التي تزفرها بظهره

أنـات حارة آلمت كل خلية بكيانه آلمتها!!.. جعلت كل جسمه ينقبض.. و كل شرايينه يرتفع ضغطها لكنه تسلح بالبرود الذي كلفه كثيراً من أعصابه ،وهو يقول -: لم نتفق علي هذا مروان "

ضحك مروان بجنون، وهو يقول بحقـد : لم نتفق لكن هذا ما أردته" اقترب منه أكثر والشر ينضح بعينيه، وهو يقول : "وما أريده لا أحـد" شدد علي الكلمة، وهو يكمل : - " لا أحــد .. ولا حتى أنت .. يستطيع أن يقف بوجهه"

ضغط علي أسنانه بشدة ومروان يكمل بلؤم -: وإلا خسـرت الكثير".. توتر محمود وهو يقول بتحفـز -: ماذا تقصد "

تحرك مروان، وقد عادت إليه ثقته لرؤية التوتر يحفر ملامحه علي وجه محمود الغامض وهو ينظر لشادن شذرا بلؤم قائلاً-: هل تعرف ابنة عمي العزيزة صلتك بنا "

اشتدت قبضة محمود لا إرادياً علي يدها المتمسك فيه لتتأوه باستغراب ومحمود يهمس بشـراسة وعيناه بعيني مروان

"إياك" ..

انطلقت ضحكة ساخرة من مروان وقد أدرك موطن ضعفه ليقول "إذا هي لا تعرف"

اقترب منها بمكر .. ليلمس شعرها باستفزاز .. لتنتفض فزعة، وهي تنكمش أكثر بمحمود الذي سحبها خلفه تماماً .. يحميها بصدره العريض، وهو يهمس بفحيح غاضب : ارفع يدك عنها"..

رفع مروان يده بطريقة مسرحية، وهو يقول : "لا تغضب ها أنا أرفع يدي عنها"..

بابتسامة صفراء أكمل :- " أنت تعلم أنني لا أستطيع إغضابك .. تلك الصفقه التي ستربح من خلفها الكثير أنا أيضا سأربح منها كما تعلم "

ضغط على شفته العليا بعصبية .. و هو يسيطر علي نفسه بكل قواه لا يستطيع أن يخسر صفقة السلاح التي عانى كثيرا حتي يستطيع الحصول عليها تحالف مع الشيطان نفسه متمثلا بمروان الحقير وصحبته من الأمريكان ليحصل علي ذلك السلاح , لكنه لا يستطيع أن يخسرها تغيرت نظراته ،وهو يدرك أنه لا سبيل أمامه..دوناً عن إرادته لابد له أن يجاري الحقير بحقارته فقال بكل ما يستطيع من برود "لا داعي لأن يخسر أحدا أي شيء "

سحب شادن المذهولة من خلفه ليجعلها تتقدم لتقف بينه وبين مروان ،وهو يقول بكل برود :-" أتريدها .. خذها "

جمدت أعضائها كلها بثوانٍ .. حتي عيونها توقفت عن الرمش حراره هائله غمرت جسدها بينما فتحت فمها بصدمة وذهول وصدمة لكن مروان قال بغضب وقد تفاجأ :- " أنت تعلم أنني لا أريدها"

بحقد أكمل :- " لكنني أريدها أن تتعذب .. تحترق"..

كانت شادن توشك على الإغماء من الرعب، تعالت شهقتها وهي تسمع مروان يقول هذا .. كيف له أن يفعل هـذا .. هي ابنة عمه .. بحق الله استمر مروان بكلماته المسمومة، وصوته يعلو :- " أريدهم جميعا أن يحترقوا .. كما احترقت أنا"

سحبها من ذراعها بقسوة بعيداً عن محمود الذي تسمر بمكانه بصعوبة بالغة وهو يري مروان يرفع وجهها إليه بينما توترت كل خلية حية بجسد محمود ،ومروان يمسك بشفتيها بقسوة بين أصبعيه ... لتنهمر دموعها الصامتة علي يديه بخوف وعدم تصديق ورعب .. وهي تغمض عيناها بشدة..لاتريدأن ترى ,,لا تريد !!

همس مروان بحقـد :- " أريد أن أرميها للكلاب خلفك .. أريد أن أسمع صراخها يعلو .. " هي و أختها "

*****

اقترب منها محمود بهدوء ،وهو يهمس لها ما إن أقنع الحيوان بالخروج ليوافق مروان فجأة بهدوء غريب أقلقه ،لكنه لم يفكر كثيرا فنادر أوشك علي الوصول يدعو الله أن يكون قد وصل وإلا -: هششششش اهدئي لن أؤذيك"..

ابتعدت عنه وهي تنظر له بعيون باكية .. ذاهلة ..يبدو أنه لا يعقل ما يقول!!..

لأن كلامه بالنسبة لها غير مفهوم .. كانت بحالة من عدم التوازن ما جعلها تنظر بصدمة إليـه.. ألن يؤذيها ألم يسبق له وفعل ..؟ صرخت

بصوت هستيري خائف، وهي تتراجع لتلتصق بالحائط أكثر بعيدا عنه ،وكأنه أصبح مصدر كل رعبها -: من أنـــت ..؟" !!

ظهرت الصدمة علي وجهه لثانية .. اقترب منها خطوة لتشهق من جديد، وهي تهمس بخوف ورفض -: ابتعد .. لا تقترب مني أكثر" مد يديه لها بجرح وصدمة ورجاء -: شـادن" !!..

هزت رأسها برفض هستيري -: لا تنادي اسمي ..أنا لا أعـرفكْ .. ماذا تريد مني .. ؟" !!

ثم بألـم ..بقلب جريح صرخت ،وهي تضع يدها على صدرها كـأنها تعاني لتتنفس -: لم فعلت هذا ..؟" !

كان يعلم أنها تسأله عما فعله منذ قليل ،وهو لم يكن يملك إجابة .. !كيف يشرح لها .. ؟!

كيف يفسر أنه كان.. مضطرا للتعامل معهم لأجل بلده .. وطنه فلســطين
كيف يشرح لها أن السبل ضاقت بهم كثيراً ،ولا أحد يشعر بهذا .. أنه لم يكن لينتظر ،وهويرى أهله وأصدقاءه يموتون كل يوم ،وهم جالسون كـالجبناء بانتظار مساعدات قد تأتي أو لا تأتي اعتراه الغضب .. هو ليس مضطرا ليفسر لها كان يعرف منذ رآها أول مرة أنه لا أمل لهما معا، هي الغزال الصغير الشارد كـاسمها ، وهو..ابتسم بمرارة لاويا شفته بسخرية هو ماذا ؟ بطل ؟!

هو أبعد ما يكون عن بطل هو فلسطيني

نعم هو فلسطيني تلك الكلمة التي تلخص كل شيء؛ ولأنه فلسطيني فهو فداء لوطنه، هو و مشاعره وأحلامه ونفسه ،ولو اضطر لبيعها للشيطان بشخص مروان الذي سيوفر لهم السلاح للمقاومة من جديد حتى إن عني هذا أن يضحي بها هي

كن الآن.. وهنا !!.. أدرك أنه لا يستطيع، هي اختلطت بعروقه ودمائه .. وأصبح ينبضها كما ينبض فلسطين

ليس لديه ما يخسره أكثر من هذا !..لكنه سينقذها ولو عني هذا أن تكرهه لآخر يوم بعمرها، لقد أصبح معتادا على هذا علي البعد الكره الحنين والاشتياق همس -: أنت تعرفين من أنا شادن .. لكنك لا تعرفين ما أكون ..؟" !!

شهقت من جديد و دموعها تنزلق بشكل هستيري على وجنتيها .. ترفض أن تصدق أن له صلة بمروان همست برجاء .. بتوسل .. ببكاء -: أخبرني .. أخبـ ـر نـ ي .. أنك كذبت لإنقاذي .. أخبـ ـرني .. أرجـ و ك .. أن لا صلة لك بمروان ..؟" !

ارتفع صوتها بصراخ هستيري ،وهي تقترب منه لتضربه بقبضتيها الضعيفتين علي صدره بينما لم يتزحزح هو قيد أنملة" أخبرني .. أخبـرني .. اكذب علي .. أريدك أن تكذب آااه"

أمسك قبضتيها الصغيرتين بقسوة بقبضة يده وهو يحاول تهدئتها -:.. هششش .. اهدئي .. يجب أن تهدئي"

صرخت فيه وهي تحاول أن تتملص من قبضته ،وهي تضربه بقبضة يدها بدون هدف محدد ،وهي تريد أن تفك أسرها منه .. صرخت بهستيريا ؛وكأنها لا تطيق أن يلمسها -:اتركـني اتركـــني "

شعر أنها ليست بوعيها أبدا .. من الرعب الذي شعرت به فكر بسخرية أكيد مرعوبة مما فعل ..لكن لو لم يفعل هذا لكان مصيرها أسوأ مليون مرة .. يجب أن يصدق أن الجميع حقارته .. التي أصبح هو نفسه يشعر بها .. إلا أنه وهنا .. وأمام عينيها الباكيتين .. لا يستطيع إلا أن يشعر بالألم .. هي فقط !..كان يريد أن يظل طاهرا أمامها .. بطلاً ..

هي فقط من جعلته يرغب وبشدة أن يكون أنانيا .. أنانيا لأنه كان يتمتع بحبها الطاهر البريء له بارتباكها أمام عينيه بغموضه ، تنهد بيأس وهو ينظر لها .. تبدو كمن فقد عقله من الصدمة .. يرغمه صراخها اليائس أن يتركها !... إلا أنه فعل العكس تماماً إذ قربها إليه بشدة، وهو ينظر لوجهها يريد أن يتأكد من سلامتها .. يريد أن يصبح أنانيا أكثر.. فأحللك لحظات حياتها .. أصبحت تتضمن اسمه

وهي لن تسامحه قطٌ، وضع جبينه على جبينها بتعب روح وهو يتنهد بحرقه .. سمرتها فجأة وجعلت كل جسدها يركن للهدوء.. هذا القرب منه يؤلمها .. يمزقها .. يجعل نبضاتها ترتجف بشوق .. لكنها مرتبكة .. خائفة .. أغمضت عينيها بيأس، وهي تهز رأسها برفض ضعيف .. بدون تصديق .. كيف يعقل أن يكون محمود .. جزءا من مؤامرة مروان .. كيف يعقل .. وأي صفقة يتحادثان عنها !!.. خالطتها رائحة الريحان التي تعشقها ،وهو علي هذا القرب منها ليهتز جسدها برجفة باكية مرة أخرى .. دون إصدار صوت تلك المرة سوى شهقات خافتة متقطعة حزينة !..
هاله شكلها المرعب بعيونها الحمراء وخطوط الكحل التي سالت لتشكل لوحة سيريالية علي وجنتيها .. وجهها كان يبدو منتفخا من شدة البكاء والخوف في نفس الوقت .. أغمض عينيه.. وكأنه قادر بتلك الحركة البسيطة على محوها من باله .. وكأنها لم تكن مركز كل تفكيره .. وكأنه لم يحاول جاهداً بتلك السنة والسنة الماضية أن يزيحها بكل قوة من

تفكيره ..ليكتشف أنها تترسخ أكثر وأكثر بأعماقه .. بكل هدوء! .. ودون أن تحاول حتي أن تبذل أي جهد.. منذ اللحظه التي رآها بها بعرض البحر .. لا يستطيع للآن أن ينسى ذلك الشعور الحارق .. حين نظرت بعينيه وسط الأمواج المتلاطمة .. كانت عيناها بغاية الصفاء .. تلمعان .. بشذرات من الذهب .. ووجهها بغاية البراءة .. شفتاها المرتعشتان قتلتاه بالصميم لأول مرة بحياته يشعر بذلك شعور أنه أمام امرأة تحمل كل فتنة النساء وبراءتهم بنفس الوقت، وكان يجب أن يبتعد فهو ليس بقاموسه كلمة تسمى

البقاء هو رجل البعاد رجل الرحيل !..

كان يجب عليه أن يتوارى .. ويتركها تحلم بأشيائها البسيطة .. الجميلة .. الوردية من بيت وأسرة وحب لذا أنكر أنه من أنقذها .. أنكر وظل ينكر ولو خيروه سيظل ينكر هذا حتى يموت كان يجب أن يعرف أن مروان سيخدعه .. كان يشعر بهذا لكنه تجاهل إحساسه منذ تلك اللحظة التي تجاهل إحساسه بها ..أصابه خلل ما بأحاسيسه لشدة رفضه لهم لم يعد يثق بمؤشر الأحاسيس لديه ، وسمح لمروان بخديعته، قال بصوت مسموع و بنبرة غريبة - : لن أسمح له أن يؤذيك "!!..

شادن انتحبت أكثر وهي ترتجف و هي تشعر بنفسها تموت كيف .. ؟؟!!.

أي منطق يتحدث ابتسم محمود بسخرية مريرة لحركتها .. :- ألا تصدقيني ..؟؟

همست بشحوب -:لا أعرف .. لماذا .. لماذا تريدني أن أصدق أنك لن تؤذيني ..؟ !!

رفعت عينها لعينيه .. لتتفاجأ بلمحة حنان مناقضة للشراسة التي يمسكها بها .. جعلتها تغص بما تريد أن تقول لكنها أكملت مع ذلك .. بصوت مبحوح .. متعب .. أجش .. مزقه من الداخل .. قالت-:
أنت تؤذيني الآن .. بإمساكك بي بتلك الطريقة التي لا تحق لك .. تؤذيني ..''

رؤيتها هكذا دمرت قلاعاً بنتها أياد فرعونية ضخمة حول قلبه ...، هو يظل رجلاً ، و من أمامه امرأة وليس أي امرأة أنها حلم طال حرمانه منه .. .. و ما تفعله حفز به الشوق ليكون كغيره من الطبيعيين !!

لا يمكن أن أكون لها ... لا يمكن أن تكون لي لا يمكن أن يجمعنا شيء

هذا ما ظل يردده على نفسه منذ رآها بلا فاااائدة فكلما ابتعد عنها كان يقترب أكثر !.. لم يكن يوماً ممن امتلكوا أحلاما طبيعية .. بشرية .. واقعية .. ممكنة التحقيق !.. لم يكن لديه سوى حلم واحد منذ وعى علي تلك الحياةمنذ فقد رائحة الوطن.. عبق الوطن منذ وعى أن ذلك الشوق الذي يسكنه .. تلك الرائحة التي تغمره بليل الشتاء البارد.. هي رائحة الوطن البعيد .. القريب !.. تلك الرائحة التي تحطم جدران صدره شوقاً إلهاهي لحفنة من تراب مغموس بدماء أهله !.. أبوه وعمه وجده .و ظل الحلم يلامس سماءه لينتهي به الأمر تائها بين كومة من السحب ،.. العواصف .. وأنصاف الحلول ..فلم يجد منها سبيلا للهرب! ظل ما تمناه معلقاً على علو ،علو لا يظن بأنه سيمسه يوماًفهو لا يود قطرة غيث

كلا
هو يريد الغيث .. كله من عند الله

لكنها هي من أتت على غفلة منه ومن أحلامه التي تناساها .. أتت على غفلة من قلبه لتسكنه مباشرة وتتربع على عرشه فكر بسخرية مريرة ..

كان يعلم أنه سيموت .. كان يحيا بانتظار ذلك الموت .. ويرحب به .. لكنه لم يفكر في يوم من الأيام أنه سيموت .. على شفا حب .. شعور موجع تغلغل بشرايينه.. مـوجع .. هي لحـظة .. خارج الزمن ..

تلاقت بها عيناهما .. وبينهما أناملها التي تتشبث به بطريقة موجعة لقلبه ..أجبرته على اتخاذ القرار.. لم يكن أمامه سوى طريقة واحدة لـينقذها .. وينقذ شحنة السلاح طريـقة واحدة فقط ! ..

اقترب بوجهه .. اقترب كثيـراً بينما توقفت هي عن الصـراخ .. بترقب ورعب وتشوش .. وشعور قاتل بخيانة نفسها لها .. اقترب حتى أن أنفاسه التي لفحت وجهها .. جعلتها تغمض عينها ،بينما مارست دموعها مهنتهما منذ الأزل بالانهمار.. لتشـهق وكل جسدها يرتعـش حين أتت همسته الخافتة .. الأبحة . الحزيـنة للغاية، وهو يهمس

"أحبــك .. تذكري .. هذا "!!..

فتحت عيناها فجأة، وقد سكن جسدها تماماً عن الحركة لتفاجأ به ،وقد اختفى من أمامهـا

حتامَ أتعثر بالذاكرة والنسيان معاً،

على أعتاب لقاء له طعم الوداع؟

وفراق له طعم الموت؟

******

عم الهدوء والصمت المكان بهذا الوقت المتأخر.. بينما أخذت زخات المطر تطرق على النوافذ بشدة جعلت قاهرة تنزوي أكثر بحضن آسـر لـيشدد

من احتضانه لها بشوق عميق .. كأنه يريد أن يدخلها بقفصه الصدري .. عله يهدأ، ويكف عن هذا الخفقان المزعج له لا تدري كم بقيت علي تلك الحالة من البكاء الصامت على صدره .. لكنها تدرك تماما كم احتوتها ذراعاه .بحنان صامت كان يزيد من بكائه كلما شعرت به .. وكأنها تفرغ بكاء العمر كله علي صدره.. كانت أنثى .. وتشعر بالضعف ولا تمانع أبدا بأن يراها بهذا الضعف !.. كان دفء صدره مغرياً .. ضربات قلبه تحت أذنيها .. قوية مضطربة تدفع إلى النوم والخمول تدفع إلى الراحة، مد آسر يديه نحو وجهها بحركة بطيئة مرورا بخصلات شعرها التي انتثرت علي كفيه .. وعبيرهما يطغي على حواسه مشتتاً تركيزه .. ليحتضن تلك الخصلات الحريرية بين أنامله .. بلهفة .. دفعت بوجيب قلبه ليعلو .. القرب منها عذاب لكنه عذاب لذيذ .. عذاب اشتاق له منذ تركها البارحة .. أكان ما حدث بينهما البارحة فقط ..كانت بين ذراعيه ملكه البارحة فقط بدا ما حدث البارحة كحلم .. عادت أنامله لصفحة وجهها المرمرية ليأسر وجنتيها بين قبضتيه الدافئتين بلطف ندر أن يظهره هذا الجلمود البشري .. ليمسح دمعاتها الندية برقة غير معهودة إلا نادراً همس بنبرة ناعمة خافتة .. شجية -: كفى حبيبتي ..كفى بكاءاً"

توقفت للحظة أقال حبيبتي.

!.توقفت دموعها لثانية واحدة فقط لتعاود الانهمار بشدة وسرعة، وشهيقها يعلو تلك المرة .. ليتوجع هو .. يعلم أنه قهرها !.. مد يمينه حول كتفيها يجذبها أكثر لأحضانه .. ندت من بين شفتيها آهة غير مكتملة .. انتفض لها كله! .. لم تصدق منه حنواً ،ولم يتوقع منها خضوعاً جمدت أحاسيسه بأكملها وارتعد قلبه لانفجار هز كيانه ! ..غمر أنفه بخصلات شعرها .. لتلفح صدره أنفاسها الحارة .. بشهقات يبدو أنها ترفض إلا أن تعذبه بها تضخم القلب حتي أوشك على الانفجار رفع وجهها إليه بأصابع

دافئة .. كم تمنى رؤية وجهها .. ملامحها .. عينيها ..لكن تلك القطرات التي كانت تلامس أنامله كانت كافية ليشعر بها . انحنى نحوها وتعابير وجهه مخفية عنها بسبب غمامة الدموع التي ملأت عينيها ..شهقت برجفة ..فلم تكن تعابيره مخفية بسبب الدموع بل بسبب ذلك الشاش الذي يخفي عينيه عنها .. و ببكاء أقرب للطفولة فكرت .. أنها تحب عينيه .. رغم شراستهما ..عنفهما ..مكرهما لكنها تحبهما!! .. غصت بدمعة أخرى انزلقت على خدها بمهارة ليلتقطهما بين شفتيه .. برقة .. بشغف .. انتقلت شفتاه من وجنتيها إلى أنفها إلى عينيها .. يقبلهما بشوق وتأنٍ، همس بأنفاس حارة ونبرة خشنة، وشفتاه علي أهدابها الندية دون قدرة لديه للمقاومة بعد الآن .. فقد دكت حصون قلبه .. حصنا .. حصنا .. حتي خوفه من فقدانها أصبح أقل من خوفه ألا تدرك وتعرف أنه يحبها ،هي تستحق أن تعرف كم يحبها.. يحبها ياالله كم يحبها "آسف حبيبتي .."

توترت نبضاته وبكاؤها يزداد .. ظهرت الحيرة على ملامحه فبكاؤها يمزقه ..ياالله .. هو لا يعرف كيف يجعلها تتوقف عن البكاء .. قاهرته تبكي .. وهو السبب .. هو الأحمق .. الغبي .. المغرور .. المتقوقع ذاتيا السبب .. لو فقط تكف عن البكاء .. قال بتسرع وقلق -: أنا أحمق"

ووسط بكائها ارتعشت شفتاها بالضحك ..لم تكن لتتخيل في أبعد أحلامها أن ينعت آسر نفسه بتلك الصفة التي وجدتها مضحكة .. هزت رأسها بهمهمة موافقة جعلته يضحك بعمق رجولي وقد استراح نبضه الثائر لأنه استطاع أن يجعلها تتوقف عن البكاء ،ولو قليلاً قال بنبرة ماكرة وحنان جعل أطرافها ترتعش -: إذًا هذا ما يكلفني جعلك تتوقفين عن البكاء

!.لم تجبه لكنها احتمت بالصمت بين جدران ذراعيه .. لم تكن لتفارقهما أبداً بعد الآن ،وقد وجدت بهما أمانها لم تكن لتفارقهما حتى ولو طلب منها ذلك ..لم يعد لكبريائها معنى .. هنا بين ذراعيه .. ولا بجوار دقات صدره .. لم يعد للبعد سبباً ، وهي تسمعه يحادثها بهذا الحنان وتلك النبره السائلة المغوية .. هي تريده لها .. لا تهتم بالماضي أو الحاضر أو حتى المستقبل .. حتى ببروده .. إغاظته لها ... غروره .. تلاعبه .. تحـــبه .. لا تدري لم هو دون أبناء آدم من اخترق جدران القلب واحتله بعساكره التي تشابهه قسوة وطغيانا

أنا أحبك

همس آسر بخشونة

******

شعرت هدى بثقل فوق أضلاعها .. أخذت تتأوه بتعب دون قدرة لديها على تحريك أطرافها بدا أن الخدر أصاب كامل جسدها .. كانت تشعر بضيق تنفس يخالطه رائحة كريهة نفاذة .. هي تعرف تلك الرائحة جيداً.. لطالما خالطت أنفاسها قديماً ..حين كانت عند مروا انتفضت فجأة لتتأوه بألم ورأسها يطرق بشدة .. حاولت تحريك أطرافها لتعي أنها مقيدة .. وأن الخدر الذي أصابها ما هو إلا نتيجة القيود القاسية علي معصميها وقدميها.. فجأة شعرت بحركة وصوت خشن تعرفه جيداً يقول بحقد:- أخيراً أفقتي ؟!

أجزاء من الثانية كانت كفيلة أن تذكرها بكل ما حدث.. رفعت بصرها إليه وكل مخاوفها تتجسد أمامها بالضوء الشاحب الذي يبدو مصراً علي إخافتها به .. هي هي أساليبه ... لاتزال كما هي .. لايزال هو

كما هو.. أو أفظع .. تلك النظرة بعينيه .. لم يسبق أن رأتها من قبل فاقت كل ما رأته من قبل قديما كان هناك .. وحشية .. تعذيب وضعف أما الآن فهي ترى

الحقد

الغضب

الجنــون

نهض من مقعده الذي ظل جالساً عليه لمدة طويلة بانتظارها لتصحو .. اقترب بغلٍ، وهو ينحني عليها ..ليهمس بسخرية شريرة .. أنفاسه الكريهة بمحازاة وجهها -: ظننت أنك تخلصت مني .. ألم أخبرك سابقاً أن لا خلاص لك مني إلا بالـموت

ارتجفت أكثر و شعرت بقلبها يغوص في بئر عميـق .. لا تعـرف له قرار أين نـادر؟!

تساءل قلبها بفزع .. كيف سمح بهذا أن يحدث لها .. ألم يعدها ألايصيبها مكروه أبدا وهو معه إذن أين هـو .. تسمرت نظراتها بارتعاش مرعوب عليه وعلي ملامحه الكريهة .. الدموع تحارب لتطفر من عينيها .. لكنها لا تعلم من أين انبثق .. هدوء مذهل .. ويقين عميق بأنه لا يستطيع أذيتها مرة أخرى إلا لو سمحت له بهذا .. خاطبت ذلك الجزء المرتعب منها بصبر أنا لم أعد تلك الطفلة التي اعتاد إخافتها .. تلك الطفلة رحلت .. ولن تعود مجدداً .. ببريق الدموع المحبوسة بعينيها .. بإصرار وقـوة قالت وكل حروفها تنطق بالكره له

"إن شاء الله .. موتك قريـب أو تعلم علي يد من؟!! "

بكبرياء وشموخ .. بقوة وإصرار .. بعينين تبرقان بالحب وعدم الخوف همست: :- "على يد نادر"

جذبها من شعرها بقسوة جعلتها تطلق صرخة لاإرادية وهو يصرخ بجنون :- " إن كان قد اقترب منك سأقتلك .. سأقتلك بيدي هاتين" مد يديه ليطبق علي حنجرتها بقوة ونظرة مجنونة مذهولة بعينيه .. شعرت بأنفاسها تضيق .. ببطء .. ببطء رغما عنها بان الذعر بعينيها وهي تراه يقترب منها ينحني عليها والرغبة العمياء والشر و الجنون يطفحان من عينيه ويداه ترتخيان فجأة عن عنقها لتشهق بصعوبة طلبا لذرات الهواء، وهي تهمس باشمئزاز :- " مجنـون "

بيد ترتعش بدأ يلامسها برغبة.. دفعته بكل جسدها ليرجف .. باشمئزاز ورعب .. وهو يقول بفحيح وضحكة كريهة :- " نعم مجنـون .. لكنك لي ولن تكوني لأحد غيري .. "

وكأنما برق في ذهنه خاطر إذ لمعت عيناه بالشر وهو يعاود القبض علي حنجرتها بأنامله القاسية مرة أخرى قائلا بشر :- " هل لمسك .. نادر .. هل أصبحت له "

وعاودتها نفس الرغبة القديمة بالإغماء .. تعرفها جيدا حين يحوطها الظلام .. حين يتشبع فمها بذلك الطعم المعدني البارد .. بتلك الرغبة في التقيوء والبرودة تغمر أطرافها .. لكنها .. تلك المرة أصرت علي المقاومة .. كان هناك ما يدفعها للمقاومة .. لن تسمح له بأخذها أبدا، ولو عني هذا موتها .

هي تعرف أنه جبان .. جبان .. كالضباع لا يقترب من فريسته حية أبداً .. لذا هي لن تدعه ينتصر عليها بإغمائها .. كانت تقاوم الظلام المحيط بها

بشـدة، واسـم نادر يتردد علي لسـانها كتعويذة تقيها الشرور إلا أن ملامساته باتت أكثر خشونة أكثر خدشـا لـروحـها ..كانت تعاني من صعوبة بالتنفس بدأت تشـهق ..تريد أن تتنفس ..أخذت تخاطب نفسها بجنون لن تسمح لنفسها بالإغماء .. تريد أن تتنفس ..اتسعت عيناها وهي تتوسل الهواء أن يدخل لرئتيها .. إلا أنه بدا بعالم آخر، وهو يهز عنقها بين قبضتيه بجنون وهو يصرخ -:

"أجيبيني"

صرخ فجأة وهو يشد شعرها بقسوة :-عرف الحقيقة .. أيتها العاهرة ..أليس كذلك ..؟ أجيبي "

لم تكن تعرف قصده .. عرف ماذا؟ لكنها كانت قد وصلت لمرحلة من اللامبالاة واليأس صرخت تستفزه أكثر بغضب وكراهية، وهي تقول :-

" نعم لمسني .. وأكثر ..أصبحت له, زوجته "

لم تشعر إلا بصفعة قاتلة على وجهها ،وهو يصرخ بجنون :- إذاً عرف .. عرف ما جاهدت لإخفائه "

تحول صراخه لبكاء بائس ممزق، وهو يرفع المسدس بيد ترتعش يطرق بها علي رأسه :- عرف أنك لازلت بريئة .. أنني لم ألمسك "

مـاذا؟!

تكورت الكلمة على شفتيها بذهول وصدمة كيف هذا ..؟ أهو مجنون .. لم يلمسها .. كيف هذا ..؟وكل هذا العذاب .. وكل تلك المعاناه !!

لكن بدأ قلبها ينبض بصخب وجنون وهي تفكر، بينما كان هو يهذي بكلام كثير غير مفهوم

تلك المرة الأولى، هي لم تذهب للمستشفى .. والدها رفض خوفا من الفضيحة !! تذكر أن معدتها كانت تؤلمها .. كانت تنتظر مجيء الدورة لكن بعد ما تهجم عليها .. نسيت ذلك تماما .. المرات التي تلت ذلك .. كان لا يقترب منها إلا ويغمى عليها .. تصحو مشوشة .. عارية .. وطبيعي أن تعتقد أنه انتهكها .. لكن ولا مرة اقترب منها وهي بكامل وعيها .. تلك المرة الوحيدة حين رفضت بقوة وإصرار أن يغمي عليها .. تتذكر ..اتسعت عيناها بجنون .. لفظها ولم يكمل انتهاكه لها معقول .. أيكون الله رحيما بها لهذا الحد .. نظرت إليه بذهول وهي لازالت مكومة أرضا .. أيعقل هذا .. كيف ولماذا..؟

لكن يجب ان تجاريه يجب أن تعلم ..ضغطت أكثر علي جرحه، وهي تقول غير آبهة إن قتلها حتى :- نعم .. أصبحت زوجته وكم كانت سعادته حين اكتشف أنني لازلت عذراء ..أتدرى كم سخرنا منك "

صرخ بجنون :- "اخرسي اخرسي أيتها الحقيرة سأقتلك وأقتله .. سأدمركم جميعا أنتم سبب ما أنا فيه .. بل هو نادر الحقير .. الذي فضل أن ينقذ صديقه من غياهب السجن ويتركني أنا أتعفن هناك .. أتدركين ما فعلو بي .. أتدركين كيف عذبوني .. انتهكوني .. حتي أصبحت عاجزاً .. أتدركين .. ؟ لكن كلا وكيف لك أن تعلمي كل ما كان يهمك هو أخوك الغالي .. كل ما كان يهمكم دائما هو آسر .. نادر أنقذ آسر وأنت ضحيت بنفسك لأجل عيون آسر"

صرخ بجنون بينما بدا وجهه شاحباً للغاية :- إذا فليمت آسر بحسرته حين أرسل له جثة أختيه وزوجته بعدهما قريبا جدا .. جدا "

شهقت وهي تراه يرفع مسدسه بجنون مصوبا إياه إلى رأسها

سكنت تماما وهي ترى فوهة مسدسه مصوبة لوجهها .. ولأول مرة في حياتها لم تكن تشعر بالخوف .. تدرك أنها ثواني فقط وتنطلق تلك الرصاصة وتذهب بأنفاسها الأخيرة لكنها ابتسمت .. ابتسامة ملؤها الاطمئنان .. لم تكن ترى سوي وجه نادر .. ابتسامته .. عينيه مما دفع براحة عجيبة لصدرها .. نطقت الشهادة وأغمضت عينها ببطء .. وانتظرت لكن تلك الرصاصة لم تنطلق .. فتحت عينها ببطء لتجد مروان قد انهار علي الأرض .. وتعابير وجهه ذاهلة .. شاردة .. وكأنه فقد كل قوته فجأة لازال المسدس بيده لكن يده كانت تهتز ..حاولت التحرك ببطء وهدوء قد تستطيع الهرب لكنه انتبه لها .. خرج صوته ضعيفا مهزوزا وهو يسألها بعذاب :- لماذا هدى لماذا لم تستطيعي أن تحبيني .. أنا أحببتك "

كانت تشعر بالاشمئزاز منه .. كيف يطالبها بأن تحبه بعدما أذاقها كل هذا العذاب حتي لو لم يكن لمسها لا يشفع له ... إلا أنها لم تتفوه بهذا ،بل قالت بهدوء :- اتركني أرحل أنا وأختي وقد أسامحك علي ما فعلته بنا

عادت النظرات الحاقدة المجنونة لعينيه وهو يصرخ :- أبدا .. أنت لي .. لي للأبد تذكري هذا ..! إن لم أستطع جعلك لي فلن أتركك له "

ضحكت ساخرة منه وهي تضغط علي نقاط ضعفه قائلة :- لكنني سبق وأصبحت له "

اصمتي

نهض وهو يرفع مسدسه مرة أخرى، وتلك المرة نيته واضحة .. جذب صمام الأمان و انطلقت الرصاصة

******

ضغط نادر على دواسة البنزين حتي أخذت السيارة تزأر ..تصلبت يداه علي المقود بقوة وحزم بينما اعتلت وجهه نظرة تنم عن التصميم والغضب .. كان يدرك أن كل ثانية .. كل لحظة .. كل رفة جفن.. أو نفس يتنفسه يعني ضياعها منه ..!استعان بكل معارفه كل صلاته وكل من يدينون له بمعروف اختار مروان منطقة جبلية وعرة لم يكن من السهل الوصول إليها دون أن يراه حراسه المنتشرون في كل مكان .. توقفت السيارة ببطء .. لكنه لم يتحرك من مكانه .. كان قلبه ينبض بسرعة قصوى .. تضخم حتى أوشك على الاختناق .. ليدرك أن هذا هو شعور الخوف

يكاد أن يتذوق ذلك الخوف حياً رغم كل ما رأي وعاصر وحدث له لم يشعر بالخوف بتاتاً .. لم يشعر بالخوف حتى رآها .. حتي أحبها ..وترافق حبها مع بداية ظهور خوفه .. احتار كثيرا كيف يمكن أن يكون الحب مرادفا للخوف .. الخوف من الفقد .. الخوف من الحزن .. الخوف من الاحتياج .. لكنه كان خوفا لذيذا .. حين يرتبط ذلك الخوف باسمها .. تتقافز نبضات قلبه .. وتتصارع شرايين دمائه .. للاطمئنان عليها .. أخذ عدة أنفاس وهو يقبض علي المقود بقسوة يهدئ من خفقات قلبه الثائرة .. مال برأسه القوي الفخور يطرقها مرة اثنتين ثلاث يحاول أن يجلي تفكيره أخذ نفسا عميقا قويا مليء بالتصميم والشراسة استل سلاحه تأكد أنه ممتلئ .. ثم فتح الباب بخطوات قوية ثابتة لا تدل أبدا على توتره الداخلي ... ما إن خطا عدة خطوات حتى ظهر له المخزن القديم من بعيد علي ربوة عالية .. لا يحجبه عنها سوى التكتلات الثلجية .. كان الجبل أبيض بطريقة تناقض معها نادر بملابسه السوداء .. رفع عينيه إلى السماء بمناجاة صامتة

يارب

تحرك بخطوات سريعة حذرة حتي اقترب من المدخل الخلفي للمخزن ، وهو يحصي عدد الحرس المنتشرين في كل مكان .. مدججين بالسلاح واحد .. اثنين .. سبعة عند الباب الخلفي برقت عيناه بالصرامة والإصرار يستطيع القضاء عليهم بدون أدني صعوبة تحرك برشاقة ومهارة .. ليتوقف فجأه حين أتى صوت طلقات من الداخل فكر ، يبدو أن محمود قرر البدء دون انتظاره بكل عزم .. رفع السلاح .. صوب .. وبدأت الطلقات تنتشر في كل مكان تخضبت الثلوج باللون الأحمر القاني .. بعد معمعة من الطلقات .. عم السكون فجأة .. كان قد أصاب خمسة بمقتل ،بينما اختفى اثنان بالداخل ربما لمساعدة زملائهم أخيراً أصبح بالداخل كان المكان هادئاً بطريقة غريبة بدأ يفتش الغرف .. غرفة غرفة .. لا أثر لأحد سوى جثث متناثرة هنا وهناك ..لكن لا وجود لهدى أو شادن أو محمود ،ما جعله يتنفس الصعداء .. كان المكان معتما قليلا .. لايوجد سوى الضوء الشاحب الآتي من الخارج .. كان يفتش المكان بحذر حتي وصل لآخر غرفة .. توقف عندها ونبضات قلبه تتسابق فتح الباب بحذر ليجد شادن .. كانت تبكي وهي مكومة بطرف الغرفه المظلمة .. تقدم منها بسرعة وهمس :- " شادن أأنت بخير"

إلا أنها لم تتوقف عن هز جسدها للأمام والخلف والنشيج .. لم يكن لديه وقت يضيعه سأل بسرعة وصرامة :- " أين هدى ..؟!! "

أيضا لا رد يصله سوى نشيجها واهتزاز كتفيها بالبكاء .. نهض وهو يحذرها :- ابقي هنا لا تتحركي لأي مكان

خرج من الغرفة ليفاجأ بطلقة آتية من الأسفل .. القبو .. كيف لم ينتبه له .. نزل الدرجات بسرعة شاهرا مسدسه أمامه بحزم وقسوة وهو ينادي بعلو صوته :- هدى .. أين أنت ..؟!

أصغى السمع إلا أنه لا صوت صدر ليعاود النداء مرة أخرى :- هدى أين أنت ..؟!!

ليأتي صوت محمود متعباً :- " هنا.. نادر"

اتجه نادر إلى مصدر الصوت بحذر والرعب يعيث فسادا بأوردته .. لما لا تجيب هدى .. لما يبدو صوت محمود متعبا .. يالله ودون أن يضيع ثانية واحدة فتح الباب بحذره المعتاد .. ليفاجأ بالمنظر أمامه .. كانت هدى شاحبة الوجه .. تلمع في عينيها الدموع .. وشفتاها ترتعشان.. لكن لم يكن هذا ما جعله يقف لأقل من الثانية ذاهلا بل كانت جثة مروان المضرجة بالدماء والسلاح الذي لا يزال بيدها .. بينما كان محمود يستند على الحائط بإعياء وهو يهمس ..:_ هل شادن بخير...؟!

الختـام

اليـوم

فـرحها ...زفـافها ... تلونت الشوارع بالزينات .. وصدحت الأبواق بالعزف ..عزف منفرد ومجتمع ...ووقفت هي شامخة برأسها ...كما كانت دوماً .. فهي القاهـرة .. بكل جمالها وروعتها وسحرهـا ،تشعر بالسعادة أكيد التفتت تتجه إلى النافذة لتتأمل القاهرة بالليل ... لطالما عشقت القاهرة بكل أحوالها ليلا كان أو نهارا .. لكن القاهرة بالليل تختلف .. كأنها قطعة من جنة الله بأرضه تشع كالألماس تشع بالأضواء .. كما لو كانت عروس والليلة وكل ليلة هي حفل زفافها ،كيف لا تعشق القاهرة وهي قاهرة ,لاتدري لما تأخر .. لن يكون آسر إن لم يفعل شيئا غريبا حتى في يوم زفافه ,اتسعت ابتسامتها .. زفافه الذي أصر عليه للمرة الثانية .. حين همس لها قائلا :- حرمتني من رؤيتك بالأبيض لكنني لن أتنازل عنه حال عودتنا للقاهرة سنقيم أكبر زفاف شهدته مصر .. سيتحدث عنه الجميع لأسابيع بل لشهور "

ووفى بوعده .. آسـر ..كان اسمه وتعدى الاسم ليكون شخصه آسرها من أول وهلة، لكنها قاومت ارتسمت بسمة شفافة علي شفتيها القرمزيتين المغريتين وهي تنطق حروف اسمه

آسـر.. كابتن آسـر بدر الدين .. كابتن طيار

ارتفع جانب شفتها بابتسامة لتظهر تلك الغمازة الوحيدة التي يعشقها .. آسـر كم تحبه .. كان صعبا عليها الاعتراف بحبه ! دخلت عليها شذى، وهي تبتسم بتألق تأملت قاهرة بحب أخوي صادق .. كان جمال قاهرة المميز وشخصيتها القيادية الفريدة، كان سببا في دفع العديد من العرسان للهرب من طريقها حتي أتى آسـرالذي اعتبرها تحديا يجب الفوز به فأختها

رائعة الحسن والجمال تشبه الأميرة في قصة الشاطر حسن .. ذات جبين وضاء ووجه ذي بشرة مرمرية مشربة بحمرة رائعة بخديها يعلوهما عينان بلون العقيق الأسود الفاحم السواد وحاجبان من نفس اللون مرسومان بعناية إلهية ... وشعرأسود طويل يرتاح علي ظهرها بطبقات متعددة ذو نعومة وكثافة طبيعية تدهش المرء ،وتجعله يردد بين وهلة وأخرى قائلا:- "سبحان الله ...ماشاء الله ... والله أكبر"

وهو ما فعلته أول ما خطت بقدميها داخل الغرفة والابتسامة تشع من وجهها فرحا :- " ما شاء الله حبيبتي ربي يحرسك من العين هيا عزيزتي فعريسك ينتظرك بالأسفل"

قالت قاهرة بقلق :- أين أبي

ها أنا ذا حبيبتي

اتسعت ابتسامتها ،وهي تتقدم من أبيها بفستانها الأبيض الرائع والسعادة تغمر روحها سلمته يدها .. وتقدمتهم شذى لتفتح الباب

*****

وقفت شادن تنظر للمنظر البديع بالخارج .. لقد جعل آسر الفيلا كأنها مضاءة بأكملها .. حتي الشارع الرئيسي .. تنهدت بشرود ،وهي تحتمي بذلك الركن المظلم من الشرفة بعيدا عن الصخب المرح الدائر بالداخل .. بعد تلك الليلة اختفي محمود .. كانت الأحداث مشوشة في ذهنها .. ما بين إصابة محمود .. مقتل مروان بيد هدى .. وأخيرا قدوم الدعم لم تستطع أن تقترب منه كان المسعفون يعالجون جرحه بينما اقتربت منها مسعفة لتعالج خدوشها ،وتطمئن على مؤشراتها الحيوية .. خروج نادر وهو يدعم هدى الذاهلة .. هرولت إليها لتحتضنها ،وكل رعب الساعات السابقة

يعاودها .. أخذت تبكي .. وتبكي إلا أن هدى ولمفاجئتها كانت هادئة للغاية ،بل وأخذت تهدئها وتطمئنها إن الخطرقد زال نهائيا

بعدها .. اختفى محمود

وكأنه لم يكن موجودا .. رفض الجميع الحديث عنه كما لو كان باتفاق مسبق ،حتى نادر حين تجرأت وسألته منذ بضعة أيام قال لها بغموض :- لقد طلب مني أن أخبرك ألا تبحثي عنه

ابتسمت .. ألا تبحث عنه ..! وهل تستطيع فعل ذلك..!

تنهدت بشجن حين أتى صوت هدى البشوش ،وهي تخاطبها :- شادن حبيبتي هيا فقاهرة علي وشك الظهور .. التفتت لها شادن تنظر إلى هدى أخرى ،هدى جديدة تماما ,كانت السعادة تشع من كل تقاطيع وجهها .. السعادة والراحة والاطمئنان .. وكيف لا وقد حصلت أخيرا علي سعادتها بجوار نادر ابتسمت وهي تتقدم منها متأبطه ذراعها قائلة :- نعم أختي لا نريد أن يفوتنا مشهد القاهرة

ربتت هدى علي يدى شادن وهي تسألها :- هل أنهيت جميع أوراق سفرك .. حقيبتك .. ملابسك "

أجابت شادن بابتسامة مطمئنة :- نعم هدى لا تقلقي

اعترضت هدى بنزق :- لكنني قلقة بالفعل .. لن أسالك لما اخترت فلسطين تحديدا لتصبحي مراسلة إخبارية بها .. فكلنا نعلم السبب لكنني أحذرك يجب أن تنتبهي لنفسك "

ابتسمت شادن والأمل يرتفع بداخلها .. ستجده وحين تجده لن تتركه أبدا .. ستريه أنها على قدر المسئولية .. إنها لم تعد تلك الطفلة الصغيرة الحمقاء .. إنها تدرك كل شرور العالم وتريد مواجهتها .. معه

معه هو فقط .

*****

,ما إن ظهرت علي أولى درجات السلم حتي توقف قلبه تماما .. يا الله لن يكف أبدا عن الذهول لمدى جمالها .. براءتها وسحرها .. كانت دقات قلبه تتعالي مع كل خطوة تخطوها في طريقها إليه بينما ثبتت عينها في عينيه برسالة واضحة صريحة تشي بحبها ،ما إن وصلت إليه حتي مد يده ليتناول يدها هامسا :-أخيرا حبيبتي

كانت ابتسامتها تتسع وتتسع ... تلك الكلمة التي لن تمل أبدا من سماعها .. نظرت له والحب بعينيها ما إن اقترب منها للغاية ونظرة خبيثة في عينيه .. أدركت ما سيفعل المجنون .. سيقبلها أمام الجميع .. يا إلهي تشعر بأنها ستنفجر من شدة الإحراج

حين أتى صوت هدى الضاحك بسعادة، وهي تهتف بأخيها

آسر بالله عليك يكفي .. ألاترى كيف أصبح وجه قاهرة

جذبته من ذراعه للخلف وسط موجة من الضحك والسعادة التي طغت علي الجميع .. جذب آسر قاهرة إلى ذراعه يحتضنها، وهو يقول بوقاحة مرحة :- إنها زوجتي وأنا حر لأفعل ما أشاء

شهقت قاهرة بخجل ولكزته بكوعها لينطلق ضاحكا بصخب شاركه فيه .. نادر وأبوها وتوفيق زوج أختها ..

أخذت تعدو وأنفاسها تتعالى تعدو..... وتعدو..... تعدو ......حتى انقطعت أنفاسها ، ضايقها اللثام علي وجهها وشعرت بالهواء ثقيلا ساخنا مغبرا لكنها لم تتوقف ولو للحظة عن العدو ,كانت تدرك أن حياتها تتوقف علي ذلك ,إن توقفت ولو للحظة ,توقفت الأنفاس في صدرها معها لكنها لم تضع في حسبانها أن تضيق عليها الدنيا بما رحبت إذ وجدت نفسها وقد حوصرت بزقاق ضيق يسده الجنود الاسرائيليون من كافة المخارج..!! فكرت بسخرية لا تناسب الموقف " إلا إذا ....!! كما فكرت ..إلا إذا احتسبت الجدران المتهدمة للمنازل المهجورة التي كانت يوما ما .. بيوت عامرة بأهاليها .. بأفراحهم وأحزانهم .. قبل أن تطأها يد الاحتلال الغاشمة تلفتت خلفها يمنة ويسرة والسخرية السوداء المريرة تعاودها .. في تلك اللحظة تذكرته ؟!! تذكرت محمود بجبينه المليء بخطوط التفكير العميقة وعينيه السوداوتين العميقتين كبئر بلا قرار.. ووجهه الدائم العبوس لاح بطيفها تلك العينان .. عينان عميقة .. كأغوار غابة سوداء مخيفة ..حادة كالصقر ..تبث رعبا بلا قصد ...يظللها حاجبان كالقوس مشذبة بعناية إلهية ..اقتربت الخطوات أكثر فأكثر حتى ضاق عليها الخناق وأدركت أنها هالكة لا محالة اشتعل حسها الدرامي الساخر وهي تفكر لو قدر لها أن تكتب تلك الكلمات في رواية ما أو كخبر صحفي ما

ماذا كانت لتكتب لمعت بسمة علي ثغرها تناقض الموقف البشع الموجودة به فكرت كانت ستكتب :- "هنا بفلسطين ..هنـا ..تموت فتاة عربية علي أرض عربية في زمن لم يعد زمنا للعرب ..!! "

ابتسمت بأسى و تمنت ولو للحظة تمنت بشدة أمنية طفولية علها تنقذها من هول ما يوشك علي الحدوث في تلك اللحظة تمنت رؤيته فارسا عربيا

يأتي لإنقاذها :فارسا اشتاقت له وأتت سعيا خلفه وخلف قضيته .فارسا أصبحت علي يقين من أنه ربما كان حلما أو أسطورة خلقها خيالها الغارق في السحاب رفعت رأسها بإباء وشمم وهي تنفض عنها التمنيات صحيح أنها كانت يوما حالمة ....لكنها لم تعد كذلك ؟!!! صحيح أنه كان هناك وقت لم تتوقف عن التمني .....لكن هذا الزمن ولى..؟!!!

وإن كانت ستموت فلتمت بكرامة فلتمت بما يليق بها أن تموت بما يليق بكل امرأة عربية أن تموت، أخذ الجنود الإسرائيليون يقتربون من الجهتين ما جعلها تتوقف وتثبت مكانها أخذت أنفاسها تهسهس ببطء شديد، وهي تنتظر اقترابهم منها لأقصى درجة ارتفعت نبضات قلبها حتى صمت أذنيها أخذت تردد الشهادة بلسانها ،لكنها لم تغمض عينيها ولو لبرهة، بل برقت عيناها بالكره والبغضاء الشديدة لهم في حين أنهم مع اقترابهم اكثر واكثر منها اخذت نظراتهم الشامتة المنتصرة الخبيثة تتسع على أفواههم وقد أدركوا كما أدركت هي أنها النهاية ،لكنها قبضت بيدها علي السلاح الوحيد الذي كانت تحمله معها والتي ستحارب به وإن كان هذا آخر ما تفعله في حياتها أصبحوا علي قيد خطوات بسيطة منها حين رفعت يدها فجأة بصورة أثارت الذعر في قلوبهم الوجلة من الأساس ،وهم يظنونها انتحارية أوقعتهم في فخ ما لكن سرعان ما تعالت ضحكاتهم، وهم يعاودون الاقتراب منها حينما ظهر ما بيدها حجارة صغيرة بل حجر واحد صغير في الحقيقة يا للسخرية حجر واحد كان قد بقي بيدها وهي تعدو!!! دفعها أحدهم علي الحائط الصغير ما جعلها ترتطم به بقوة قذفته بالحجر ما أصاب عينه فصرخ لاعنا إياها وهو ما أثار حنق زملائه فتكالبوا عليها كحفنه من الذئاب الجائعين خانتها شجاعتها فجأة لتغمض عينيها برعب لم تستطع السيطرة عليه أغمضت عينيها ... ليتراءى لها مرة ثانية

محمـود

بطيفه العابس , ابتسمت نصف ابتسامة، وقلبها ينبض لذكرى بعيدة، كانت قد دفعتها جانبا حين دوى صوت طلقات فجأة علي مقربة شديدة منها ,فتحت عينيها لتجد النظرات الجاحظة في عيونهم الوقحة قد تبدلت إلي ذعر خالص ها قد أتى فارسها العربي الغامض

ها قد أتي ...!!

*****

النهايه

تنويه كل الخواطر ليست لي فأنا لست كاتبة خواطر

وضعت أسماء بعض الكتاب كما تراءى لي والبعض الآخر مجهول فعذرا لذلك .

شكر واجب

أريد شكر ممن ساعدني على ظهور تلك الرواية أخيرا للنور

صديقاتي البالغات الرومانسية اللاتي كان لهن بالغ الأثر حتى تخرج بهذا الشكل ،شكرا لكم كلمة قد لاتوفيكن حقكن لكن شكراً

(رومانسيات ليلاس)

شكرا للكاتبة الرائعة والصديقة العزيزة شيماء المارية على كل شيء ☺

شكراً بحجم السماء وأكثر لـ دار ن وفريق العمل بها ☺

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر



Noon_publishing@yahoo.com

ت-02-35860372   011-27772007

Inv:145

Date:15/2/2015

ذاكرة النسيان

تقدمت للأمام خطوة بفضول الأنثى لتتراجع بعدها بسرعة وذعر حين تحرك من مكانه يرفع وجهه عن الوسادة، فتح عينيه ببطء ارتعشت نظرته لوهلة، وهو يراها أمامه حبست أنفاسها وكل حركة بجسدها تسكن .. حتى الأنفاس نسيت أن تتنفسها .. اغتمت عيناه لتعودا تلك الغابة المظلمة .. تأملها بصمت لثوانٍ قليلة مرت عيناه علي وجهها لم يخلع نظراته عنها .. وكأول مرة رآها راح يتأملها بغموض وصمت بنظرة تحمل من الغرابة ما لم تستطع أن تفسرها .. تسمرت مكانها دهشة لا تجرؤ علي الحركة.. توقعت أن حمرةً قد علت وجنتيها اللتين نسيت أن تضع عليهما حمرة.. تلقائياً مدت يدها إلى شعرها ترفع خصلاته.. إلا أنه يبدو ... ى في إرباكها لم ينطق بحرف واحد ..أخيرا تو... د عينيها بنظرة غائمة قليلا،وهو يقول بصوت أج... م أتوقع وجودك هنا.."قالت وكأنها تعتذر بارتباك ... ت شيئًا كهذا.."

Bibliotheca Alexandrina
1241416


ISBN 9789776436794

